نشر الثناء الحسن

على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن

تأليف
المؤرخ العلامة إسماعيل بن محمد
الوشلي التهامي الحسني
المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

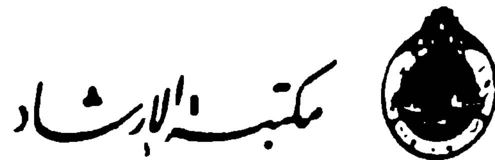
تحقيق
إبراهيم أحمد المقحفي

عناوين الكتاب الفرعية والأساسية
كلها من وضع المحقق...

الجزء الثاني

مكتبة الإرشاد
صنعاء

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة الإرشاد
صنعاء



الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير

شارع ٢٦ سبتمبر ص.ب ٣٠١٩ تليفون ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني في الكلام على غالب من بالجهة من الأشراف الحسنيين، وقد مضى في الفصل الأول الكلام على الأشراف الحُسينيين، وما ميّزت كل طائفة منهم بفصل إلا لأجل التسهيل وقرب التناول لطالب ذلك وتيسير الوقوف على ما هنالك، ثم اعلم أن العقب من الحَسن السبط انحصر في اثنين من أولاده هما زيد بن الحَسن والحسن بن الحسن كانحصاره في زين العابدين علي بن الحسين من أولاد الحسين كما هو محقق في كتب النسابين المعتمدين في هذا الفن، منهم السيّد العلامة الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمٰن الأهدل في مؤلفه «بغية الطالب» حيث قال: والعقب من أولاد الحسين في ذرية زين العابدين ولم يبق على وجه الأرض حسيني إلا من نسله ومات سنة ثلاثة وتسعين، والعقب من أولاد الحسن في الحَسن بن الحسن وهو المثنى وزيد بن الحَسن، مات المثنى سنة سبع وتسعين وله بضع وخمسون سنة، ومات زيد بن الحسن سنة عشرين ومائة. اهـ. ثم انتشر ـ ولله الحمد ـ منهم من الذرّيّة الكثير الطيب وتفرّقوا في البلدان الشاسعة والأقطار الواسعة كالعراق والكوفة والحجاز وبلاد العجم كالجيل والديلم وجورجان وخراسان وطَبَرستان وغيرها، فقاموا بالإمامة والرئاسة في هذه البلدان، وسادوا وأذعن لهم أهلها بالطاعة وانقادوا، قال في «بغية الطالب»: وأمّا الذين قاموا بالإمامة من الفاطميين في بلاد العجم والعراق فهم أكثر من عشرين إماماً، وتمكّن منهم تسعة عشر أوّلهم الإمام الداعي الأكبر محمد بن زيد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحَسن بن علي بن أبي طالب، ملك طَبَرستان وما يقاربها سنة إحدى وسبعين ومائتين وأقام بها سبعة عشر سنة ثم قتله جند المعتصم بها، وقبره بها مشهور مزور عند قبر جعفر بن محمد الصادق. ثم ساق من قام بالإمامة منهم ومن أُمتحن بالقتل والحبس والأسر منهم على يد بني العبّاس، وعقّبه بقوله: وإنما ذكرت ذلك ليُعلَم أنهم أحسن الناس جوهراً وأكرمهم فَخاراً، وليُعلَم أنّ لهم إسوة بسلفهم وفيه أيضاً سلوه لخَلَفهم ويظهر من ذلك سر قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٤).

يُفْتَنُونَ ﴾(1) وقوله ﷺ «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»(2) وقوله ﷺ «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط»(3) واعلم أن سبب هذه المقاتل والحروب من علي رضي الله وكرّم وجهه ومن بعده - أن كل قائم من أهل البيت طالب بثأر من قبله ويروم خَلع من خالفه لكونه أحق بالأمر منه، واستدرج الزمان على ذلك قرناً فقرناً حتى ظهر آخر تحقيق الوعد في قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فزالت دولة من خالفهم من الأمويين ولم تبق لهم شوكة ولا رياسة ولا جماعة لهم عدد، وأهل البيت - رضوان الله عليهم أجمعين - مشحونة بهم جميع الأمصار والجهات يقدمون في الأمور ويخلّون في الخطاب، مع ثبوت الشوكة لهم في كثير من البلدان حتى يكون آخر ذلك عهد المهدي محمد بن عبد الله المبعوث في آخر الزمان الذي ملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، ولا يبقى في زمنه ملك ولا مملكه ولا رياسة لغيره. اهـ. ولم يستوثق أمرهم إلاّ في أثناء مُدّة بني العبّاس لمّا تحيّزوا إلى بلدان شاسعة فلم يقدروا عليهم فتمكنوا حينئذ من الأمر ودانت لهم العباد والبلاد، قال صاحب «البغية»(4) بعد أن ساق ما امتحنوا به مالفظه: ثم في زمن المعتمد والمعتضد والمقتدر إلى المعتصم آخر شوكة العباسيين تحرز أهل البيت إلى بلدان لا يُقْدَر عليهم فيها مثل: جيلان ودبلمان وما إليها من بلاد العجم ومثل نَجْد اليمن كصنعاء وصَعْدَه وجهاتها، فاستوثق أمرهم وقاموا بالإمامة بشروطها قاهرين ظاهرين فقام منهم بنجد اليمن نحو بضع وعشرين إماماً. أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى، كان مولده رضي الله عنه بالمدينة(5) ومنشأه بالحجاز وتعلّمه بالعراق وظهور سلطانه باليمن سنة ثمانين ومائتين، وكان جاء إلى اليمن وقد عمّ بها مذهب القرامطة والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم ينهزم في شيء منها، وكان له علْم واسع وشجاعة مفرطة، وأقام على الجهاد نحو ثماني عشرة سنة ثم توفاه الله تعالى لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين، وعاصره من العباسّين أحمد المعتضد ثم ولده المكتفي ثم المقتدر، ثم قام بعد الهادي ولده المرتضى محمد بن

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: (2).

(2) الحديث رواه الترمذي وغيره.

(3) أورده ابن الجوزي.

(4) «بغية الطالب في أولاد علي بن أبي طالب» تأليف محمد ... الأهدل المتوفي سنة (998هـ).

(5) مولده سنة (245هـ).

يحيى ثم ولده الناصر أحمد بن يحيى وكانا ممن جمع خصال الكمال والفضل كأبيهما، ودُفنا بجنبه في مسجده بصعده ومن ذُرِّيَّته أكثر أشراف اليمن[1]. وقام بعدهم الإمام القاسم بن علي بن عبد الله بن القاسم بن إبراهيم - جد الهادي - وملك نيفاً وعشرين سنة وتوفي سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلاثمائة وقبره مشهور بعيان[2]، وولده كثير باليمن. اهـ. وساق من تولّى الإمامة بعدهم من ذريتهم ثم اعْلَم انّ ذُرِّيَّة الحسن المثنى كثير باليمن وأكثرهم بالجبال كصعدة وشهارة وصنعاء وما والاها، ومُلْكهم إلى الآن قايم في أكثرها، وفي تهامة الكثير الطيب وفيهم الأولياء والعلماء وأرباب الفضل والأمر. وسيأتي إن شاء الله ذِكْر بعض من بتهامة منهم، وأمّا ذُرِّيَّة أخيه زيد بن الحَسن فقد انتشروا في جَيْلان والدَّيْلم وطبرستان وما والاها وكَثُرَت ذريتهم وقام أمرهم هناك، ولم يكن باليمن منهم بالنسبة إلى ذلك الأقليم إلاّ القليل، وأول من انتقل منهم إلى اليمن أبو الفتح الناصر، قال في «بغية الطالب» بعد أن ذكر من تولّى من ذرية زيد باليمن ما لفظه: ثم أبو الفتح الناصر من ذرية زيد بن الحَسن بن علي وكان جاء من جيلان إلى اليمن، وعَرَّفهم نسبه وعرفوا منه خصال الكمال فبايعوه سنة خمس وخمسين وخمسمائة أو سبع وخمسين وخمسمائة في زمن يوسف المستنجد والمكتفى، وذريته موجودة يُعْرَفون ببني أبي الفتح[3]. اهـ. وقال العلاّمة البدر الأهدل في «تحفة الزمن»: ومن ولد زيد أبو الفتح الناصر بن الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن، استولى على أكثر اليمن وظفار والمشارق كصعدة وخَوْلان وقُتل بِرَدْمَان شرق ذمار[4]. اهـ. وإلى زيد بن الحسن بن علي ينتهي نسب الفقير جامع هذا الكتاب ونسب جماعتنا بني المرتضى بمدينة الزيدية وبني التقي ببلد الواعظات ومنهم جماعة باللُّحيّة وبيت الفقيه ابن عُجَيْل، كما سيأتي التنبيه على ذلك في محله إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب.

---

(١) انظر كتاب «نيل الحسنين بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحَسَنين» تأليف: محمد بن محمد زباره، وكتاب «التحف شرح الزلف» تأليف: مجد الدين بن محمد المؤيدي، وهما مطبوعان.

(٢) هو الإمام القاسم بن علي العياني، المنسوب إلى قرية «عِيَان» ببلاد سُفيان.

(٣) تشتهر ذرية أبي الفتح في اليمن ببني الديلمي وأكثر سكناهم في مدينة ذمار ومنهم بيت هاشم بصنعاء وبيت المَقْدَمي.

(٤) قُتل في قاع الجاح من بلاد ردمان رَدَاع، وذلك سنة (٤٤٤هـ) في وقعة نشبت بينه وبين علي بن محمد الصليحي.

ملوك الحجاز:

وأما ملوك الحجاز من ذُرِّيَّة الحسن المثنى فهم من ذرية موسى بن عبد الله المحض، قال في «بغية الطالب» ما لفظه: وملوك الحجاز من ذرية موسى بن عبد الله المحض، وأول من ملك بالحجاز منهم السيّد الحسن بن عجلان سنة إحدى عشر وثمان مائة ذكره السيد السمهودي في تاريخ المدينة. اهـ. قلت: قوله أول من ملك الحجاز منهم الحسن بن عجلان الخ كلام البدر في «تحفة الزمن» يقتضي خلافه وأنه قد تقدم الحسن في الولاية أسلافه، وعبارته: ومن أولاده - أي عبد الله المحض - أمراء مكة المشرفة في زماننا وما قبله.

بنو نُميّ:

منهم عجلان بن أبـي رميثة أمير مكة بن أبـي نمي، ثم ساق شجرة نسبهم إلى أن قال: وكان لعجلان أخوة ينازعونه في الأمر ولم يظفروا ثم أدلى بها إلى ولده أحمد في حياته فاستاس الناس وأحسن وعَدَل وأقام الحدود حتى توفى حميداً. قلت وولّي بعده أخوه السيّد حسن بن عجلان فنشأ نشوءاً كريماً مهيباً وقويت شوكته وربما هَمّ به صاحب مصر مكروهاً ثم استقدمه إلى مصر فَقَدِمَ عليه خائفاً من شره فأكرمه وولاّه ووقفه عنده حتى توفي بعد عشرين وثمانمائة وله عدة أولاد وُلّي منهم السيّد بركات وأكثر الناس يذكرونه بحسن السيرة، أصلح الله وُلاةَ المسلمين آمين. واجتمعت بالسيّد بركات في حجتي الثالثة في سنة سبع وثلاثين في المدرسة الباسطية وأطلق لي تسعة أحمال وحِلْيَه جزاه الله خيراً، ولمّا تولى السلطان جمقمق سلطان مصر عَزَل بركات وولّى أخاه إبا القاسم، فأقام فيها نحو سنتين ثم عطف الله قلبه إلى بركات فولاه وقد أتاه إلى مصر متلطفاً له فأكرم مَقْدَمَهُ وأحسنَ إليه، وعاد إلى مكة ففرح به أكثر الناس. اهـ. فهذا يدل على أنه قد تقدم الحَسن غيره اللهم إلاّ أن يريد بقوله: وأول من ملك أوليّة نسبيه أي بالنسبة إلى مَنْ بعده. قلت وذريتهم إلى وقتنا هذا - وهو عام تسعةٍ وعشرينِ بعد ثلاثمائة وألف - هم أمراء مكة المُكرّمة كلما مات واحد منهم أو عُزلَ خَلَفَهُ آخر منهم.

نجـوم سمـاء كلمـا انقـضّ كـوكـب بـدا غيـره تـأوى إليـه كـواكبـه

وهم غير مستقلّين بالأمر في مكة بدليل أنه لا يتولّى أحد منهم بها إلاّ أن يكون أحد عشيرته مقيماً بالاستانة العليّة لدى الدولة العثمانية ولكن مع التكريم والاحترام وربما أُدخِل في شورى الدولة، وأيضاً لا بد من وجود أمير من آل عثمان متولياً بمكة، ويدل لهذا ما سيأتي في ترجمة الشريف حسن بن أبـي نُميّ وابنه أبـي طالب من طلبهم لمنشور من السلطان مراد أحد سلاطين آل عثمان متضمن لتقريرهم على

ولاية مكة، وقد ترجمهما الشيخ محمد المُحِبّي في «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»[1] فقال ما لفظه:

الشريف حسن بن أبي نُمَيّ:

الشريف حسن بن أبي نُمَيّ محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعيد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ذكره الشهاب في كتابه وأطال الثناء في ترجمته وذكره الشلّي في تاريخه وقال: ولد لسبع في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، وأمّه فاطمة بنت سباط بن عنقا بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي نُمَيّ بن أبي سعيد بن علي بن قتادة، حَمَلت به سنة وفاة جده بركات ونشأ في كفالة والده سعيداً رئيساً حميداً، ولبس الخلعة الثانية بعد وفاة أخيه أحمد في سنة اثنين وستين وتسعمائة ثم فَوّض إليه والده الأمر فلبس الخلعة الكبرى التي لصاحب مكّة، ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية، واستمر مشاركاً لوالده في الأمر إلى أن انتقل والده يوم تاسوعاء سنة اثنتين وتسعين وتسع مائة، فاستقلّ بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضَبَط الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمِنت البلاد، واطمأنت العباد، وقطِعَ دابر أهل الفساد، فكانت القوافل والأحمال تسير بكثرة الأموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك، وخافهُ كل مقدام فاتك. وكان عظيم القدر مفرط السخاء بصيراً بفصل الأمور شُجاعاً مقداماً حاذقاً فراسة عجيبة، حُكِي أنه سُرِقَت الفرضة السلطانية بجُدّة وضاع منها قُماش له صورة وأموال كثيرة ولم يُكسَر بابها ولا نُقِب جدارها ولا أثرِ بحال عليه مُعَرِّفة المطلوب والطالب بل حبل مسروق من بعض الحوانيت، فلما عُرِض عليه طَلَب الحبل ثم شَمَّهُ ثم قال: هذا حبل عطّار، ثم دفعه إلى ثقة من خدمه وأمرهُ أن يدور على العطّارين فعرفَهُ بعضهم وقال: هذا حبل كان عندي اشتراه مني فلان ثم نُقِل من رجل إلى رجل إلى أن وصل لشخص من جماعة أمير جُدّة، ثم وُجِدَت السرقة بعينها في المحل الذي ظنّها فيه. ومع ما كان فيه من هذه الصفات كان صاحب فضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار غريب، حَكَى البَديعي[2] في كتابه الذي ألّفهُ في حيثيّة المتنبي وسمّاه «الصبح المُنبي عن حيثية المتنبّي» عن بعض علماء القاهرة ـ وأظنه أحمد الفيومي ـ

(1) المؤرخ محمد أمين المُحِبّي المتوفي بدمشق سنة (١١١١هـ).
(2) يوسف البديعي: أديب دمشق، توفي ببلاد الروم سنة (١٠٧٣هـ).

قال كنت في حرم البيت المنيف فدعاني إلى زيارة الأماكن الشريفة حسن الشريف وسمع بذلك لدعوة أحد بني عمه الكرام فسارع إلينا مسارعة القطر من الغمام واتفق أن سقط من يده الكريمة خاتم به حجر ثمين القيمة فقال له: لمَ لا تقف لطلب ذلك الخاتم الثمين؟ فقال له: ألست من أبناء أمير المؤمنين؟ فَلَمَّح الشريف إلى قول أبي الطيب:

بَليتُ بِلى الأطْلالِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا ... وُقُوفَ شَحِيحٍ ضاعَ في التِّرْبِ خَاتمُهُ(1)

ولَمّح ابن عمه إلى قول المتنبي أيضاً:

كَذا الفاطِمِيُّونَ النَّدَى في أَكُفِّهِمْ(2) ... أَعَزُّ انمحاء مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ

والبيت الأول من قصيدة للمتنبي كثيرة العيوب. وحَكَى بعض أهل الأدب في مجموعٍ ذكَر فيه بعض محاضرات أدبية أن بعض بني عم الشريف حسن ورد ناديه وهو يجر ذيلي التيه والحميّة الهاشمية فتصدّر عليه بعض من حضر ذلك المجلس فتجعدت أساريره وظهرت حدة طبعه فلما فطن الشريف حسن لذلك قال: إنه ليفودني للعجب ويهز من عطف أريحيتي ساعد الطرب قصيدة أبي الطيِّب التي أولها:

فُــؤَادٌ مَــا تُسَلِّيــهِ الْمُــدَامُ ... وَعُمْــرٌ مِثْــلُ مَــا تَهَــبُ اللِّئَــامُ(3)

فتلتني بذلك وتبسّم وجهه بعد القطوب لأنه عَلِمَ تلميحه إلى قوله فيها:

ولَــوْ أن المقــام لــه عُلــوٌ(4) ... تَعَــالَــى الْجَيْــشُ وانْحَــطَّ القَتَــامُ

وفي سنة ثمان بعد الألف أمَر أمراء الحُجّاج أنْ يُلْبِسُوا الخلعة الكبرَى ولده أبا طالب وهو يومئذ أكبر أولاده وولي عهده في بلاده، والخلعة الثانية لولده عبد المطلب فلبسها أياماً ثم جَهّز تابعه بهرام بهديةٍ سنيةٍ إلى السلطان محمد بن مراد والتمس منه تقريراً لولده أبي طالب، فرجع بهرام بجميع ما التمسه الشريف ولم يزل يُنَفِّذ الأحكام إلى أن رمَى بسهم الحمام:

ومــا هــو شخــصٌ قضــى نحبــه ... ولكنــه أمّــةٌ قــد خلَــتْ

على أنه لم يمت من بقيت مآثره، ونُشرت مِنْ بَعْد ما طَوَى مفاخره، فكيف بمن

---

(1) شرح ديوان المتنبي (٤/ ٣٥).

(2) الديوان: بَنانهم، (١/ ١٩٧).

(3) شرح ديوان المتنبي (٤/ ١٤١).

(4) هكذا في النسخة «أ» و «ب» والصواب: ولو لم يعل إلا ذو محلٍ.

خلف ذكراً حسناً مِنْ أولادٍ كرام، وذُرِّيّة فخام، فأولاده الذكور: حسين وأبو طالب وباز وسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وإدريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المنعم وعدنان وفهيد وبشير والمرتضى وهزاع وعبد العزيز وجواد الله وعبد الله وبركات ومحمّد والحارث وقانباي وآدم. اهـ. ثم أطال في ترجمته وساق باباً مستقلاً في ذكره بأرجوزة للسيد الإمام العلامة عبد القادر الطبري سمّاها «حُسن السيرة» وشرَحها بشرح سمّاه «حُسن السريرة» ذكر فيه سيرته ومناقبه وكثرة ذكائه وفطنته وما منحه الله من الفضايل إلى أن قال في آخرها: وكانت وفاته ليلة الخميس لثلاث خلت من جمادي الآخرة سنة ١٠١٠ عشرة بعد الألف في مكان يُقال له الرفاعية، بعد أن توعك نحو يومين وحُمِل إلى مكة على محفّة الرعال وجُهّز في ليلته وصُلّي عليه في المسجد الحرام في محفل جَمع من العلماء والأشراف والعامة ودُفن بالمعلاه وبُني عليه قُبة عظيمة، وله من العَمر نحو تسع وسبعين سنة. واستقلّ بعده ابنه الشريف أبو طالب.

أول من وُلّي مكة الشريف قتادة:

وأول من وُلّي مكة من أجداده الشريف قتادة بن الشريف إدريس، أخذها من ملوكها الهواشم في سنة سبع أو ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة، واستمر مُلكهم إلى هذا الحين، أدامه الله تعالى. وقد جَمع الإمام محمد الشلّي[1] باعلوي رسالة فيمن ملك منهم من قتادة إلى ملك زمانه، والله تعالى أعلم. اهـ.

من لطايف الشريف حسين بن أبي نُميّ:

قلت وما يُستحسن إيراده هنا مناسبةً لما ذُكر في ترجمة الشريف حسن من اللطايف الدّالة على ذكائه المفرط وشدة استحضاره ما رُوِيَ من أنه حضر المعرى في مجلس الشريف الرضي فنال الشريف من المتنبي فقال المعرى أتذمه لو لم يكن له إلا:

لَـكِ يَـا مَنَـازِلُ فِـي القُلُـوبِ مَنَـازِلُ

فقال الشريف: إسحبوه برجله، فعجب بعض الحاضرين من ذلك وسأله عن السبب فقال: إنه يُلَمّح إلى قوله في القصيدة:

وَإذَا أتَتْـكَ مَـذَمَّتِـي مِـنْ نَـاقِـصٍ   فَهِـيَ الشَّهَـادَةُ لـي بِـأنّـي فَـاضِـلُ[2]

---

(1) محمد بن أبي بكر الشلّي: مؤرخ حضرمي عاش في مكة وتوفي بها. من تصانيف: المشرع الروي في مناقب بلعلوي، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر.

(2) معجم الأدباء (٣/ ١٣٤). وفيه: بأني كامل.

ومما يشبه هذا قول صاحب الترجمة وقد دخل عليه الشيخ عبد الرزاق الشيبي - فاتح بيت الله الحرام - يستأذنه في السفر وركوب البحر، فأنشده الشريف قول المتنبي من لاميته:

فيم اقتحامك لُجَّ البحر تركَبُه وأنت يكفيكَ منه مصَّةُ الوَشَلِ[1]

فأنشده الشيخ على البديهة من القصيدة نفسها:

أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها على قَضَاءِ حقوقٍ للعُلا قِبَلي

فأمر له الشريف بقضاء دَيْنه وأمر له بألف درهم، وترك الشيخ السفر.

ومن ذلك أنه لمّا تولّى الأمير فتح في بندر المَخا اتفق هو والأمير بولاد، وكلاهما من موالي أيمة صنعاء، في باب الشاذلي بعد أن عُزل بولاد فقال للأمير فتح: ومَنْ، فأجابه بقوله: ولستَ، ومضى كُلٌّ منهما لحاله فلمّح الأول إلى قول المتنبي من قصيدة:

ومَنْ صحبَ الدُّنيا طَويلاً تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا[2]

ولمّح الثاني إلى قول المتنبي أيضاً من القصيدة:

ولستُ أبالي بعدَ إدراكيَ العُلاَ أكَانَ تُراباً ما تَناولتُ أمْ كَسْبَا[3]

ومن ذلك ما حكاه أبو الفرج بن الجوزي في كتاب «الأذكياء» قال: قعدَ رجل على جسر بغداد فأقبلت امرأة من الرُّصَافة إلى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري، وما وَقَفَا وَمرّا مشرقاً ومغرباً، قال: فتبعت المرأة وقلت لها: إن لم تقولي لي ما قُلتما فضحتك وقالت: أراد قول علي بن الجهم:

عُيونُ المها بين الرُّصافة والجسرِ جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري[4]

وأردتُ أنا قول أبي العلاء المعري:

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالٌ

فتركتها وانصرفت، ذَكَر ذلك الدميري في «حيوة الحيوان». ومن ذلك ما

---

(١) قول على قول (٣/ ٣١١).

(٢) شرح ديوان المتنبي (١/ ١٢٩).

(٣) نفسه (١/ ١٣١).

(٤) قول على قول (٣/ ٢٣٩).

حكي أنه كتب بعض ولاة الأروام إلى بعض أيمة صنعاء يتهدده بقوله: قل ول[1]، فأجابه بقوله: إن وإن، لمح الأول إلى قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2] والمح الثاني إلى قوله تعالى ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]. ومن ذلك قول بعض أئمة صنعاء وقد ولدت فرسه فلوه لخادمه وقد أرسل إليه يسأله عمّا يسمونها فقال له الإمام: الكرم خلقه، فصاح الخدّام بوقته: يقول سيّدي المام[4]: سمّوها المنصور. وهذه تشبه الأحجية لأن لفظة الكرم بمعنى: المَنّ، ولفظة: صوره يعني خلقه، ففهمَ الخدّام ذلك على الفور وركّب اللفظتين فإذا هي: منصورة. وقد أوردت هذه الجُملة خارجةً عمّا نحن بصدده لنوع مُناسَبة؛ والشيء بالشيء يُذكر، والانتقال من أسلوب إلى آخر مما يَحسُن عند ذوي الآراء السليمة.

الشريف أبو طالب بن حسن بن أبـي نُميّ:

ولنرجع إلى المقصود، فنقول أنه قد تَرْجَم صاحب «خلاصة الأثر» لولد صاحب الترجمة وهو الشريف أبو طالب بن حسن بن أبـي نُميّ فقال: الشريف أبو طالب بن حسن بن أبـي نُميّ ـ صاحب مكة والحجاز ـ كان من أمره أن لمّا كبر أبوه فوّض ـ أولاً ـ نيابة الإمارة لابنه الشريف حسين فلم يظل أمره فيها فمات فولاّها شقيقه الشريف مسعود وكان موصوفاً بالشجاعة والقوة لكن لم يسلك فيها مسلكاً مرضياً وتوفي وهو شاب، فآلت إلى أبـي طالب ـ صاحب الترجمة ـ وكان ذا فكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة وفاق ساير أخوته، وبعدما حَكَم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمراء الحجاز أن يُلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا ولده عبد المطلب الخلعة الثانية، فلبساهما ثم جهّز من اتباعه الأمير بهرام بهدية سنيّة إلى الأبواب السلطانية في هذا الخصوص والتمس مِن السلطان محمد خان بن السلطان مراد تقريراً بذلك فأُجيب إلى ملتمسه ورجع بهرام بالتقارير وصوره منشورة مذكورة في ريحانة الخفاجي[5] وهو من إنشائه لكنه مطوّل أعرضت عن كتابته لطوله ويعجبني منه محل

---

(1) قلْ الأولى المقصود بها لنأتينهم بجنود الخ لَ الثانية المقصود بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون اهـ.

(2) سورة النمل، الآية: (٣٧).

(3) سورة آل عمران، الآية: (١٦٠).

(4) الإمام.

(5) كتاب «ريحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا» من تأليف: أحمد بن محمد بن الخفاجي المصري المتوفي سنة (١٠٦٩هـ) ـ انظر: معجم المؤلفين (١٣٨/٢).

وقد ورد من جنابه رسول تلقاه من صبدتنا نسيم

وهو قوله في محافظة الشريف حسن وسهلها وأدّىٰ الأمانات إلى أهلها، وكان كالميل

الفنون. إذ حاب الفيافي من حزنها وسهلها وأمتع العيون بأنجد الصلاح والسداد ومعه منشور أرق من

تسلك بين الجفون فأجاد وأمتع العيون بالأثر، فأخبر أن مرسله أراد الفراغ وما على الرسول إلا

نسيم السحر معرب عن العين بالأثر، فأخبر أنه أراد الاستراحة من تعب المناصب والتقاعد عمّا

البلاغ. وتضمن منشوره المذكور أنه أراد الاستراحة إلى خدمة سيده ومولاه وأن نجله النجيب

بها من المراتب، رغبة عن زخرف الحياة إلى خدمة سيده ومولاه وأن نجله النجيب

الجليل الحسيب الناشئ في حجر الشرف الباهر المُستخرج من أطيب العناصر، ليث

غابة بيض الصفاح وسمر العسّالة الرماخ عليه أمارة الإمارة ومخائل النجابة

والصدارة:

إن الشبــــاب مطيّــــة للســــؤدد ... ملــغ السيــادة فـي إبتــداء شبـابـه

وسأل أن نقلده صارم إمارة تلك الديار وما يتبعها من البلدان والأقطار، على ما جرت فيه عادة سلفه الذي سلف وقانون مَنْ خلفَهُ مِنْ الخَلَفْ، فأجبناه إلى مراده وأمددناه بإسعافه وإسعاده، لأنه إنما نزع صارمهُ من يده إلى يده الأخرى وجعله مِنْ بَعْد يُمن اليُمنىٰ حفي بسار اليُسرىٰ[1]، فسارت الإمارة مِنْ حَرَم إلى حَرَم ولم تخرج من جيران نجد وذي سَلم، وخلعنا عليه حللاً تأنّق واشيها، ورقت حواشيها، ونظرنا إليه بنظرنا الذي هو اكسير أن يُحسن في العمل والتدبير، وينظر إلى الرعايا بعين الرعاية، ويصونهم عن أهل الضلالة والغواية، ويؤمن تلك المناسك ويحرس تلك المسالك، ويختار من قومه من يحرسها من الأعداء، ويحميها من كل قاصر في فعله تعدى، ويبّطل ما فيها من المُكوس والمظالم، ويقيم الحدود على مستحقيها من كل باغٍ وظالم، ليخلد في صحائف تلك البلاد الحسنات، ويمحو ما فيها من آثار السيئاتَ، ويتصرف في بندر جُدّة على العهد القديم، ومَنْ جاوزَ ذلك المقام فلسيعفه بالنعيم المقيم، ومن يُرِدْ فِيهِ بإلحاد بِظُلم نُذِقهُ من عذابٍ أليم، ويحرس الوافدين إلى ذلك البلد الأمين، بإقامة شعائر شرائع الدين، ويحمي بحمايته من ورد أو صَدَر، ويحرس مواردهم الصافية من الكَدر، ويلاحظ ما للخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم مِن صالح الدعوات في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[2]، ثم ليعلم كل من كحّل بصره بإثمد

---

(١) في انقلاب (١٩٥٥م) على الإمام أحمد من أخيه السيف عبد الله كَتَب أحمد التنازل بهذه الصيغة: [نقلتها من يدي اليمنى إلى يدي اليسرى] والقصة مشهورة.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

منشورنا الكريم وشنّف مسامعه بلئالىء لفظه العظيم، ممن في دائرة تلك المدار، وهالة تلك الأقطار، وانتظم في سلك سكان القرى والأمصار، من السادات الكرام، والقضاة والحكام، وولاة الأمور من الأعيان، والوافدين على تلك الديار والسكان، أن امارة تلك المعاهدة وما فيها من العساكر، وما أحاطت به من الأصاغر والأكابر، وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب، مفوضة إلى السيد أبي طالب، ناظراً بعين الإنصاف، متجنباً سبيل الاعتساف، ويصرف المستحقين بحسن التصريف، ويصرف من لا يستحق برأيه الشريف. أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام، وفوّضنا إليه النقض والإبرام، والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم، محققة لما فيه من منطوق ومفهوم، فليتحقق من وقف على هذا الخطاب، ومن عنده عِلم الكتاب، من أهل مكة وما في جوارها، وطيبه الطيّبة وسائر أقطارها، وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور، من حاضرها وباديها، أنّا أعطينا القوس باريها.

فلم تَكُ تصلح إلاّ له ... ولم يك يصلح إلاّ لها

سدّد الله سهام رأيه في أغراض الصواب، وفتح له بمفاتيح النّهر كل مغلق من الأبواب، ما سقطت من كف الثريا الخواتم، ورقت على منابر الأغصان خطباء الحمائم والسلام.

واستمر أبو طالب تحت مراعاة والده إلى أن مات أبوه في سنة عشرة بعد الألف، ولحقه أخوه عبد المطلب فاستقل بالمُلك من غير شريك فيه، وهنّاه الله تعالى بما صار إليه، وأصلح الله تعالىٰ به أمور البلاد والعباد، وقام بأعباء المُلك وأظهر السطوة وقهر الأكابر والأعيان على الإنقياد لأوامره، والانزجار لزواجره، فهابته النفوس، وأنصف في أحكامه، وسار السيرة المرضية. وكان حَسن الهيئة، شديد الهيبة، فإذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته. وكانت تخافه البوادي وأهل النوادي، وكان سخياً ندي الكف، ومما يُحكَى من كرمه أنه زار النبي ﷺ - قبل أن يلي أمر مكة - فلما أمسَى نزل في وادٍ هناك هو ومَنْ معه فأضافه رجل من أهل الوادي يقال له السوداني، فذبح الذبايح ومد الموايد وقدّمها، ثم بلغهُ أن الشريف أبا طالبْ لم يأكل من ذلك الطعام ولم يَحضُره لِشُغل عَرَض له، فعَمد السوداني إلى أربع أو خمس دجاجات فذبحهنّ وطبخهن وقدمهُن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني، وجاء بها إليه وقال له: يا سيدي هذا عشاء عبدك اجبر خاطره جَبَر الله خاطرك، فَغَسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له، فلمّا استقلّ بالولاية وَفَدَ عليه السوداني بعد سنةٍ فقال له الشريف الزبدية التي تعشينا فيها عندك، فقال نعم، فقال: أئتني بها، فملأها له ذهباً، وله كثير من هذا القبيل. ولأهل عصره

وبه مدائح كثيرة، فمنها قول الإمام عبد القادر الطبري مُهنياً له في بعض غزواته:

بسُمر القَنا وببيض الصوارم   تنال العُلى وتنال المكارم
وبالمرسلات منوع المُنى   وبالعاديات نوال الغنائم
ولو لم يحل ليل ذاك العجا   ج لما أشرقت شمس تلك المعالم
ولي سيد ماله في الوغى   شبيه سوى جده ذي العزائم
بجيش الحروب ويجلو الكروب   وينفي اللغوب ويزري بحاتم
لقد ذكرتنا فتوحاته   مغازي الأئمة من آل هاشم
له النصر بالرعب من أشهر   ومن شانه قسم مال الغنائم
إذا ما بدا للعدا جحفل   ولم يك فيه فكل مقاوم
وإن قيل فيه أبو طالب   فمن ذا يلاقيه إلاّ مسالم
تراه يخوض بحور النحور   بجرد تجاذب جذب الطرائم
هي البرق في السبق لو لم تكن   لها غزوات بتلك الحماحم
يحق لها الزهو بابن النبي   سليل الصفي عليّ المعالم
من اتخذ الدرع تعويذة   وطول النجاد تمام التمائم
سناء النبوة في وجهه   كفى شرفاً عن طراز العمائم
وأوصافه الغر بين الأنا   م بها غُنيةٌ عن طوال التراجم
فما حاول الخطب إلا وكا   ن له الفتح والنصر عبداً وخادم
فيا سيداً شدت كل الملو   ك من الخلص العرب ثم الأعاجم
فهل ملك أنت في الأرض أم   مليك فَعَذلَكَ أنسى المظالم

وبالجملة فهو من سراة الأشراف ومشاهير ولاة الحجاز، قال الشلّي: وكانت ولادته في سنة خمس وستين وتسعمائة، وتوفي ليلة الإثنين لعشر بقين من جمادي الآخرة سنة اثنتي عشرة بعد الألف، بمحل يُقال له العَشّة[٢] عن جهة اليمن وحُمِل إلى مكة ودُفن بالمعلاة وبُني عليه قبة كبيرة تزار. انتهى ما ترجمه به صاحب «الخلاصة». وقد ترجمه جماعة منهم في تاريخه هذا، نفع الله بهم، وما زال الأمر في أيديهم من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا.

الشريف عون الرفيق باشا:

ومنهم ممن تولى الإمارة في وقتنا هذا الشريف عون الرفيق باشا بن محمد،

---

(١) **العَشّة**: بفتح العين وتشديد الشين. بلدة ومديرية من أعمال محافظة عَمْران، تقع في الغرب الشمالي من مدينة حُوث خيمة بينها وبين القفلة.

ترجمه السيّد العلاّمة مفتي الحرمين أحمد بن زيني دحلان في تاريخه المسمّى «تاريخ الدول الإسلامية» فقال: كان بالأستانة في رتبة الوزارة منذ وُلّي أخوه الحسين فولّي الإمارة في أربع وعشرين من ذي القعدة من سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين بعد انفصال الشريف عبد المطلب، وكان الوالي عثمان باشا أقام أخاه الشريف عبد الله باشا للإمارة استقلالاً، خَوْف الفتنة، وَعَرَض للدولة ذلك فما أجازت الدولة ذلك. ووصل صاحب الترجمة جُدّه يوم عرفة ـ أول النهار ـ وكان يمكنه إدراك الحج ولكن تخلّف عنه خوفاً من انقطاع بعض من معه من أعيان الدولة وبعض أعيان مكة، وقد قام بلوازم الحج أخوه الشريف عبد الله باشا لمقابلة أمراء الحجيج والحج بالناس إلى غير ذلك، ووصل سيدنا الشريف عون مكة يوم عشرة من ذي الحجة وهو باقٍ إلى وقتنا هذا، ربنا يوفقه لصلاح العباد والبلاد، وكانت ولادته في آخر ذي الحجة سنة ١٢٥٦ ستة وخمسين ومائتين وألف. اهـ.

قلت: وكانت سيرته مرضية والغالب عليه الخير، وكان متواضعاً حَسن الأخلاق، أخبرني الشريف حمود بن علي بن محمد صاحب المعترض[1] أنه عام حَجّ وصل إليه فواجهه بالإكرام وحُسن الخلق، وكان قبل دخوله عليه قد لقيه أناس مِن أهل مكة وأشاروا عليه بعدم الدخول لكلام القوه عليه في حقه فلم يلتفت إلى قولهم ولمّا دخل عليه وجده بخلاف ما قيل له، وكانت تُنْسَب إليه أفعال لا تليق به الله أعلم بصحتها. ثم تولّى بعد وفاته الشريف علي بن عبد الله باشا في سنة . . .[2] فسار سيرة حسنة، وكان سبب تولّيه بسعي أحمد راتب باشا المتولي من طرف الدولة في مكة لِمَا بينهما من المودة الأكيدة، وكان أحمد راتب ـ هذا ـ صاحب أموالٍ جسيمة وله مراكب في البحر كثيرة وبَيْع وشراء في كل بلدة ثم لمّا وقعت الوقايع الآتي ذكرها يوم خلع السلطان عبد الحميد أخذ فيمن أُخِذ وأُرْسِلَ إلى الأستانة وقبضت الدولة على أمواله، ثم إنهم اتهموا صاحب الترجمة بأن عنده شيئاً من أموال أحمد راتب فهمّوا بالقبض عليه فأنذر بذلك فجمع خُدّامه وتوجه إلى الطائف ومكث بها مدة ثم توجه إلى المدينة المنوّرة بصورة زاير، ثم بعد الزيارة ركب في البابور البرّي إلى مصر واتّخذها دار إقامة، وهو الآن بها. ثم تولّى بعده ابن عمه الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون فسار سيرة حسنة وأثنىٰ عليه أهل مكة والحجاج الوافدون إليها بالخير والصلاح، وتَواتَر أنه ينزل آخر الليل مختفياً منفرداً إلى الحرم

---

(١) المعترض: منطقة ما بين عَبس بن ثواب ومدينة الزُهرة، عِدادها اليوم من مديرية حرص وأعمال محافظة حَجّة.

(٢) فراغ بالأصل.

عظيمة ويذكر أن عندهم من الذهب ما يحيله العقل، ولكن ما يبعد ذلك لأن كل من تولى منهم نال من قبل الدولة أموالاً جزيلة وجمع خزانة فيتركها لخلفه ويجمع خلفهُ مثل ذلك وهكذا. وقد انتقل منهم إلى اليمن الشريف خيرات بن شبير بن بشير بن أبي نُمي بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نُميّ بن سعد بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسَن بن الحسن السبط الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

نسبٌ عليه من النبوّة رونق ومهابة وجلالة وظهور

نسبٌ كأن الشمس بعض عقوده وعلى حواشيه النجوم سطور

فنزل بأبي عريش وتوطنها، وانتشرت منه الذُرّيّة المباركة فملكوا تلك البلاد واستفاضوا عليها وعلى أكثر اليمن، ودانت لهم العباد ولكن لا استقلالاً بل من طرف أئمة صنعاء إلا الشريف حمود ابن محمد بن أحمد الآتي ذِكْرَهُ - إن شاء الله - فإنه استقلّ في أثناء مدته بالمُلك وغلب على أكثر الجهات اليمنية وضرب سكةً باسمه يتعامل بها الناس ولم يكن أحد من سلفه ضَرب السكة باسمه غيره، وإلا الشريف الحسين بن علي بن حيدر بن محمد بن أحمد - الآتي أيضاً - فإنه ملك اليمن من طرف الدولة العثمانية وبه انتهت دولة الأشراف في اليمن، وقد أُلِّفت في سِيَرهم الحسنة ودولتهم المُستحسنة مؤلفاتٍ عديدة فألّف القاضي العلامة عبد الرحمٰن بن حسن البهكلي «العسجد في أيام محمد بن أحمد»[1] وألّف أيضاً «نزهة الظريف في سيرة أولاد الشريف»[2]، وألّف القاضي العلاّمة عبد الرحمٰن بن أحمد البهكلي «نفح العود في دولة الشريف حمود»[3] وذيّله القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش لأن «نفح العود» انتهىٰ إلى خمسة وعشرين بعد المائتين والألف والشريف حمود عاش بعدها إلى عام ثلاث وثلاثين فتمم القاضي حسن ما بقي من

---

(1) «خلاصة العسجد في أيام وحوادث دولة الشريف محمد بن أحمد» ضمنه أخبار هذا الأمير الذي حكم من سنة (١١٤٣) إلى سنة (١١٨٣). من الكتاب نسخة مخطوطة بالجامع الكبير برقم (٣٨) تاريخ وقد عمل عن الكتاب دراسة حصل بها على درجة الدكتوراه الدكتور هاني زامل

(2) «نزهة الظريف» منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء. خ جامع الغربية (٣١٤) مجاميع. وله يضاً: «العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف بن أحمد بن غالب» في تاريخ المخلاف السليماني إلى سنة (١١٠٥هـ) خ جامع الغربية (٧٥).

(3) خ جامع صنعاء تحت رقم (٢٢١٦).

المدة[1]، فحَقّقوا في هذه المؤلّفات سيرهم المرضيّة، وهممهم العليّة، ودولتهم المرعيّة، ووقايعهم التي ظَهرت بها شجاعتهم العلوية، من كل كمي هزبر هصور، وغضنفر على أعدائه منصور، وبَاسِل له في كل وقعة على من خالفه ظهور، بأعلا ذروة المجد كائن، وعلى هام السماكين بهمته العلية ساكن، ذوي الرأي السديد الحسن، والسيادة القعساء على أهل الشام واليمن، مع القيام بشعائر الدين على النهج الأقوم والمشي على خير سنن، فكانت أيامهم غرراً في جبين الدّهر زاهرة، ودولتهم بنشر العدل والإنصاف عاطرة، وبإقامة الحدود الشرعية سامية طاهرة، وأوقاتهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامرة، ورعيّتهم لِحُسن المعاملة والسيرة شاكرةً، وبِحار جودهم فائضه على الأنام قبل السؤال، وتيّار إحسانهم جارٍ بين الورى بأعظم نوال.

عَلِمـــوا أن يـــؤملـــون فجـــادوا قبـل أن يسـألـوا بـأعظـم ســؤال

ومن راجع المؤلفات المذكورة، وأجال نظره في فضائلهم المزبورة، عَلِمَ ما أكرمهم الله به من الصفات الكاملة التي ورثوها عن جدهم سيّد المرسلين، ووصيّه وأخيهِ إمام المتقين، من الشجاعة والشهامة والحزم والعلم والعمل والحلم والصفح والكرم والمجد والسخاء والتواضع والاستقامة والرِفق والرأفة والشفقة واليقين، وما أحقهم بقول القائل:

أُصـدق واعـف وبِرّ واَصْبِر واحتمـل واصفـح وكـاف ودَارِ واحلـم واشجـع
والْطُـف ولِـنْ وتـأَنّ وارْفِـق واتئـد واحْـزِم وَجِـد وحـام واحمـل وادفـع

ومن أراد الوقوف على ذلك، فليراجع ما هنالك، وسأشير إن شاء الله إلى شيء يسير من تراجم بعضهم وأُلْحَق بالسابقين منهم من تيسّر من اللاّحقين من ذريتهم الموجودين في وقتنا هذا ومَنْ قَبْلهم الكائنين في جهتنا هذه لمعرفتي بهم دون من سكن منهم في الصامطة وأبـي عريش وما والاها، فليس لي بهم خبرة وقت رَقم هذا لعدم ترددي إلى تلك الجهة بل لعدم وصولي بالكلية، إلا أن يكتب الله لي الوصول أو يمن بمن يحقق ذلك، واقتصاري على من ذكرته منهم هاهنا إنما هو لقصد الاختصار واكتفاء بذكرهم في المؤلفات المذكورة، على أن سيرتهم المشهورة، ومناقبهم وفضائلهم المأثورة أشهر من نار على منار، ولو استوعبت تراجمهم لاتسع الميدان، والفقير ليس من فرسانه، ولا أحكم لجواد فيه بعنانه، فإن ترجمة كل واحد منهم على انفراده تحتمل جملة من الأوراق، مع أني ما وقفت من هذه المؤلفات إلا

---

(1) للذيل عدة نسخ، منها بالمكتبة العقيلية بجيزان، وأخرى في جامع صبعه برقم (١٩٥) مجاميع.

على قطعة من «العسجد» مفقودة الأول والآخر و «نزهة الظريف» و «الذيل» فقط وأما «فح العود» و «الذهب المسبوك» فلم أرها. قلت: وقد وقفت بعد هذا على «الذهب المسبوك» ونقلت منه كما تراه إن شاء الله فيما سيأتي.

أول من خرج من مكة إلى اليمن الشريف خيرات بن بشير:

وهذا أوان الشروع في المقصود من ذلك، فأقول ذَكَر صاحب «العسجد» بعد أن ساق كلاماً ما لفظه: أول خارج منهم - أي من مكة - هو الشريف خيرات بن بَشِير بن أبي نُمي وبقية النسب منه إلى أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب - عليه السلام - أبهى من الشمس في رابعة النهار، وأضوى من القمر ليلة الأبدار. وبشير هو شقيق حسن بن أبي نُميّ جد ملوك مكة في زماننا ذوي زيد وأمهما الشريفة فاطمة بنت شباط(١) كما أفاد بذلك القاضي أحمد بن المقبول الأسدي المعروف المكنى بأبي الفضائل في تاريخه المُسمَّى بـ «الجواهر الحسان في أخبار أبي عريش وجَازان». وأمّا سبب خروجه من مكة المُشرّفة فأخبَرني من وَثِقت بخبره أنّه لمّا رأى إنطماس المذهب الزيدي - شرّفه الله تعالى - بمكة - عمّرها الله تعالى - وعُدُول كثيرٍ من أشرافها عنه، لا لترجيح علمي بل لغرض في الأغلب دنيوي، أنف من مساكنتهم على ذلك فخرج إلى اليمن. وقيل أن السبب غير ذلك والله أعلم بما ظهر وبطن، وكان وصوله إلى اليمن في أواخر القرن الحادي عشر في خلافة إمام ذلك الزمن مولانا الإمام أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن القاسم أمير المؤمنين رضوان الله عليهم، آمين.

ولمّا بلغ مدينة أبي عريشٍ بقضه وقضيضة اختار للنزول موضعاً غربي المدينة المذكورة وهو محل ديرتهم الآن المُشيّدة البنيان، وترك «أثقالَهُ» وعائلته هنالك، ثم ارتحل إلى الإمام إلى قرار أوطانه والممالك فتلقّاه بالقبول، وأجرَى عليه من إحسانه ما يفوق به على نظرائه ويطول، وقرّر له من بندر جازان ما يقوم بأوده فطاب له النزول والحَلول. وكان لهذا الشريف رحمه الله علاقة في فن الأدب، ومشارفه في العلم تميزه على غيره من أولي الرتب، واستفاد به بعض فقهاء المدينة العريشية في فن العربية، ولم يزل معاهداً للإمام، جارياً على قواعد الإعزاز والإكرام حتى انتقل إلى جوار الملك العلاّم، ودُفن بمقبرة الأشراف المنسوبة إليه، وعنده قبور جماعة من أولاده وأحفاده رحمة الله عليه وعليهم.

(١) في نسخة أ: سباط بالسين.

أول من وُلّي جهة المخلاف السليماني من الأشراف أحمد بن محمد بن خيرات

وأعقب ثلاثة من الأولاد الذكور، وهم: الحسن بن خيرات، ومظفر بن خيرات، ومحمد والد الشريف أحمد وهو أول من وُلّي الجهة من هؤلاء الأشراف كما سنبيّن ذلك إن شاء الله في غضون هذه الوقائع الطراف. فالولدان المذكوران أولاً انقطع عَقِبهما وبقي النسل جميعه من محمد بن خَيرات، وأولاده ـ غير الشريف أحمد ـ أربعة هم: الحسين بن محمد ومبارك وحوذان وعلي، منهم عَقب مشهور وسيأتي ذِكر من دَعَت الحاجة إلى ذكره إن شاء الله في هذا المسطور.

إذا عرفت أيها الناظر هذا، فقد أفدناك أن أول من ملك هذا المخلاف السليماني من أهل هذا البيت هو الشريف أحمد بن محمد رحمه الله تعالى، وهذا أوان الشروع في المقصود بإعانة الله وتوفيقه، فأقول أنّ ابتداء دولته في السنة الحادية والأربعين بعد المائة والألف وولايته مقاربة لدولة المَوْلَى أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين الحسين بن المتوكل على الله القاسم بن الحسين المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن الإمام أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليهم ورضوانه[1]. وكانت ولاية الشريف سعاية من الأمير الشهير عبده جوهر، وهو عامل يومئذٍ ببندر اللُّحيَّة من جهة الخليفة المذكور وإليه الزَّيدية ومَوْر، ولعل أمر النظر فيمن يصلح لعمالة المخلاف السليماني كان منوطاً به، والسبب في تولية هذا الشريف أنه كان أمْر هذا المخلاف ـ من حدود وادي بيش إلى مدينة حَرَض ـ غير موجه إلى عامل واحد بل كان في أيدي عمال مختلفي المقاصد، وكثيراً ما يحصل بينهم الشقاق والخلاف كما هو شأن الخلطاء ومن في حكمهم من الاختلاف، وكانت مدينة أبي عريش وما في حيِّزها من وادي جَازان وبندره إلى حدود حَرَض تتعاورها أيدي العمالة، فتارةً تكون بأيدي السادة القطبية وتارةً يليها السادة آل المرتضى وربما توجه إليها عامل من بيت الإمام ـ نادراً ـ وحيناً يتولاها بعض عبيد الإمام، ما يستقر بها عامل ولا يأمن غالباً من الغوائل. وأمّا وادي ضَمَد فكان إلى مدينة صَبْيَاء مع جهاتها الشامية من القرى البيشية[2] فهي لا يزال عاملها من الأشراف الخواجيين ولا يكون العامل إلا منهم وإن وقع النزاع في ذات بينهم.

واستمر الحال على هذا من بعد خروج الشريف أحمد بن غالب كما قدمنا تاريخ خروجه إلى هذا الأوان، حتى أنها قويت شوكة الأعراب واتسع بكثر تلك الجهات

---

(١) مدة حكم الإمام المنصور الحسين بن القاسم من سنة (١١٢٧) إلى (١١٣١هـ) أي ما يقابلها بالميلادي من عام ١٧١٥ م إلى ١٩١٨ / ١٧١٩ م.

(٢) نسبةً إلى بيشة تابعة لجيزان.

ولربما أشرف بعضها على الإندراس والذهاب، فروَى لي الثقة أنه وقع من الحرب من بعض التجار المتسببين(1) ببندر جازَان ومعهم غيرهم من الأعيان طلبَ الرفع إلى حضرة الأمير عبده جوهر السابق ذكره وعَوّلوا في ذلك علي السيّد العلاّمة عالي الهمة، ومرجع أهل الخلاف في عصره عند كل مهمة، نور الإسلام علي بن بشير بن عني النعمي رحمه الله أن يعاونهم في إقامة الشريف لِمَا عرفوه فيه من الرئاسة والحزم والعزم وحسن السياسة، ورَجَوْا إصلاح أحوالهم على يديه، وعوّلوا في هذا ـ بعد الله سبحانه ـ عليه، ففعل السيّد ذلك وساعده الأمير وأسعدت على ذلك المقادير، فبرز له من حضرة الخليفة المنصور خط يتضمن العمالة كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله بعون اللطيف الخبير. اهـ.

ثم ساق ما وقع له من الحروب وغيرها إلى أن قال: وكان جارياً في أغلب أحواله على السداد والمسايرة الحسنة لكافة العباد، فيلين في موضع اللين، ويخشن في مواضع التخشين، فآمنت بولايته الناس، وذهب عنهم السوء والباس، متفيئين ظل أمانه، كارعين من أنهار جُوده وإحسانه، ناهياً آمراً تُطيعهُ الأقدار وتتباها بدولته الشهور والأعصار، يتردد في أطراف بلاده ويحميها بأطراف أسِنّته وحداده، حتى اقتطعته يد المنون، وثَوى بجوار الحي القيوم، فأصاب الناس لموته حزن عظيم، ومصاب جسيم، وفعوا منه في المقعد المقيم.

كأن لم يمت مَيْتٌ سواه ولم تقم على أحدٍ إلاّ عليه النوايحُ

وكانت وفاته يوم الأربعاء الرابع من شهر ذي القعدة الحرام عام أربعة وخمسين ومائة وألف بمحل من بلد ولايته يُسمَّى الحقلة ـ بحاء مهملة مفتوحة وقاف ساكنة ـ من بلاد الواعظات، ونُقل منها ميتاً إلى حَرَضْ فَدُفن بها، وبُني عليه بها قُبَّة عظيمة مشهورة مزورة، فمدة ولايته أربعة عشر سنة من غير ازدياد وكلها مواسم وأعياد. وكان ـ رحمه الله ـ شجاعاً جواداً ممدوحاً مقصوداً من الجهات الشاسعة، يفيد قُصّاده العطايا الواسعة..

الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات:

... وأعقب جماعةً من الأولاد، أحقهم وأولاهم بالتقديم ابنه الأكبر القائم بعده في المقام الأظهر، الشريف الهمام، والليث القمقام الهصور، محمد بن أحمد المذكور، فتحمّل الاعباء، وتصدّر للأنباء، ورَفعَ بوفاة أبيه إلى حضرة الخليفة، فعادت إليه الجوابات الشريفة القاضية بإقامته في مقامه، وتوليه لِمَا كان يتولاه والده

(1) يقصد الباحثين عن الرزق بالاشتغال بالتجارة.

نقضه وإبرامه فضبط البلاد، وقرر أحوال الأجناد، ونظم أمر الرعايا فاطمأنت عند ذلك أنفس العباد، وأنشد لسان الحال قول من قال:

إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قؤول بما قال الكرام فعولُ

وقد كان همّ بمنازعته عمه الشريف حوذان بن محمد لكنه لم يتمكن من شيء لما رأى من انقياد العامة والخاصة له طوعاً وقهراً، وامتثالهم لأوامره ونواهيه سراً وجهراً، ولمّا وصل تأييد الخليفة له بتلك النيابة، أعرض عن المعارضة في ذلك وسلك سبيل الإنابة. وفي المحرم من السنة الخامسة والخمسين أو في آخر ذي الحجة من الأولى، وصل الشريف محمّد إلى أبي عريش فقصده أعيان المخلاف للعزاء وافتقد الخزائن والآلات وأجرى لأهل الحقوق ما تعودوه من العادات. ولم يزل يحصل بينه وبين عمه الشريف حوذان المنافسة والمناقشة بسبب المقررات، حتى أدّىَ الحال إلى خروج الشريف حوذان وارتحاله عن الأوطان، وتوجه إلى مدينة بيت الفقيه ابن عِجَيْل وبها إذ ذاك الأمير الماس عبد الرحمٰن عاملاً من جهة خليفة الزمان، موجهاً إليه كافة البنادر الإمامية والمدائن اليمنية التهامية من بندر المخا إلى حدود مَوْر، وشأنه فيها مشهور مذكور، وكان هذا الأمير من أهل الكرم والسماحة والتدبير والرجاحة واصطناع المعروف الكثير إلى الناس على طبقاتهم لا سيما أهل البيت النبوي فإنه كان يعتني بهم غاية الاعتناء رعايةً لحق جدهم المصطفى، حتى طار ذكره كل مطار وامتلأ بحميد صفاته كثير من الأقطار، وبلغ صيته إلى مكة المشرفة، فقصده أرْبَاب الحاجات من هنالك لتحقيق المعرفة.

يسقط الطير حيث يَلْتقط الحَبّ وتُغْشَى منازل الكُرماء

وكان بينه وبين الشريف حوذان سابقة إلْفة وقديم معرفة، فنظر إليه بعين الإنصاف والإجلال، وحرصَ على توجيه أعمال المخلاف السليماني إليه بالاستقلال، ولكنه لم يتمكن من ذلك في تلك الحال، فبقي عنده أياماً ثم توجه إلى شريف الحضرة ولعله يحاول الوصول إلى ما يطلبه من الأمر ولمّا لم يقف على طائل عاد إلى حضرة الأمير فتوسط بالصلح بينه وبين ابن أخيه والتزم له بأن يعيد عليه جميع ما يتعوده من المقررات فعاد إلى وطنه بأبي عريش. اهـ.

ثم أنه ساق ما وقع للشريف من الوقائع والحروب، ومن محاسنه ما يجل عن الوصف وما ملكه من البلاد وذلك على تعدد السنين فإنه عاش إلى عام أربعة وثمانين، فمن أراد الوقوف على ذلك وتحقيق ما هنالك فعليه بمطالعة هذا المؤلف الذي أُلف خاصةً في دولته الحسنة وسيرته المُسْتَحسنة والله المستعان، وفي مدته كان ظهور أبي علامة ولا بأس بذكر سيرته ليحذر من مثل أفعاله ومغالطته

ظهور أبي علامة

قال صاحب [illegible]: وفي السنة الرابعة والستين في شهر رجب الحرام كان ظهور أبي علامة بموضع يسمى الشخعة قريب من بلاد حَجُور(١) وهو رجل مغربي الأصل فيما قيل، وروي أنه كان في أول بدايته سائحاً يتردد على المساجد والزوايا ومشاهد الأولياء حتى وصل إلى هذا الموضع فابتنى فيه مسجداً ودعى الناس إلى طاعته، وشاع بين العامة أنه الممهد للمهدي المنتظر آخر الزمان، فافتتن به عوام الناس افتتاناً عظيماً وكانت له أعمال رائعة وأحوال فاجعة، دخل كثير من الناس في طاعته حتى إنه، وكان يظهر على أتباعه أحوال الجذب فوقَع للعوام فيه اعتقاد عظيم وطار ذكره في أقطار اليمن وتلك الأقاليم ووصله الناس من كل فج، وتزعزع خليفة صنعاء وسلطان عدن ولحج وداخلتهم منه الواهمة العظمى، وكان كلما اجتمع عنده جماعة من الناس وجههم إلى حرب من يريد ولا يرجع جنده إلا منصوراً، وجهّز على قبائل حاشد وبكيل فملك الكثير من بلادهم، وأحرب حصونهم بعد كسر أجنادهم، وأنزل بهم أشد العذاب حتى دخل الكثير في طاعته رغبةً ورهبةً، ثم وجّه همته إلى التهائم فملك موزعاً وبندر اللحيّة وحجز المتحصِل فيها من الدراهم لبيت المال أن يسير إلى الإمام. فامتثل أمره أولئك الأقوام. وعظم صيته حتى ملأ اليمن والشام، وقبض على الوالد القاضي أحمد بن محمد العواجي الحاكم ببندر اللُحيَّة، فأوصل إلى حضرته وبقي في سجنه وما خرج إلا بعد قتله كما سيأتي إن شاء الله تعالى استيفاء قصته، وكانت عساكره تخرب الحصون الشامخة والقلاع الباذخة بلا مشقة ولا كثرة مؤنة. وبالجملة فجميع أحواله عجاب تحار لها البصائر والألباب، إذ لا يقوم بحربه أحد لما داخل الناس من الرعب والفشل. ولم يزل أمره في ازدياد حتى جهّز جيشاً عظيماً إلى مدينة بيت الفقيه ابن عُجيل ـ والعامل بها يومئذٍ الأمير الماس ـ فأخرج الأمير في لقاء جنده عسكراً كثيفاً والتقى الجمعان بأطراف وادي مَوْر فانهزم أصحاب الأمير هزيمة فاضحة وتبعهم أصحاب أبي علامة إلى مدينة الزيدية يقتلون وينهبون ويأسرون، ثم ملكوا الزيدية وأقاموا بها يوماً واحداً وانفصلوا إلى بيت الفقيه فجهّز الأمير الماس جيشاً آخر فالتقوا بقرية المراوعة وحصل بين الفريقين قتال شديد وقُتِلَ من الجانبين قريب من مائة قتيل وأكثر القتلى من أصحاب الأمير من أهل الخيل.

---

(١) الشُخعَة: قرية غربي مدينة المحابشة من بلاد الشرف الأعلا. وبلد حجور من سُرَاة قُدَم خَمِر. أما أبو علامة فهو من آل المؤيد أهل صعدة وكان قد دعى إلى نفسه بالإمامة ـ انظر: النحف شرح الزلف ص (٢٣٨)، وأئمة اليمن (١/٤٩٨)، والمقتطف من تاريخ اليمن ص (٢٥٢)، ومئة علم ص (٢٥).

وممن قُتل في هذا اليوم وفاز بالشهادة حسين بن محسن الخواجي السابق ذكره في أهل صبيا، ووصل أصحاب أبي علامة إلى بيت الفقيه فنهبوا المدينة نهباً عظيماً وخرج الأمير الماس بنفسه فأصابته جِراحات أثخنته ثم عاد إلى القلعة فتحصّن بها ورجعوا عنه، وأظن هذه الحرابات في شهر شعبان أو رمضان.

وفيها في شهر شوال خرج الشريف محمد من مدينة أبي عريش إلى جهة اليمن قاصداً لحرب أبي علامة، والسبب أن المذكور أرسل جماعة من عسكره المجاذيب إلى أطراف بلاد الشريف فوصلوا إلى الدمنة[1]، وهم جماعة قليلون معهم راية فطردهم الأمير الماجد أحمد بن خيرات القطبي من ذلك الموضع ويقال إنه أطعمهم طعاماً أودع فيه شيئاً مما يحلل عمل السحر[2]، فأكلوه فَزَال عنهم ما يجدونه من سَلْب الاختيار والتمييز فرجعوا عن ذلك الموضع، ثم رَفَع إلى الشريف يخبره بما صدر منه فشكرَ له ذلك، وقد أرسل الشريف المحطة من أهل نَجْرَان لهذا القصد فوصلوا إلى قرية البدوي[3] فتوجه بهم إلى مَوْر، وكان وصوله إليه في ذي القعدة، ولمّا بَلَغ خبر وصوله أبا علامة أرسل إليه جيشاً كثيفاً فوصلوا إلى محطة الشريف وذلك يوم الثلاثاء في آخر الشهر المذكور، فعبأ جنوده والتحم القتال وما كان بأسرع من إنهزام أصحاب أبي علامة، وقد شاع على ألسنة الناس أنه لا يقطع فيهم الحديد ولا الرصاص فبقي أصحاب الشريف في أمر مريج وكاد أن يداخلهم الجبن فلمّا رأوا تأثير السلاح أصدقوهم الحملة، وقتلوهم شر قتلة وظفروا بسلبهم. وكان لهذا اليوم موقع عظيم عند الناس، وهان عليهم ما قد حل بهم من الخوف والبأس وأُسِر من أصحاب أبي علاّمة خلق كثير وقُذِعَت رؤوس القتلَى وأرسلهم إلى مقام الخليفة الشهير، وتوجه بعد ذلك الشريف ظافر بن حسين عن أمر الشريف إلى بندر اللُحيّة فحصلوا على ذلك المال المجموع الذي حجزه أبو علامة واستولى عليه، ورَفَع إلى الشريف بحقيقة الحال ونقل أكثر ذلك المال إليه.

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

وأقام الشريف ظافر ببندر اللُحية أيام إقامة الشريف بوادي مَوْر حتى وصلت الجوابات الإمامية وأمرهُ بالرجوع إلى أبي عريش فرجع على الفور.

ومن عجائب أحوال أبي علاّمة أنه أرسل رجلاً من أصحابه المغاربة اسمه

(١) الدمنة: من قرى مديرية الزُهرة.
(٢) كان أبو علامة وجنوده يوهمون الناس بمعرفة الطلاسم.
(٣) البدوي: قرية في وادي مَوْر من مديرية الزهرة.

جمعان إلى بندر اللحية قبل وصول الشريف فدخل الجامع في يوم الجمعة والمسجد غاصٌ بالخلائق فمنعهم من الخطبة للإمام، ونُفِّذت فيهم الأوامر والأحكام، فعظم ما وقع مع الناس من الفشل، ولله الأمر والقوة وعليه المُتَّكل.

نفـذت علـى سـاداتـه أحكـامـه | وإذا السعـادة لاحظـت عبـد الشـرى

وفي هذه السنة وصلت المحاط الكثيرة التي قَلّ أن يُعْهَد مثلها بالمخلاف السليماني من قحطان بسبب استدعاء أبي علامة لهم إلى نصرته ومَمَا مَوَّه به عليهم من إجابة دعوته، لأنه أرسل إليهم الرايات والمجاذيب فنهض إليه منهم ما ينيف على سبعة آلاف مقاتل مشاة وعلى كل نجيب. ولمّا وصلوا إليه لم يجدوا عنده طائلاً من المال لكفايتهم فطلبوا منه الخروج معهم بنفسه من العكفة إلى أي المحال، فامتنع لأنه قد وطن نفسه أن لا يخرج منها البتّة وإنما اصطنع فيها كوة ربما يخرج فيها للمصافحة وجهه وكفه، فأخرجوه عند ذلك قهراً وساروا به غير بعيد ثم قتلهُ رجل من مشايخهم اسمه ابن حرملة، وأبان رأسه ووصل به إلى الخليفة فشكر له ذلك أعظم شكر وأحسن له أجراً وقرّر له مقرراً نافعاً يترَى، وكان قتله في شهر صفر الخير وهذا ما انتهى إليه حاله بعد أن سلطن وقَهر، ونَهى وأمر، فسبحان من لا يدوم إلاّ مُلكه.

لا يـأمـن الـدّهـر ذو بغـي ولـو مَلِكـاً | جنـوده ضـاق عنهـا السهـل والجبـل

وأطلق من كان في حبسه من أعيان الناس كالوالد القاضي أحمد بن محمد العواجي[1] وغيره من المشائخ الذين حل بهم البأس وفرّج الله عنهم بسبب قتله في ذلك الأوان، فلله الأمر والقوة والسلطان.

لكـل شـيء مـدة وتنقضـي | لا يفلـت الأيـام إلاّ مـن رضـي

أولاد الشريف محمد بن أحمد:

ثم بعد وفاة الشريف محمد بن أحمد قام بالمُلك بعده أولاده الكرام، فقاموا به أحسن قيام، بسيرةٍ مَرْضيّة، وهمم عالية علويّة. وفي دولتهم خاصة أُلِّفت «نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف»[2] قال في أولها: كان ابتداء دولة أولاد الشريف في السنة الخامسة والثمانين لأن وفاة والدهم في أواخر ذي الحجة سنة أربعة وثمانين كما حققنا ذلك في «الخلاصة» وعددهم ستة عشر.

قلت، وهم: أحمد وحيدر وحمود وأبو طالب وظافر وناصر وعلي وفواز وفايز

---

(١) أحمد بن محمد العواجي: عالم عارف، تولّى أعمال اللّحية، ونكب باعتقاله من قبل أبي علامة، وتوفي سنة (١١٦٥هـ).

(٢) تأليف العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي.

ويحيى ومسعود وبشير ومنصور وحسين وهزاع و(١) ... انتهى ثم قال صاحب «النزهة»: وسأذكر من دعت الحاجة إلى ذكره، فأكبرهم سناً هو الشريف صفي الإسلام أحمد بن محمد القائم بعد والده، وفي هذه السنة في شهر محرم الحرام رفع الشريف أحمد بوفاة والده إلى شريف المقام(٢) وحقق ما هو عليه من القيام بذلك المرام، ورفع معهم الأشراف ومن لاغنيه عن رفعه من أكابر الأيام، فلما وصلت تلك الخطوط إلى حضرة الإمام(٣) رجّح نظره إرسال السيد العلامة الحسين بن مهدي النُعمي وشَرَط شروطاً على الشريف أحمد، وكان من جملة الشروط إصلاح جانب المكارمة وبني يام(٤) وإرجاعهم للخدمة حسبما سلف لهم مع الشريف محمد في سوالف الأعوام، فلم تسع الشريف أحمد المخالفة لشيء مما وقع به الإلزام. وانفصل السيد المذكور وقد انتظمت المقاصد على أحسن نظام، فلما وصل إلى مقام الخلافة عاجل بإرسال خط العَمالة، وأرسل مراكيب وكُسوة ولم يهمل جانباً مما استحسن إرساله، فاستقر حال الشريف أحمد عند تلك الحالة ثم بسط يده في العطاء الذي لم يعهد وقرر لأخوته وسائر الأشراف والاتباع المقررات الكبيرة منها ما هو رغبة ومحبة ومنها ما هو مداراة ورهبة.

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

انتهى. ثم إنه ذكر وفاته بعد أن ذكر تاريخ وفاة أخيه الليث الغضنفر الشريف حيدر بن محمد قبله بنحو تسع سنين وذلك بعد أن ذكر أيام دولته وولايته وقيامه بذلك أتم قيام، وذكرَ لهم من الوقائع والحروب والقلاقل والحوادث ما يشيب منه الوليد ويخرج منه صدر الطارف والتليد:

خطوبٌ للحوادث مشكلات   لو اكتحل الغراب بهنّ شابا

فقال: وفيها في الشهر المذكور ـ أي في السنة التاسعة والتسعين في شهر ربيع الأول ـ انتقل الشريف الهمام صفي الإسلام أحمد بن محمد إلى جوار الملك العلام بسبب الجدري رحمه الله تعالى، وقبره بقبّة والده فسبحان من له البقا والدوام وبيده

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) توفي الشريف حمود بن محمد في سنة (١٢٣٣هـ = ١٨١٧م).

(٣) الإمام المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد بن المنصور. وكان الإمام المهدي قد قام بعد وفاة والده المتوكل أحمد في سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٥م). انظر المقتطف من تاريخ اليمن ص (٢٦١).

(٤) المكارمة: طائفة من إسماعيلية اليمن، وهم السليمانية نسبةً إلى سليمان بن حسن من أعيان القرن الحادي عشر للهجرة، ورئاستهم في يام من نجران، ولهم وجود في جبال حراز.

النقض والإبرام

فللـه مـن ليـث الـملاحـم بهـس ... بـه شـرب الخصـم المكـاره واستفّـوا
وأيـامـه فـي المعتـدين شهيـرة ... يُخبـر عـن ذاك المخـالـف والألـف
رأوا عـزمـه والسيـف لما تكـافـا ... مُضـاء فمـا لـلأشقيـاء عنـه مـا كفّـوا
فتبكيـه بيض الهنـد والسمـر والقنـا ... ويرتاح منه الطرف إن سحر الطرف
سقى قبـره الوكـاف مـا فـاه عـارف ... بـأوصـافـه الحسنى وفـاح لهـا عـرف

انتهى. وقال في تاريخ وفاة الشريف حيدر ما لفظه: وفي شهر ربيع الأول من سنة ١٢٩٠ تسعين بعد المائتين والألف انتقل الشريف حيدر بن محمد إلى جوار الملك العلاّم، فوقع لموته خطب عظيم ومصاب جسيم لا سيما على بني يام فإنهم قد ألِفوا منه العطاء بما يحيِّر العقول، وقبره رحمه الله في قبة والده، وقد رثاه سيدي أخي العلاّمة إمام البلاغة المزري بسحبان وابن المراغة الصفي أحمد بن الحسن البهكلي أطال الله مدته بقصيدةٍ تنقص قدر أبي تمام في الرثاء ويصير مخضر فصاحته عندها هشيماً وغثاً، فقال:

ألا هـل يـراعـي المـوت جـار يـراقبـه ... ويمنعـــه حجـــابـــه ومغـــالبـــه
وهـل هـو راثٍ عنـد إزهـاق نفسـه ... إذا جـزعـت عنـد الفـراق نـوادبـه
وهـل يتـراخـى سـاعـة ريثمـا يكـن ... يـــودعـــه أحبـــابـــه وأقـــاربـــه
وهـل بنـافـع منـه الـرقـى ومـدافـع ... إذا نَشَبـت بـالهـالكيـن مخـالبـه
بلى إنـه يسقـي الـوَرى مـن كـؤوسـه ... فكـل امـرىء فـي هـذه الـدار شـاربـه
فمـا النـاس إلاّ هـالـك وابـن هـالـك ... يـروح ويغـدو والـرزايـا تطـالبـه
فقـد صـح أن المـوت لا بـد بـالـغ ... إلـى كـل حـيّ ذل أو عـزّ جـانبـه
فلـو زاده مجـد عـن المـرء أو حجـى ... وجـود نـوال مـا تكـف مـواكبـه
لجـانـب سـوحَ الملـك مـن آل حيـدر ... ودام مـدى الأيـام تـزهـو مـواكبـه
فتى كـان محمـود السجـايـا أخـو علا ... يعـز علينـا فـي الـزمـان ضـرائبـه
لـه همـة مـا نـالهـا قـط رائـد ... ولا رامهـا فـي عصـره مـن ينـاسبـه
هـو الليـث فـي يـوم الكـريهـة فـاختبـر ... مشـاهـد تنبيـك عنهـا قـواضبـه
أبـــوه القنـــا والمشـــرفيـــة أمّـــه ... وإخـوانـه ضمـر الجيـاد شـواذبـه
ومـا شهـد الهيجـا مـن كـان حـاضـراً ... إذا لـم يطـاعـن قـرنـه ويضـاربـه
رقـى مـن سنـام المجـد أبلـغ ذروة ... وكـم شـامـخ فـي العـز أصبـح راكبـه
تَسَـامـى علـى الـدنيـا لكـل معـانـد ... إلـى كـل سلطـان تجـر مـواكبـه
فكـم مـن عـدوٍ رامَ فينـا مـراده ... ومـن حـاسـد دبـت إلينـا عقـاربـه

ومن ناقل عنّا من القول مفتر   واخبث قول في العواقب كاذبه
وكم آكل منا لحوماً تجاريا   وقد ظهرت للناس طرّاً معايبه
وصاحب بغي جرّد العزم نادراً   بأن طريق العزم يقطع جانبه
رماهم بجيش لا بتزويق منطق   طلائعه منصورة وكتائبه
قبائل من يام صناديد في السرا   أسود الشرى لا ضبعه وثعالبهُ
إذا غضبوا يوم الوغا ضحك الردى   وإن ضحكوا زار الزمان نوائبه
كأنهم في الحرب والنقع ثائر   ولمع الضبا ليل تهاوى كواكبه
أبا راجح رمت الذي أنت أهله   فأدركت بالإقدام ما أنت طالبه
وصيّرت من ناواك لمّا قهرته   تؤنبهُ أشياعه ونوائبه
وأوليت من أولاك حظه سؤدد   برغم حسودٍ سالم الحق ناكبه
ولمّا بلغَت القصد والغاية التي   إليها أخو الآمال تحدو ركائبه
أحلّك رب العرش دار كرامة   وأمنحك الغفران والله واهبه
وسعت إلى الخيرات في آل أحمد   فآلك هم حزب الهُدَى وأطايبه
ولا برحت تغشى ضريحك دائماً   هواطل إكرام تجود سحائبه
ويعظم فيك الأجر للناس عن يد   لأنك انعام ورزقك ساكبه
ولا سيما أخوانك الغُر من بهم   غدا المَلِك الضرغام تسمو مراتبه
صفي الهُدَى حتف العِدَى واسع الجدا   صديق العوالي شامخ العز راسبه
وفاه إلَه العرش للخلق نافعاً   ودام على الأيام تعلو مناقبه
وأشباله كُنْ يا الهي كفيلهم   ومِنْ دهرنا لا يعتريهم نوائبه
ودمت أبا المنصور حافظ مجدهم   فإنك فيهم صادق الرأي صائبه
لئن دام منا ذو العداوة مقولا   فصارمك البتار عنّا يجاوبه

انتهى، ولله دره. وبعد وفاة المذكور جُرحت الصدور وتربّش حال الشريف أحمد وسائر أخوته عند وفاة المذكور، وانقصمت منهم عند اجتماع بني يام الظهور، ثم كتب الشريف أحمد بوفاته إلى الإمام، وطلب منه الإمداد بخط العمالة لتستر أحوال الأنام، وكلّف بذلك صنوه الشريف فائزاً وأصحبه خطوطاً إلى السيّد محمد حطبه وكان ببندر اللُحية لِعَوْد الجوابات عليه من شريف المقام على ما نزل به من المقصد، فعزم السيّد محمد مع الشريف فايز وأبلغا تلك الخطوط، فأنعم الإمام بخط العمالة وشرَط على الشريف أحمد شيئاً من الشروط. وخلّف عشرة من الأولاد وله في مُلكه ما أراد. اهـ.

الشريف علي بن حيدر:

.. قلت، وهم: علي ومحمد ويحيى وأحمد والحسن

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ‏ أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما ‏ لجارهم فوق السماكين منزل

أكبرهم قدراً وأكثرهم بين الأنام ذكراً الشريف الحلاحل، والعَلَم الشامخ الذرَى الطائل، من ساد الأواخر والأوائل، بشجاعته المتواترة وقوة جنابه وكرمه وجوده الهاطل، الليث الغضنفر، والبطل الباسل المشهور علي بن حيدر. كان رحمه الله ذا همة فوق السماك عالية، ودرجة في ذروة العِزّ سامية، وشجاعة بين الأنام مشهورة، ومجد باذخ وحُسن سيرة مأثورة، ووقائع عديدة جال في ميدانها، وحروب متكاثرة صَلَى خلفه الأبطال من فرسانها، ومواقف طالما كانت له فيها على أعدائه الطائلة، وبواتر ورد نيسان أضحَت دماؤهم منها واكفة هاطلة، ومحاسن تجمّلت بها أيام دولته، ولهَجَت بالشكر له فيها ألسُن رعيته، فتخلّدت في بطون الأوراق، وأطبق عليها المؤالِف والمُخالِف بالاتفاق، ويكفيه أنه ما موقف من مواقف حروف عمه حمود بن محمد إلاّ وله فيه إقدام الأسد الرئبال، وزئير اللّيث الغضنفر الذي لا يهاب النزال، والثغر منه في تلك الحال باسم، والنصر يَقدُمُه وحوله الأسودِ الضراغم. ومن تأمل أسفار التواريخ السالف ذكرها عَرَف أن دولته ـ نيابةً واستقلالاً ـ قد ضمّخ القُطر طيبها ونشرها، ولا غرو فهو فرع الدوحة النبوية، ووارث الشجاعة العلوية، وقد وُلّي الإمارة مرّات متعددة وكرات متجددة فتارةً يقوم بها بالاستقلال وأخرى من طرف عمه الشريف حمود بن محمد وآونة من طرف أئمة صنعاء إلى أن تولّى من طرف آل عثمان، واستفاض على جملة من البلدان كاللُّحَية ومَوْر والزيدية والحُديدة وما والاها. وكان في أيام الشريف حمود هو الركن الأعظم لمملكته، والبيكار الذي يقوم عليه دعائم دولته، فمن المواضع التي أبلَى فيها حرب الشريف حمود في بعض الوقائع مع ابن عبد الوهاب، فقد قال القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش ـ بعد أن ساق القضية ـ ما لفظه: وممن اشتهر بالتعقب[1] ورآ الناس بالدفاع عمن لا يستطيع الدفع الشريف علي بن حيدر، أخبرني بعض من حضر الوقعة من أهل الثبات أنه كان في ذلك الموقف أمةً وحده يأوي إليه الضريع، ويستنجد به الصريع، وخيل النجوم تحوم عليه، وتمد اسطان الرماح إليه، ولكنه أحب الموت فجبن عنه أعداؤه، وعادوا عنه وقد عرفوا منتهاه. اهـ.

ومنها أنّه لمّا خالف الكُلْفُود ـ شيخ صليل[2] ـ على الشريف بسبب قضية ذكرها

(1) يقصد بالعقيب حماية النّاس في المعركة.

(2) الكلفود: رئيس قبائل صليل، وهم من عك يسكنون مديرية الزيدية، ومن بلدانهم: دير عطا، أبيات حسين، دَوْغان، دير الولي، دير البلع، دير مفتاح.

القاضي حسن قال عقبها: وما زالت الحرب بينه - أي الكُلْفود - وبين الشريف بنالم منه وينال منهم حتى توجه الشريف بنفسه وطرح في أطراف بلاد صلبل وجهز على تلك القبائل الليث الصائل الشريف علي بن حيدر، واجتهد في نكاية الكلفود وشرّده إلى كل جبل مصعود، وضيّق عليه المسالك، واجتمع في بعض الأيام في جند الشريف علي بن حيدر صناديد الأشراف كأخيه الشريف يحيى بن حيدر والعلامة الحسن بن خالد، ووقعت ملاحم تتجمّل بها المَشاهد، وحين حصل من جند الشريف ما حصل انخذل عن الكلفود من قومه من انخذل، توسّلوا بالشريف علي بن حيدر يأخذ لهم من الشريف الأمان ويخالفون الكلفود بالقلب واللسان، فأمنهم الشريف وعادوا إلى أوطانهم وقد ذهبت بها هبوب الصيف والخريف، والكلفود حين شاهد ما عليه الناس، وما الشريف فيه من قوة الباس، تعلق بالجبال وصاحب الثّياب والأوعال، وفارق الأهل والعيال، وأنشد لبيان حاله قول من قال:

ولـي دونكـم أهلـون سيـد عملـس ... وأرقـط زهلـول وعـرفـاء جيـأل

هم الأهـل لا مستـودع السـر عنـدهـم ... بفـاشٍ ولا الجـانـي بمـا جـر يقتـل

انتهى. وقال في موضع آخر - في أثناء كلام - ما لفظه: خصوصاً الشريف علي بن حيدر فهو ممن أطعم الأساد وأروى الصعاد، إذا دهمهم سالت الأسد عن طرفه، وإذا غضب خلع هياكل الطاعة من عنقه كما قال الشاعر:

وصـول إلـى المستعصيـات بـرأيـه ... فلـو كـان قـرن الشمـس مـاءً لأوردا

وله العناية التّامة بالشريف أيام مناجزته أهل نجد، وكان أحد أركان المملكة التي وقع فيها الحل والعقد. اهـ.

والحاصل أن هذا الشريف والطود الشامخ المنيف، قد ورث شجاعة جده المصطفى، فأبقى له من الذِكر الجميل ما فاق به النيّرين فحسبه ذلك وكفى، وامتطى صهوة المجد الباذخ، وتسنم ذروة العز الشامخ، وهذه بَعَدُ يسيرة مِنْ سيرته الخطيرة تدل على الباقي بطريق الإجمال، فلا حاجة إلى الفحص والسؤال رحمه الله ونفع به آمين، وكان انتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء عام أربعة وخمسين بعد المائتين والألف بمدينة أبـي عريش ودُفن بها رحمه الله آمين، وله من الولد خمسة: الحسين ومحمد وأبو طالب والحسن وحمود..

الحُسين بن علي بن حَيْدر:

.. أكبرهم وأعلمهم وأفضلهم الشريف الهمام، والضيغم المقدام، ذو القدر العَلِي الذي فاق السماكين بعلو همته، وجاوز الجوزاء بحسن نيته وصلاح طويته، العلامة الفاضل، والملك الشهم العادل، الليث الغضنفر، الحسين بن علي بن

كان رحمه الله ونفع به ملكاً عادلاً شجاعاً مقداماً عالماً عاملاً جواداً كريماً حليماً زاهداً عابداً جمع الله له بين الملك والعِلم والزهد والورع والعبادة والولاية، وقد ترجمه القاضي العلامة الحسن بن أحمد عاكش ترجمة مُستقلةً بسيطة استوفى فيها سيرته وأيام دولته، سمّاها «الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك». ففيها الكفاية وسألخص هنا ما تيسّر على سبيل التبرّك فأقول: قال رحمه الله مولده عام خمس عشرة بعد المائتين والألف، نشأ في حجر الملك على المجد والبِسالة، فحوَى من فنون الأوصاف ما عجز أمثاله، فهو المفرد الذي لا نظير له في الآحاد، الوارث لمكارم آبائه والأجداد، الشريف الذي شرفت به عشيرته، وظهرت عليهم بحسن مناقبه مزيته، الهمام الذي ناطح بهمته الثريا، وبلغ بها أعلا المفاخر التي لِسِوَاه لا تتهيأ، الماجد الذي حاز شرف الأرومة من طريق الأبوه والأمومة، تناول المكارم من الطرفين عن آبائه أصاله، ولم يرثها كغيره عن كلالة، الشجاع الذي تتقي الأسود الضواري بطشاته، وتتجنب الشجعان في يوم النزال ملاقاته، البطل الذي كم جندلَ في الوَغا من أبطال، وكم غذّى بدم الأعادي المشرفية والرماح الطوال، تراه لشدة بأسه عند إصطدام الحوادث واطلال سوادها الكارب ووجهه وضاح وثغره باسم غير متهيب لذلك الخطب الفادح لغيره من العوالم، المِقدام الذي قَدّمته على السادات أفعاله تقديم بسم الله في المصاحف، والسهم الذي كَمْ إلى المعاندين له من جيش حاملٍ للمنيّة زاحف، والكريم الذي يقصر عن كرمه متراكز الغمام إذ ينهمر، يبتدي بالهبات الكثيرة فيستقل عطاياه ويعتذر، المَلِك الذي قصّرت عنِ مساعيه الملوك الأكابر بما تحقق أنه كَمْ ترك الأول للآخر. كان في مبادي أمره عاملاً على مدينة صَبْيا من طريق والده والمخلاف، ولم يزل حال إقامته هناك في ظل عيش صاف، وآخر أمره حصل من أهل صَبْيَا له النزاع، وأفضى بهم ذلك إلى أنه صار خزق الفتنة عليهم ذا اتساع، وكان والده قد توجه إلى الشُقَيْق[1] ومع رجوعه بعث طلابات[2] إلى يامٍ[3] لمناجزة أهل صَبْيَا[4] ولمّا وصلوا قامت الحرب وكانت الطائلة للشريف فَقَمِعت رؤوسهم بتلك السيوف، وقوّم أعوجاجهم ماذاقوه منِ كأس الحتوف، فقتل من قتل مِنْ جموعهم وهزم من بقى وما وصلوا إلى صبيَا إلا وقد أيسوا من الحياة، فحينئذٍ استقر له والوالده الحال، وضوعف على أولئك المال، على طريق العقوبة والنكال.

---

(١) الشُقَيْق: بضم الشين، بلدة في منطقة جازان.

(٢) طلابات: يعني دعوةً للحضور.

(٣) يام: قبيلة مشهورة في نجران تعود في أصولها إلى حاشد، وكان موطنها القديم ما بين بلاد نِهْم والجوف.

(٤) صَبْيَا: من مدن منطقة جازان.

ثم انه انتقل عاملاً من طريق والده على مدينة الزهرا ولم يزل هناك مقيماً طريق العدل سراً وجهراً، وكان الشريف حسن بن بشير بن محمد عاملاً في مَوْر من جهة أمير السراة[1] وفي مدة إقامته كان يحصل بينه وبين الشريف حسن المشاجرة في مساقي الماء وغيرها، ولم يزل ذلك في زيادة وكل منهما يعزو الآخر إلى أطراف بلاده. محاول بعض الناس الاصطلاح بينهم فلم يتفق لأمور خافية في نفس الشريف حسن بن بشير، فحين علم صاحب الترجمة أن قصدهم قتاله شهر لهم السيف البتار ورأى أن سوى ذلك لا يندفع عنه العار، وأنشد لسان حاله:

السيف أصدق انباء من الكتب | في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في | متونهن جلاء الشك والريب

فالتقىَ الجمعان وروى من جند الشريف حسن كل بتار ظمآن، ثم رجع الشريف الحسين إلى الزهرا ورفع إلى والده بما اتفق ثم فعلم أنه شنشنة ورثها من حيدره لا من أخزم، ثم أن الجنود العسيرية استولت على اليمن فوصل حينئذٍ من مضر جُند كثيف كبيرهم محمد أمين من طريق أحمد باشا وصحبتهم كُتب إلى الشريف علي بن حيدر متضمنة إرسال ولده الشريف الحسين مع أولئك الأجناد، لاستخلاص البلاد اليمنية من أيدي أولئك العمال، فتوجهوا وكان في البحر مركب يَسِير بِسَيْر الجُنْد من طريق البرّ، وفيه من الآت الحرب ما لا يوجد في هذه الجهات من المدافع الكبار والقنابر[2] فسار الشريف الحسين بهم حتى وَقَع مطرحه على قلعة الماء الحالي ببندر الحُديدة وكان فيها جماعة من عسير أهل ثبات، فلم تزل المدافع بالفلل إليهم تدفع حتى تَرَكت القلعة كالبلقع، فلاذوا بطلب الأمان لعلمهم أن لا مُغيث لهم حتى يؤب القارضان، وبعد ذلك ذلّ العامل بالبندر هو والأجناد الذين معه ورأى أن السّلامة في تعليق باب الشر، وترجّح له ترك البلد والخروج سالماً من سطوة ذلك الأسد، فخرج بأمان الله تعالى ثم بأمان الشريف الحسين على أحسن حال ولم يكدر له بالتخويف بال، وأنشد لسان حاله قول من قال:

فلا تغرنك الدنيا بما رفعت | فلا حقيقة فيما يرفع الآل
لكل شيء أمد وينقضي | ما غالَب الأيام إلاّ من رضي

ولمّا بلغ محمد أمين مقصوده من ملك اليمن رَفع إلى مخدومه محمد علي

---

(١) أرض السراة كما يشرحها الهمداني تمتد من جهة الطائف إلى تهامة اليمن، والمقصود أمير عسير.

(٢) القنابر: القنابل.

رشـ [illegible] بمنه بواسطة الشريف الحسين من الأماني، وبسمت له ثغور الدهر بما
بوجب انتهى، مجهز من طرفه إبراهيم باشا(٢) ويقال أنّ محمد علي باشا خاله مقلداً
مملكة القطر اليماني في جيش جرّار، وقَدِم إلى الحُديدة من طريق البحر فتلقّاه
الشريف الحسين ومحمد أمين بالإجلال والإكرام، فجعل بندر الحُديدة مستقر
مملكته وقسم عساكره في البلاد لأجل الحفظ لها، وأمّا صاحب الترجمة فكان في
ظن الناس أن تضاف إليه ممالك اليمن لكمال عنايته ولِمَا بلغه فيها بحسن أيالته(٣)
ولكن القدر يناديه بصوت قد أطل عن قريب ستنال هذا المطلب وستكون المملكة
إليك بالاستقلال عائدة، وإنما هذه مقدمات لتحصيل الزرع وبيدك جني الفائدة، وهو
عند أولئك الأتراك في الظاهر أنفس من الزمرد الأخضر، وأعز على خواطرهم من
الكبريت الأحمر، يُودِعون دراري كلامه فيما يصل للمملكة أصداف قلوبهم،
ويحملون أثقال جنابه على عيونهم فضلاً على جنوبهم، فبمجرد أن يشير عليهم
بشورة يأتمرون، وعلى تقلّب أنفاسه يميلون، ولكنه غسل يده من أوضار التعلّق بما
هم به من الإمارة متعلقون، واتّخذَ مدينة الزهراء وطناً وتركهم في طغيانهم يعمهون،
وجاءه من صاحب مصر محمد علي باشا مقرراً في بندر اللحيّة يقوم ببعض المقصود،
وأقبل على شأنه والإشتغال بالمذاكرة مع أهل العلم والأدب، وتعوّض عن تلك
الحالة بما هو أزكى منها عند أُوْلِي الألباب.

وقـد تعـوض عنهـا فضـل راحتـه ... مـن الهمـوم وعـن أخـذ مـن التبـع

وكان إذا ناب إبراهيم باشا مهم من الأمور كان هو الصدر في تلك الصدور، والقائم بأعباء ذلك الأمر، والمتصدي لكل صعب ووعر، لأنه قد أعطاهم العهد على الطاعة فما سعد غير الوفا، وإن قابلوه بعدم المكافأة على صنيعه والجفاء(٤). ومن جملة المهمات أن قبيلة يام لم تزل يمدون أيديهم لأخذ تهامة لِما فطموا(٥) عن مألوفهم في محصول البلاد تارة من يد ملوكها وتارة بأيدي الظلامة، ففي أثناء هذه المدة نزلوا من وادي بيش فَعَظُم على إبراهيم باشا ذلك وتكدّر عليه صافي العيش،

---

(١) محمد علي باشا: حاكم مصر.

(٢) إبراهيم باشا: هو شقيق أحمد باشا يكن؛ حاكم الحجاز والقائد العام للجيش المصري وابن أخت والي مصر محمد علي باشا. وقد كان خروجه أرض اليمن سنة (١٢٥١هـ).

(٣) أصبح الشريف حسين منذ ذلك التاريخ سيد الإقليم التهامي، من المَخَا جنوباً حتى المخلاف السليماني شمالاً، إلاّ أن طموحه قد تجاوز الإقليم فتطلع إلى السيطرة على بقية أنحاء اليمن، وقد استطاع أن يضم مناطق اليمن الأسفل إلى إمارته كما سنرى لاحقاً في سياق الكتاب.

(٤) كذا بالمخطوطة، والصواب «بالجفاء» فلعله خطأ من الناسخ.

(٥) بياض، والمقصود تعودوا عليه.

فعوّلَ على الشريف الحسين في ذلك الخطب وانه سيرسل اليه باقوام ويكون هو المتولي لدفع يام، فأذعن في القيام بذلك المطلوب وصار في ذلك الجيش هو اليعسوب، ولمّا انفصل من الزهرا وصل بهم إلى أبي عريش وارتحل إلى نحو صَبْيا لكفاية الناس هذا المهم ورَفع هذا الخطب الملم، ولمّا طرح هناك لم يزل يُدبّر الراي فيما به بلوغ الغاية، لأنهم قد نزلوا بمطرحهم قرية العَدابة(١) عملاً بقول الشاعر وهو في الإرشاد بالغ النهاية:

وللمعــادي رتــب فــي الحجــي	الــراي ثــم الكيــد ثــم الكفــاح
قــد يَغلِــب المــرء بتــدبيــره	ألفــاً ولا يغلبهــم بــالســلاح

فأنتج فكره الولود أن يهجم عليهم غفلة بالجنود، وبعد بلوغ الوطر بمشيئة الله تعالى رجع إلى صَبْيا فما شَعُر يام إلا وقد ظهر للجيش قتام، فالحازم منهم من اتصل بأمساك السلاح، وتعبأوا للقتال ولكن قد لاح أن ليس فيهم فلاح، فأرسل عليهم الأتراك الرصاص بما قد أحكموه بالهندسة، وانقضّت عليهم من بطون المدافع قلل تصغر عندها السهام المقرطسة، ودارت بهم تلك العساكر التي شرر الجحيم لهم أسلحة، وطارت الخيل للطعن فيهم بلا أجنحة، فانكسر عند ذلك جمعهم المتكاثر، ودارت عليهم بالهزيمة الدوائر، وهلك منهم من هلك واستولى على مطرحهم فأصبحوا حديث سمر، وتفرّقوا في الفلوات شَذر مَذَر، ورجع الشريف الحسين إلى صَبْيا بقية ذلك اليوم وقد بلغ المراد من أولئك القوم، ووصلَ إلى أبي عريش والبنود تخفق على رأسه بالظفر وقد ساعده بما يريده القدر، ومما قلته مهنياً له في هذه القضية بعد بلوغه للأمنية:

مـا هـز للسيـف بيـن الخيـل والخـول	مثل الحسين الشريف الفارس البطل
حـاز الشجـاعـة إرثـاً مِـنْ أبيـه ومِـنْ	مَـوْلَـى البـرايـا أميـر المـؤمنيـن علي
وانظـر وقـائعـه فـي كُـل معـركـة	تُحيـي المـآثـر مـن صفيـن والجمـل
لا يرهب الجيش إن قلّوا وإن كَثروا	مـا مثلـه أبـداً فـي النـاس مـن رجـل
ليـث إذا صـال فـي يـوم الـوِغـا ولـه	كـف كـريـم كمثـل العـارض الهطـل
يلقـى الحـروب بـوجـه بـاسـم طلـقٍ	ولا يـداخلـه شـيءٌ مـن الـوجـل
أروَى القواضب من نحر العِدا ولقد	غَــذّا بـذلـك للخطيــة الـذبـل
نـال المكـارم حتـى صـار مـرتفعـاً	بـرغـم ذي حسَـدٍ حقـاً علـى زحـل
فـالنصـر قـائـده فـي كـل واقعـة	والسِعد سَاعَد في رحِلٍ ومرتحل
هذا هو المجد لا مَنْ بات مفترشاً	ذات الخمـار علـى التعطّـر والقبـل

(١) العَدَابة: بفتح العين والدال، من قُرَى صبيا بمنطقة جازان.

يا بن الرسول ويا خير الكرام ومن
أضحت فضائله في الناس كالمثل

إنا نهنيك بالنصر الذي افتخرت
به الليالي على ذي الأعصر الأول

وهو المبشر بالفتح المبين لكم
ونيلك المُلك في مستقبل الأجل

لاقيت قوماً أخافوا الخلق كلهم
فلم يلاقوا بغير الذل والفشل

حملت بالخيل فيهم غير منعطف
ولّوك أدبارهم خوفاً من الأسل

فرّوا سِراعاً ولم يلووا على أحد
وما لهم بك عند الحرب من قبل

وأصبحوا عبرة بين الورى وهم
قوم تعددوا بما جاءوا من الزلل

وعادة الله فيمن قد طغى وبغى
لا بد يوقعه في أسوء العمل

والحمد لله حمداً دائماً أبداً
شكر النعماء بالتفضيل والجمل

ودم معافاً على خيرٍ وفي نِعَمٍ
في المُلك في خصب عيش غير منفصل

فأنت ليث الوغا في كل نائبة
تعدّه لدفاع الحادث الجلل

وإن أيامك الغرّاء لنا غرر
إذ صِرت زينة أهل العصر والدول

وهاك نظماً يسيراً قد نضمته
مدحٌ لِعَلْيَاك في وقتٍ من العجل

ولم أقل فيه إلا صدق مدحكم
وما ذَكَرْت به شيئاً من الغزل

فاقبله فضلاً وقابل بالقبول له
لا زال قدرك فوق الشمس والحمل

ثم الصلاة على المختار من مضر
محمد وجميع الآل عن كمل

بناء قلعة الكاملية:

وفي خلال مدة إقامة الشريف الحسين في الزهراء بني القلعة التي على بلاده الكاملية وهي قلعة شامخة البنيان شرقي وادي مَوْر في أعز مكان[١]. ولمّا توفى الله تعالى والده إلى رحمته سنة أربعة وخمسين ومائتين بعد الألف، وكان إبراهيم باشا كما تقدم هو المتولي على قُطْر اليمن فطَلب الشريف إليه ببندر الحديدة وعوّل عليه أن يقوم بالأمر على حسب ما عليه والده ففي مبادي الأمر امتنع لعلمه بصعوبة هذا المقام، لا سيما من عَرف خطر الإمارة وما يستلزم الوقوع فيها من الآثام، ولكن لمّا كان غيره لا يقوم مقامه في هذا الأمر الجلل ساعد في الدخول في الإمارة لصلاح الخلق وقال: مُكْرَهٌ أخاك لا بطل، وبعد أن استقلّ بتلك الإمارة رجع إلى أبي عريش وتفقد الأمور وقرر أحوال الناس ورتب المملكة على أحسن إحكام وقياس. ثم أن الشريف شم رائحة المباينة والخلاف له من إبراهيم باشا بسبب ما ألقى إليه من أهل الحسد للشريف في أمور يطول شرحها، والحال أن الشريف باقٍ على العهد الذي بينه وبينه ولم يصدر إليه من الشريف إلا كل فصل جميل، ومحاسن يضيق عن حصرها

---

(١) الكاملية: قرية في وادي مَوْر، على بعد ستة أكيال شرق مدينة الزُهْرة.

صدر التحصيل، وما زال الباشا يحاول نزول المكروه به حتى ترجح للشريف مما يثبت ذلك مناوأة الأتراك ومباينتهم فأرسل من يصلح بينه وبين أمير السراة عايض[1] لتكون كلمتهم واحدة ويطلب منه الإعانة على إخراج الترك من اليمن ويحثه على إجتماع كلمة العرب لدفع المحن، ولمّا بلغ هذا الخبر مسامع الباشا إبراهيم حصل له من هذا الحادث المقعد المقيم، ولعله علم أن هذا حصاد زرعه المذموم، وأنه بإصغائه لحديث الوشاة هو الملوم، وبعث كُتبه إلى المخا وتعز لجمع الكتائب وقصده التجهيز على الشريف، وأمرُ الله سبحانه هو الغالب والناس في إرجاف بوصول أولئك الأقوام، وظهر ما هو كامن من الحسد من بعض الأنام والشريف لا يصغي إلى هذه الأراجيف إلا سماع بل هو في تدبير ما هو بصدده من تمام الصلح بينه وبين عايض والاجتماع، والأمير عايض يُقدّم رجلاً ويؤخر أخرى في إرسال الأجناد. وربما قد ألقىٰ في روعه بعض من ألقَى بأنه لا يتم هذا المراد، وآخر الأمر تعلل بأنه لا يطلق الأجناد من يديه إلا بوصول بعض أولاد الشريف إليه ليكون بقاهم بعد انفصال أجناده لديه، فأرسل الشريف ولده محمد بن الحسين وابن أخيه علي بن محمد. وبعد إرسالهم ظهر خبر المباينة وشاع، وتحصن مصطفى ومن معه في القلاع، ثم إن جيش الأمير عايض أبطأ في الوصول إلى الشريف فحصل معه بعض ضيق خشية من مبادرة وصول الجند التركي ويحصل للجند العسيري التعويق، لكن العناية تخدمه من حيث لا يشعر، ومنادي الأفراح يصيح بما ليس على باله يخطره وذلك بوصول مرقوم من صاحب مصر محمد علي باشا متضمناً إطلاق البلاد اليمنية على الشريف، ويرتفع الباشا إبراهيم ومن فيها من العساكر لانفتاح حادث عليه مخيف، ولله دُرّ القائل:

إذا اشتملت على البأس القلوب ... وضاق لمَا به الصدر الرحيب
وأوطنت المكارم وأسفرت ... وأرسلت في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ... ولا أغني بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات وإن تناهت ... فموصولٌ بها فرجٌ قريب

ولا شك أن الله تعالى إذا أراد أمراً هيأ له أسباب، وجاء، من الإعانة الإلهية ما لا يدخل لابن آدم في حساب، فَسُرّ الشريف وكل صديق له بذلك الخبر، وأقبل الناس لطاعته أفواجاً وزمراً وبعد ذلك وصل جند من عند الأمير عايض للقيام بهذا الأمر المعضل، ولكن جاء المثل السائر: إذا جاء نهر الله بطَل نهر معقل، ولكنهم بعد وصولهم إليه انفصل من أبي عريش حادي عشر شهر صفر سنة ست وخمسين

---

(١) أمير عسير عائض بن مرعي الرفيدي، وقد تحالفا معاً سنة (١٢٥٦هـ).

ومتتبّس بعد الألف متوجهاً إلى إستخلاص اليمن من أيدي الأتراك وإضافته إلى مملكته على الإنفراد بذلك من غير اشتراك، ولمّا وصل إلى قريب الحُديدة وقع ابراهيم باشا في دائرة الميم وانسلخ عنه كل صديق حميم، وفتح الشريف البندر بالحظ الأغلب، وخرج الباشا منه خائفاً يترقب، واتصل بالولوج في بعض المراكب البحرية، وسار فيها وزال مُلكه في أسرع وقت وأنشده لسان الحال إيقاظاً وتنبيهاً:

ودَع غمار العلا لِلْمُقْدِمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل

وفي عشية يوم خروجه دخل الشريف البندر يخفق على رأسه اللواء الأزهر، وبين يديه الجنود، وحوله عشيرته الأسود، ولمّا استقر في اليمن طالعه الأغر، تنقّل في أبراجِهِ تَنَقُّل البدر، ومدّ يده إلى الحل والعقد والنهي والأمر، وابتَهجت بمقدمة السعيد الأيام، وخَلَت من اليمن عساكر الأرواح، وانصرفوا عنه بقلوب لها غليان، وصفقه يتأسى بها أبو غيشان. وأقام في الحُديدة - عاملاً - أخاه الشريف أبا طالب، وتوّج بذلك مفرق المناقب، ونَفَذ إلى زبيد ووجّهَ إلى المَخا - عاملاً - أخاه الشريف حمود، وأمّا اللحيّة فأقام عاملاً فيها ابن أخيه الشريف الحسن بن محمد، وبعد ذلك توجه إلى المَخَا واستقر مدة ومما قاله مُهنياً له بهذا الفتح أديب العصر القاضي العلامة علي بن عبد الرحمٰن البهكلي[1] - متع الله به - هذه القصيدة، وقد اشتمل أوائل حروفها على اسم الممدوح والدُعا له وهذا في اصطلاح الأدباء يُسمّى مشجراً:

الحمد لله رب العالمين على نصر وفتح من الرحمن قد حصلا
لسيّدي وإمام الناس قاطبة قطب الخلافة مولا سؤدد وعلا
حاوي المكارم ضرّاب الجماجم ضرغام الملاحم حقاً أوحد الفضلا
سَمَا إلى رُتبة في المجد عالية سواه لم يرق شأواها ولا وصلا
بثُّ النوال لِمُستعفيه أنهر وليس ينهر مستجديه إن سَألا
نامت عيون رعاياه بدولته إذ عدله لجميع الناس قد شملا
أقام دين إله الحق وانحسمت أمور ظلم وغشم ظاهرٍ وصلا
بسعيه الأمن أضحى وهو متسع فلا يخاف نزيلي أينما نزلا
نار المفاسد والطغيان أخمدها ونور دين النبي المصطفى اشتعلا
عبادة الله أمسى وهو مشتغل بها ولم يعبد الله العظيم على
له من الله نصرٌ قد تعوده وقد حباه برأيٍ يبهر العقلا

---

(١) علي بن عبد الرحمن البهكلي: عالم محقق في علوم العربية والأصولين، توفي سنة (١١١٤هـ) وله من المصنفات: شرح الكافية لابن الحاجب في النحو، والعقد المفصل بالعجائب والغرائب في ما جرى من الحوادث في أيّام الشريف أحمد بن غالب.

يعطي الجزيل ويولي للجميل ومن ... سماته إن دهَى الخطب المهم سلا
أحيا شريعة طه بعدما دَرَسَت ... رسومها وروي إمنا دحيّ على
لأنه سيّد سام له نظر ... مطالع لرسوم الكتب قد قتلا
حَوى حميد خلال وارتقىٰ رُتَباً ... سَمَت به ونحلا حلية النبلا
سمبدع يهب الدنيا لسائله ... لجوده عُذ أرباب العطا بخلا
نرجو من الله يبقَى طول مدته ... على الدوام وأن يوليه ما أملا
يا رب مُدّ له في العون واجر ... له عوناً واصلح له الأحوال والعملا
نقول آمين لا نرضىٰ بواحدة ... حتى نضيف إليها مثلها جملا
صار الوفود من الأقطار هَمُّهُم ... سعياً إليه ولم يسع الوفود إلى
رمى عداه بسهم من نبالته ... فهاج كل عدو منه واختذلا
هباته في أيادي قاصديه غدت ... بها جميع البرايا تضرب المثلا
أعيذه من جميع النائبات بمن ... لقصد توحيده قد أرسل الرُسُلا
لربه خاضع مستشعر نسكاً ... وفي قتال الأعادي ينطح الجبلا
لم أستطع حصر بعضٍ من مناقبه ... لأنه سبق التالين والأُولا
هو الهُمام الذي حلا بدولته ... جيد الزمان عقوداً بعد ما عطلا

وفي خلال هذه المدة توجه الشريف إلى جهة المَخا وعَدن وزَبيد وحَيْس ووقعت له هناك وقائع كان له النصر بها، فأسّس قواعدها وقرر عوائدها في أمور يطول شرحها. وفي خلالها أيضاً وقع التظهر من الشيخ علي حميدة بالخلاف[1] وقد كان أيام قدوم الشريف إلى الحُديدة من البلاد العريشية وصلَ إليه وبذلَ له البيعة ظاهراً ولكنه للشريف غير صافي الوداد وفي قلبه من نار الحقد اتقاد، فخفق مسعاه فيما أراده من الفعل المهين والله لا يصلح عمل المفسدين. وفي السنة السابعة والخمسين كاتب الأمير عايض الشريف لأجل يتوسط بينه وبين الشيخ علي بالصلح فأذعن الشريف لذلك على عادته من سلوك سبيل العفو ومحبته للصلاح، فلم يتهيأ ذلك للخيانة التي جُبِل عليها الشيخ علي فحينئذ ما رأى الشريف إلاّ أن يدفع هذا الباطل بالصارم الهندي، فنهض من زبيد سادس شهر ربيع الأول بجيوش قاهرةٍ وأبهة وافرة، فوصل إلى بَاجِل وفعلَ بهم الأفاعيل وكان ما كان في أمور يطول شرحها غايتها أن الشيخ علي حميدة طلب الأمان على يد الشريف أبي طالب بن علي والقاضي حسن بن محمد المكرمي والشيخ مانع بن جابر، فبلغ ذلك الشريف فأذعن لذلك

---

(١) الشيخ علي حميدة: رئيس قبيلة القحرَى، وهي قبيلة تسكن مديرية باجل في شرقي مدينة الحُديدة بمسافة نحو (٦٠) كيلاً. وقد أظهر خلافه عام (١٢٥٧هـ).

بشرط دون الشيخ علي حق النظر، ولمّا وصل أدخل نفسه تحت سرير الشريف اعترافاً بالذنب ومخافة من اللوم والتعنيف فلم يقابله الشريف بغير الصفح الجميل، وهكذا الكريم يقابل بالحلم بعد القدرة على ما يريد من الفتك والتنكيل، وانثالت الرعايا الذين تحت يده إلى الطاعة وقد ندموا على ما فعلوا في جانب الشريف من الإضاعة:

يقـود إليـه طـاعـة النـاس فضلـه ... ولـو لـم يقـدهـا نـائـل وعقـاب

وفي خلال هذه القضية بدا للشريف أن يجول في ساحة قلعة علي حميدة بمن معه من الفرسان، ويتخطف بالرماح الشّواجر من بأطراف ذلك المكان، فاتفق أن اندفعت قُلّة[1] أصابت جواده ويُقال أنها انجاوزت إلى جواد الشيخ مانع بن جابر وجودا القاضي أحمد بن علي العواجي فسلّم الله الشريف والمذكورين، ونزل للشريف ابن أخيه علي بن محمد عن جواده فركب على أناة وثبات، والثبات له عادة، وانعطف إلى المطرح يمشي الهوينا والثغر منه باسم. وبعد صلاح الأحوال رجع إلى الحديدة في أنعم بال، وتوجه بعد قضاء مراده منها إلى الزهراء ونجم السعادة يزهر، والدهر قد ساعد فيما يروم مما أسرّ وأظهر. وأقام بها أياماً وتوجه إلى مدينة أبي عريش وهو مع ذلك ملتفت إلى نظام المملكة بحسن التدبير، والناس في ظل عدله متفيئين لا يمسهم من حر الجور والخوف سعير، أحكامه نافذة في أقطار مملكته بالسداد، قد ساس الرعايا بحكم الشريعة المحمديّة في الإصدار والإيراد، وغير بدع فهو من أهل العلم والعرفان، ولا يختلف فيما هو عليه من المعرفة بعلم الأدب إثنان، وله مَيْل إلى القيام بوظائف العبادات، ومحافظة على الجمعة والجماعات، واشتغال بالعلم في جميع الأوقات، مع تقريب أهل العلم والفضل وتمييزهم على من سواهم من أهل الجهل، فلهذا ازدهت به الأيام وصارت الأوقات كلها أعياد، وأمنت الطرقات في جميع حدود بلاده وانقمع خوفاً منه كل باغ وفاسد عن بغيه وفساده، ولم يزل ملازماً للسيرة الحسنة وسالكاً الطريق المُستَحسنة، ملاحظاً لتوظيف الناس على قدر مراتبهم، قريب الجناب شريف الخطاب، لا يُنقض له معلوم ولا يتّسخ له مرقوم لِما هو عليه من الحزم الذي يعز على غيره من الأنام، غير ملتفت لغرض نفسه بل هو سليم الصدر للخاص والعام.

تملـك الحمـد حبـاً مـا لمفتخـرِ ... فـي الحمـد حـاء ولا ميـم ولا دال

عليـه منـه سـرابيـل مضـاعفـة ... وقـد كفـاه مـن الأحقـاد سـربـال

(١) ويُقال: جلة، وجُلَيْلَة. وهي القنبلة.

بناء قلعة نجران بأبي عريش:

وفي ثامن عشر شهر رمضان من هذه السنة[1] ابتدأ الشريف في بناء قلعته قبلي أبي عريش المُسمّى نَجْران الذي لم يُبن مثله في هذه المدينة في سالف الأزمان، وهذا المعقل حصن حصين، وعَلَم شامخ العرنين، نسيم أعاليه سجسج، ومصباح علاليه من قناديل المجرة يسرج، له لون يدعو الأفراح إلى الأرواح، ويكتسبها نشوة الراح، ومع كماله وتمامه قُلت في تاريخ تمامه:

طالع السعد بنصرٍ قد ظهر — وأضاء الحق فينا وانتشر
بنا المولى الشريف المُنْتَقى — خيرة الخيرة من نسل مضر
الحسين المرتضى من حَسن — مَن علا مجداً على هذا القمر
بطل أذهب أنواع العِدَا — فدماهم بالضبا صارت هدر
مدحه يجمع أشتات العلا — وطويل القول فيه مختصر
وجواد مثله غيث هاطل — إنما يهمي بدُرّ وبدر
فملوك الأرض طّرا دونه — مفخر في كل فضل إن فَخر
قد أقام الدين بالسيف فما — مثله في عدله قط بشر
عمّر المُلك بأعداد التُقى — وأعد الله عوناً فقهر
وبنى بيتاً لإرغام العِدَا — في رُبا أرضٍ لها الحُسن اشتهر
فتناهت شرفاً لمّا بنى — بيته فيها وكانت مستقر
وعلى التوحيد والتقوى لقد — صار حقاً في المباني مبتكر
وانتهى في طالع الخير إلينا — وعلى الأعداء مولاه نَصَر
فلذا نَجْران بالعز سَمَا — وله التاريخ عزٌّ بظفر

وبعد استقرار الشريف بأبي عريش وقعت المفاوضة بينه وبين الأمير عايض على أن يكون بينهما الاجتماع في وادي البيْض[2] لتأكيد ما سلف من الصلح في الأيام السابقة فاجتمعنا وتم الصلح ورغم أنف الحساد، وشقّ ذلك على كثير من أهل العناد.

حوادث سنة ١٢٥٨هـ

وفي السنة الثامنة والخمسين توجه الشريف بالجنود إلى بلاد الخميسين لِمَا سبق منهم مما يوجب العقوبة، وكانت الطائلة للشريف فرجع مؤيداً منصوراً وعند أن تم

(١) (١٢٥٦هـ).
(٢) البَيْضُ: بفتح الباء وكسر الياء المشددة؛ قرية على الضفّة الشمالية لوادي حرّان - المعجم الجغرافي.

للشريف مراده من تلك الجهات نزل إلى مدينة الزهراء وقد صفت له من المخالفين الأوقات، وخدمته السعادة بما يريد في جميع الحالات:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نَمْ فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ومما قلته من النظام مهنياً للشريف بالنصر في هذا المقام:

وإليك تناها غاية الفخر والمجد وأصبحت بين الناس كالعلم الفرد
وقمت بنصر الدين بعد خموله فأشرقت الأكوان بالخير والرشد
ومذ ظهرت آيات عدلك في الورى بدا طالع الإقبال في غرة السعد

قلتُ: وهي طويلة تركتها إختصاراً، وفي هذا العام وَصَلت من الشيخ العلامة الأديب أبي بكر بن عبد الوهاب الزرعة النازل بمكة المشرفة هذه القصيدة مادحاً بها الشريف لمّا انتشر عنه من الفضائل وشاع من الكرم الذي هو كالسحب الهاطل:

إلى مدحك السامي توجه بي ركبي فخيّمت من عليا بالمنزل الرحب
ورحت بنادي الأنس منتشياً به إذا ما انتشَى غيري بآنية الشرب
على مثله يصبو الخلي مفاكهاً ويهتز عطفاً منكب المغرم الصب
فمن در منظومها عقد جوهر ومنثورها يزهو على الأنجم الشهب
ومن أرج يكتسو الصبا من شميمه ملابسَ أعطار ومن لؤلؤ رطب
على أنني ما نلت مما أروحه سوى لمحة ضاقت بها دارة الكتب
علوم وآداب ومجد ومرتقاً له خطرات تستقر بذي اللب
وسيف وإقدام وخيل ضجيجها بمعترك الهيجا كشنشنة السحب
عليم بأسرار المعاني إذا انتهى إلى مطلب والاه بالمطلب الصعب
نعَما الحسين السيد الوفر بذله إذا كف كف المُزن عن غدق سيب
بقية مجد قد جناها ابن حيدر على المعالي خدن جرثومة العرب
له جُمل الإحسان مفردة الثنا بها آمنوا كل الأنام على الغيب
إذا هيم الراؤون في دوحة الحدا بحاتم المعروف بالجود أو كعب
وفاه لسان المدح يتلو حديثه تراهم سكوناً ناكصين على عقب
رحان رحال الطالبين نواله يؤمهم المعروف منه على رحب
فأنعِم به من ذي سماح ونجدة ومن كرم وافا على الخصب والجدب
إذا ذكر الأشراف في محفل الوفا تقدمهم في الذكر بالحسب الوهبي
على اليمن الميمون أشرق بدره وسام به برقاً يلوح على العرب
يباشر أبكار المكارم دائماً يقلبها الأيناس جنباً على جنب

فيا للهنا من دولة عد سهمها إذا ابتدرت يوم الطعام إلى الضرب
ويا للمنا من حوزة ما ترى بها سوى راغب للجد بالصارم العضب
حنيناً إلى ذاك المحيا مردداً وشوقاً إلى المسرى القصي على قرب
تباعدتَ فخراً وادنيت مكارماً فأنت على كل سماخك لي حسبي
أود بعيني أن أزورك مرة والصق مكنوّن الترائب بالترب
ولكنها الأيام لا تسعد الفتى بإيجابها إلاّ وافضته للسلب
ساستمنح النعماء لديك لترتوي مشارح قلبي من ندى دائم الصب
ودونك نظماً رق لفظاً كأنه بقية شكوى من مفارقة العتب
ألذّ من العذب الزلال على الظما وأطيب من وصل الحبيب على القلب
يقدمه مضنى الفؤاد مُحبّكُم ولا لوم يا طب الفؤاد على الحب
واني لخفاقٌ الجناحين ما سَرَت بوارق من ذكراك يلمحها قلبي
أحن إلى لقياك لو كان في الكرا ولم أر حلاً منه في البعد والقرب
عليك سلام الله ما هبّت الصبا وما جاء صوب المزن بالمطر العذب

ولمّا وَصَلت إلى الشريف تلقّاها بالقبول وطَوّق قائلها من الإنعام بما يطيب ويطول، وكما أعجبني حسنها البديع لِمَا حوت من الإحسان واشتملت عليه من إيراد بعض مناقب مليك الزمان، قلت شافعاً له في هذا المجرا، ومقرراً لذلك الاطراء:

ركاب المعاني قد أناخت على خصب يحب بها عذب الموارد والشرب
وقد أنزلت بين السويداء كرامةولا عجب فالشمس تنزل في القلب
جعلنا ثراها أثمِداً في محاجر لِما قد حوت من لؤلؤ المنطق العذب
وإن أحرمت من مكة عن جلالة هناك فقد حلّت لدَى كعبة الرحب
أهلت بنظم في مديح الذي حوى مفاخر قد فاقت على العجم والعرب
حليف الندا نجم الهدى قاصم العدا إمام الورى زين المحافل والكتب
شريف مشى النهج السوي ولم يحل عن الأثر المحمود في الفرض والندب
فليس له في العالمين مُشَابهٌ يماثلهُ في السِّلم خلقاً وفي الحرب
فقل للذي يبغي لحاق فخاره ترفّق فلم تبلغ إلى المرتقى الصعب
متى يبلغ المطري مناقب من له فضائل قد نافت على السبعة الشهب
وطافت على ذاك الجلال فنالها شذا طيب أذكىٰ من المندل الرطب
ولمّا سعت بين الصفا من رياضه ومروة مجد أتحفت غاية القرب
وعند منى العافين والسعد طالع رمت جمرات الهم عن منكب الركب
وفي عرفات الجود كان وقوفها فجاد عليها ذلك البحر بالسحب
ومرّت بمن يحلو لديه حديثها أسير غرام لا يفيق من الحب

فأشجته إذ رقت فضب دموعه ... وغير بديع أن يُلَقَّب بالصب
عجبت لها وهي الفصيحة منطقاً ... لسامعها تضني وإن صحفوا تصبي
فما حوز الأجفان إلا لفضله ... من الحسن أهدته إلى ذلك السرب
نسيم الصبا ما اعتل إلا لغيرة ... لِمَا قد حوت من منطق للنهي يسبي
أبا بكرٍ هل تلك العقود نظمتها ... لتخلب بالسحر الحلال ذو اللب
أعدت زياداً عند نطقك اعجما ... وبينت نقصِ الفاضل المفلق الندب
ولمّا بَدَت تختال في وشي طرسها ... تعطرت الآفاق في الشرق والغرب
فمابِهِ دلالاً ما عيون المها وما ... قِفا نبك أو يا ظبية أو الا هبّي
لقد كسرت شعر ابن جابر في الورى ... وما المتنبي بعد عن مُعْجِز يُنْبِي
فقل لي هل أرسلتها خَنْدَرِيسَةً ... تظل الحجى قسراً وتذهب بالكرب
فإن لم يكن هذا السلاف بعينها ... فما بال ايجاب النهي خص بالسلب
وقد صار ورق الفكر يشدو صبابة ... على غصنها الميال من طرب الشرب
نصبت بها أعلام حُسن بلاغة ... فطأطأ أهل الشعر خفظاً لدى النَّصْب
لك الفضل إذ أبديت كل غريبة ... وأمليت فيها ما يزيد على العجب
ودونك مني ذا الجواب مقرضاً ... مديحك لي ألقى الدلاء مع الغرب
أهز به جذع البيان لأجتني ... بدائع آداب تروح للقلب
وأحيي به قلباً تعاوره الجوَى ... فعاد من الأشواق في معدن القرب
وصل على خير الأنام مُسَلِّماً ... كذا آله في كل حين مع الصحب

وقد عارض ذلك جماعة من أدباء الوقت من أهل اليمن وتجارينا نحن وهم في حلبة الآداب وأنتج ذلك جملة قصائد بديعة عذاب. قُلت من الأدباء المذكورين السيّد العلاّمة محمد بن محمد المساوى الأهدل والقاضي العلاّمة عبد الرحمن بن محمد العمراني، وممن عارضها السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر بهذه القصيدة بعد أن صَدّرها بنثر صُوَرَته: هذه القصيدة قالها أحقر البرية أحمد بن عبد الرحمن في مدح خليفة العصر من خَفَقَت في الخافقين أعلام جلاله، ودوخ ممالك العرب والعجم صيت أنعامه وأفضاله، وعادت به الأنام مبتسمة الثغور، عقب ما كانت عابسة لا تبدى أنياب السرور. هُمام تخضع دون حسام جلاله رقاب الصناديد من الأقران، وتلثم أعتاب أبواب دولته شفاه وجوه الأعيان، مغوار إذا سار بين الجحافل التي تطبق وجه الأرض بسنابك السلاهب، فلا ترى في الأغوار والأنجاد إلا القنا والقواضب؛

يُدَبِّر الأمر في البلدان هيبته ... أغنته عن نصرة الأنصار والخول
فاق الملوك كما فاق السحاب ندى ... فاليوم فيهم يرى في النوم كالمقل

مُخيي رسوم العدل والإنصاف، ماحي آثار الظُلم والإعتساف، ذي القدر العلي، البحر البر الشريف الحسين بن علي بن حيدر خلّد الله ملكه ودولته وأعلا عزه ودرجته.

مدحتُك فالتأمت قصائد لم تفز ... بأمثالها الصِّيد الملوك الأعاظم
لأنك بحر والمعاني لآلىءُ ... وفكري غواصٌ ولفظي ناظم

وهذه القصيدة المُعَارض بها:

أعادت مبادي الحب للمغرم الصبّ ... فأمسى حليف الوجد والمدمع الصب
وأصبح مسلوب الحشاشة ذاهلاً ... وقد كنت قدماً ناعم البال واللب
وأعجب ما يَلقى المتيم في الهوى ... بأن يشتكي في حال البعد والقرب
منعمة تزري الغزالة طلعةً ... وجيداً وقدّا بالعواسل والقضب
إذا عنّ لي ذكر العذيب وبارق ... أهيم وما قصدي سوى ثغرها العذب
واشتاق ذكر البان من أجل قدها ... ومن أجل ذاك الردف أهفو إلى الكثب
يشير لوصلي لحظها وهو صارم ... فأعرف منه القطع للهائم الصبّ
سقى الله أيام التواصل أنها ... حيٰوة حيٰوة الصّب عند ذوي الحب
أيا قلب دع ذِكر الحسان وَمِلْ إلى ... هوى غير إبكار المعاني التي تسب
كقول أبي بكر النزيل بمكةِ ... إلى مدحك السامي توجه بي ركبي
وما بعدها وامدح خليفة عصرنا ... سليل علي الماجد الأروع الندب
شريف نماه محتد كل غاية ... من المدح تكبوا دون منصبه الرحب
وماذا يقول المادحون وقد أتى ... بأمداحه الآيات في سائر الكتب
له سيرة محمودة الذكر في الملا ... وعدل يريك الشاة تَرْعَى مع الذئب
لِسُنَّة خير الرُسْل أضحَى مؤيداً ... كذا الفرع يتلو أصله في رضى الرب
لقد سار في الآفاق غر صفاته ... كمثل مسير الشمس في الشرق والغرب
له هَيبة قد آمنت كل خائف ... وأصبح منها الخوف يخفق بالرعب
فمن عزمه السامي وشدة بأسه ... يبيد العِداعا منه التوعد بالحرب
ولو قابل الشم الشوامخ عزمه ... لدكت وصارت منه توطأ كالترب
إذا رفع الأعلام واستلّ ماضياً ... فتى أن يلاقي الكسر جيش أولى النصب
تراه بيوم الرَوْع جذلان باسما ... وكل كمّي عابس الوجه في كرب
إذا ما رآه القِرن قبل نزاله ... غدا وهو مفقود الحشاشة واللب
له راحة لو أن للسُحب جودها ... لما كان يدري الناس ما صفة الجدب
يخبرنا عن جوده بِشْر وجهه ... وذلك وصف ليس للبحر والسحب

أبـ طـالبـ مثل الحسين بعصرنا ... طلبت لمعدوم فلا بد للندر
بهـ يفخر العنبـ إذا افتخرت بها ... أناس وليس الكسب في المِثْل كالوهر
لقد نال للغايات من كل مفخر ... مهمته من بعد ذا لم يقل حسب
ـه اليمن الميمون أصبح زاهياً ... على سائر الأقطار يرفل ذا عجب
حمى لحماه بالمواضي وصانه ... وسُمْر العوالي والمطهمةَ القُبّ
وبي قصر عن درك بعض صفاته ... ومن ذا الذي في وسعه العدّ للشهب
وإن أجديت عندي وأدركها الونا ... ركاب المعاني قد أناخت على خصب
وإني لمن يهدي إلى البحر قطرة ... فقابل مقالي بالقبول وبالرحب
ودم سابقاً في حلبة المجد راقياً ... لأفق المعالي سيد العجم والعرب
واختمها صلى السلام مُسَلّماً ... على المصطفى مع آله النجب والصحب

انتهت، قال القاضي حسن: واتفق مع ذلك مقامات في الخروج للتنزه إلى نخل زَبيد في موكب الشريف خليفة العصر، لا زال ظافراً بالنصر والتأييد، ودوّنت الجميع في كتاب، وسُمّي ذلك المُجَلّد «عقد الجُمان بذكر أدب علماء الزمان» وهو متداول معروف فلهذا طوينا ذكر تلك الأدبيات إحالةً عليه. وعند وصول هذه الأبيات إلى الشيخ أبي بكر المذكور جاءت منه هذه القصيدة مادحاً للشريف وقد أدمج في وصف بيته نَجْران وتاريخ وقت تمامه:

صدور المعالي في مراتب إحسان ... بها طرّز الاملا محاسن حسان
أم الزهر في روض الأصيل تفتقت ... كمائمه ما بين روح وريحان

وهي طويلة تركتها اختصاراً، وآخر بيت منها الحاوي للتاريخ قوله:

بغاية مطلوب تسامى مؤرخاً ... تبدّى لمرائي السعد طالع نَجْران

وفيها وصل رأي من السلطان عبد المجيد يقضي للشريف على اليمن بالتأييد، وإنما يطلب منه الإعلان له بالخطب على المنابر وذلك بواسطة محافظ جُدّة وشريف مكة، فقابل الشريف ذلك الرأي بالامتثال ورآها يداً للسلطان في الظاهر. وفي أيام إقامة الشريف بزبيد في هذه المدة وصلت إليه هذه القصيدة من شيخنا السيّد العلاّمة البليغ محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحٰق بن المهدي الصنعاني[1] أبقاه الله تعالى:

---

(١) محسن بن عبد الكريم إسحاق: عالم مشارك، شاعر أديب، توفي سنة (١٢٦٦هـ) وله ديوان شعر جمعه الفقيه الأديب عبد الله العماري في مجلد سمّاه «ذوب العسجد في الأدب المفرد» وهو مقسم إلى قسمين حُميني وحكمي، خ جامع الغربية ١٥٥ أدب، أخرى بمكتبة العبيكان (٨٩).

أيا دار ما أهواه دام لك السعد ... عزيز علينا أن يطول بك العهد
وما شغفي بالدار لكن لأهلها ... وفيهم حنيني والتولّه والوجد
إذا ارتحلوا عن سوحها ارتحل الهوى ... وإن وقفوا في غيرها وقف الود

وهي طويلة تركتها اختصاراً.

حوادث سنة ١٢٥٩هـ

السنة التاسعة والخمسون بعد المائتين والألف، فيها كان ابتداء إحياء الشريج الذي شرقيّ وادي ضمد وكان المتولي لأحيائه الشريف الأمجد محمد بن الحسين بن علي عن إذن حُكّام الجهة الأعيان وإذن والده مليك الزمان، وغرِمَ في ذلك غرامات كبيرة ولكنه تيسّرمن ذلك الإحياء معمال واسع لفنون الزّراعة جامع، وبنى هناك قلعةً عظيمة الشأن، شامخة البنيان، وسكن في ذلك المحل جماعة من الناس حتى صار قريةً عامرة سمّاها صاحبها بـ «الحِمَى» وهي في هذا الزمان من أحسن محاريث وادي ضمد.

وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها ... تشقى كما تشقى الرجال وتسعدُ

وفيها كان مِن الشريف حمود بن علي التظهّر بمخالفة أخيه في قضيةِ آل أمَرَهُ فيها إلى الاستسلام وترْك النزاع وطلب الاذن في الوصول إلى أخيه بمدينة الزهراء فلما وصله عطفته عليه الرحامة ولم يقابله بشيء من الملامة، بل واجهه بالعفو الذي هو به أحْرَى، وقوض معه خيام الترحال بالوصول إلى المدينة العريشية فدخلها الشريف بشارةٍ حسنة وأبّهة ملوكية مُستَحسنة:

على سابح موج المنايا بنحره ... غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حذقت لنزاله ... فلم تغض إلا والسنان لها كحل

وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً ترادفت فيها المسرّات والبشائر، وكان غُرّة في جبين الدّهر الزّاهر، فاستقر في بيته «نجران» المُشيّد الأركان وهو أول وصوله إليه بعد التمام، وأنشد لسان الحال:

لقد حسنت بك الأيام حتى ... كأنك في فم الدهر ابتسام

ودَخَلَت سنة ستين ومائتين بعد الألف في صَفر منها وصل إلى الشريف قبائل يَامْ واستقروا بحضرته جملةً من الأيام لأجل ترخيم أحوالهم وترتيب أمورهم فتمت على أحسن نظام، وكان قد وصل إليه قديماً السيد محمد بن يحيى بن المنصور من آل الإمام، وشكَى عليه صروف الحدثان، وما عامله به من خلال المراد الزمان، فقابله الشريف بغاية الإكرام ونهاية الإعزاز والإعظام، فاطمأن خاطره وقرّ ناظره، وأفاض

عبه من أنعمه فوق الكفايات، وغمره بترادف الصلاة والكسوات، وأعطاه كثيراً من الخيل الجياد، وكان لا يفارقه في أغلب الأوقات، ونزله في جميع أموره منزلة الأخ الشفيق، وأحله من الصداقة محل الروح من الجسد بمرأى من القريب والسحيق. وكان سبب خروجه من صنعاء أن حدث منه حدث أوجَب من إمام زمانه عبد الله بن أحمد المُلقَّب بالمهدي أن أقصاه من أوطانه، وأزعجه من محلِ أنس وسكانه، فطوّف أكثر الآفاق ولحقته أنواع الشِدَّة والمشاق، حتى أنتهي به سفر إلى مصر، وما وقف من سفر على غير الإياب، وحين وصل إلى الشريف نال منه من أنواع الإكرام ما لا يكاد يخطر ببال ولا يدخله في حساب، وكان قد أفاض إلى الشريف طلب النصرة للرجوع إلى صنعاء فأصغى الشريف إلى ذلك الحديث سمعاً، ووصل إلى الشريف أيام استقراره بالمدينة العريشية. وأكد طلب النصر من الشريف وحثه على ذلك بكرة وعشية، فطلب الشريف العساكر من بلادهم وسار بمن معه من الأجناد إلى زَبيد، واجتمع لديه هناك جمع وافر فعقَد من هناك للسيد محمد بن يحيى البنود، وحشد له الجنود، وتوجه تلقاء ذلك المطلوب، وانفصل من زبيد في أبهَى زي وأبهج أسلوب، وحين ضُربت في «رَيْمه»[1] خيامه ونُصبت في ذلك المكان أعلامه، دخل أهل تلك الجهة في طاعته، وانخرطوا في سلك إجابته، وكان ذلك مبادي ظهور الاستيلاء على تلك الجهات، ومقدمةً لبلوغ القصد ومنتهى الإرادات.

وفيها في مستهل ذي الحجة الحرام قَسّم الشريف الأجناد، وجعل لِكل طائفة مُقدَّماً من الأشراف الأمجاد، وتقدم هو في طائفةٍ من يام، وانفصل من زَبيد وتوجه إلى خَيْس بذلك الجيش الركام حتى دخلها وعيّد بها عيد الأضحى، ثم توجه إلى الجبال فدخل أهلها تحت طاعته وأقبلوا غاية الإقبال، وأناخ جيوشه بتعز وكان فيها رتبة من طريق صاحب صنعاء فناوشوا بالقتال ونَصَبَ الشريف عليهم المدافع وكانت الطائلة والنصرة له.

حوادث سنة ١٢٦١هـ

ودخلت السنة الحادية والستون بعد المائتين، فيها كان إقبال رعايا تلك الجهات إليه، وانثيالهم رغبةً ورهبةً بين تعز ومخلافه والجَنَد وجميع تلك الجهات إلى حدود

---

(١) هي المناطق التي كان يُطلق عليها صفة: اليمن الأسفل. وهنا تعريف سريع بمواقعها للقارىء غير اليمني. فمدينة تعز: في جنوب صنعاء بمسافة (٢٤٥) كيلاً، ومدينة الجَنَد: ـ بفتحات ـ من ملحقات مدينة تعز في شمالها بمسافة (١٧) كيلاً، وكانت قديماً تُعدّ من كبريات المدن اليمنية وأكثرها أهمية وفيها أول مسجد بني في اليمن. أمّا مدينة إب: ـ بكسر الهمزة ـ فهي في جنوب صنعاء بمسافة (١٤٠) كيلاً في الوسط من مدينتي صنعاء وتعز. ثم مدينة جِبْلَة: ـ بكسر فسكون ـ وهي من ملحقات مدينة إب، بينهما أربعة أميال تقريباً.

إب وجِبْلَه[١] غير طايفةٍ من ذو محمد[٢] في موضع يُسمَّى عماكر[٣] لم يدخلوا في الطاعة فأرسل عليهم الحرب فاستسلموا ودخلوا في الطاعة، وبعد أن صفت تلك المخاليف من الكدورات وانتظمت أمورها بعمّالها ومشائخها على حسب المرادات التفت الشريف إلى العناية بأمر محمد بن يحيى بن الإمام لأجل أن يحله وطنه مدينة سام[٤] ويستجلى بدر مملكتها الزاهر ويزحلف[٥] من كان بها عن دستة الدائر. وقد كان المتولي على صنعاء علي بن عبد الله المهدي وكان رجلاً سلس القيادة غير مُستَعْمِلٍ للحزم في الإصدار والإيراد، مغلوباً على رأيه باستيلاء خاصته عليه والأجناد، فكثر من أجل ذلك خراب الديار، وعدم انضباط أحوالها في العشايا والأبكار، وكان الناس مع ما هم فيه من ذلك الحال يتمنون قيام من يضبط الممالك، فكانت قلوبهم مقبلةً إلى هذا القائم لا سيما والشريف هو المتولي للعناية به في هذه المسالك، لِمَا قد شاع من حُسن سيرته وعدله في الرعيّة، فظنوا أن هذا القائم يحذو حذوه في تلك السيرة المرضية مع ما انضاف إلى ذلك من سبق القَدر بتمام المقصود، وخفوق بند السعادة الذي ببلوغ المأمور معقود. فلم يزل يعمل الشريف السياسة بما به تمام هذا الشأن حتى وصل محمد بن يحيى ضُوْرَان[٦] وهناك نشر الدعوة على تلك الآفاق، وتلقّب بالمتوكّل وغنّا له السّعد بما رَقّ وراق، واستمال الشريف ـ بحسن الإيالة ـ أركان المملكة من أهل صنعاء حتى صار ثمر أزهارها عنهم في الباطن للسيد محمد بن يحيى يَنْعاً، ولمّا أن شارف نَيْل المقصود على التمام، وتيقن أن ليسَ بينه حاجز وبين مدينة سام، أضاف ما قد ملكه من البلاد إليه، وجعل تكاليفها في الأمر والنهي عليه. وبعد ذلك قوّض الشريف خيام الرحيل إلى تهامة، وقد بلغ من جميع ما يريده مرامه، وقد كان الشريف في باطنِ الأمر ما أراد بتلك الجموع، وتلك العدة التي نَجْمها القاهر ما زال في طلوع. إلا استخلاص عدن من أيدي الإفرنج، وما جعل مملكته لتلك الجهات إلاّ مقدمة لذلك حتى تكوْن له ظهراً يستند إليه عند المُضي في تلك المسالك، وخاض مع أكابر الجند في هذا المراد

---

(١) انظر: تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي (١/ ٥١٤ ـ ٥١٥).

(٢) ذو محمد: قبيلة من بكيل، وهي نقيلة من موطنها الأصلي في بَرَط، استوطنت هذه المنطقة منذ القرن الثاني عشر الهجري.

(٣) العماكر: بلدة في جنوب مدينة إب وغربي مدينة القاعدة، كانت تُعد من بادية الجَنَد

(٤) سام: لقب لمدينة صنعاء.

(٥) زَحْلف الشيء: دَحْرَجهُ.

(٦) ضُوْرَان: بضم أوله، جبل في آنس هو المعروف بجبل الدّامغ تقوم في سفحه الشمالي بلدة «ضوران» التي كانت تحمل اسم «الحُصين» ثم غلب عليها اسم جبلها.

وبذل لهم الأضماع فما رأى منهم إلى ذلك المطلوب إسعاد، وقد كتب له إن شاء الله تعالى بما نوى كمال الأجر، وإنما على الله وحده تمام الأمر.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده ... وليس عليه أن تتم المطالب

والأشياء مرهونة بما لها من الأوقات، ولكل مملكة حصة يستوفيها أهلها ولها نهايات. ولمّا استقر الشريف بزبيد جاءته البشائر بدخول محمد بن يحيى إلى صنعاء وبلوغه ما يهواه منها أصلاً وفرعاً، والدنيا بالحظوظ في نيل الطلبات، ومن له في الكون شيء ساعدته الإرادات، وبعد استقراره بصنعاء واستقلاله بمملكتها بعث إلى الشريف بشيء من الهدايا، مكافأة على بعض ما قد أسداه إليه من اللطائف والمزايا، ومن أنفس ذلك خزانة كتب من كتب الإسلام، وكان لمن سلف من آل الإمام، غاية العناية بالعلم والاشتغال بكتبه، وهذا الشريف له العناية التامة بالعلم وجَمَع كتب العلم على اختلاف أنواعها ولديه منها خزانة كبيرة، وقد قَلّ في هذه الأزمنة الأخيرة عناية الملوك بالكتب، وخزائن كتب الملوك القدماء في جميع الأقطار الإسلامية مشهورة وقد ذكرها المؤرخون، وهذا الشريف أحيا مآثر من سلف بجميع نفائس الكتب فجزاه الله خيراً فإن بِحفظها حِفظ الشريعة زادها الله عزاً.

وفي هذا العام كان نزول جماعة من قبائل يَام مُظْهِري المخالفة للشريف، والشريف حينئذٍ بزبيد ونزلوا بساحة باجل فانفصل الشريف من زبيد واستقر ببيت الفقيه وأرسلهم لبذل الحقوق المعتادة لهم والوقوف تحت الخدمة فلم يقف منهم على طائل، ووصلوا إلى قرية الزَّيدية وعاثوا في البلاد ولمّا وصلوا إلى الزهراء نشروا رايات الحرب على من بها فَقُتل من يام جماعة وحلّ بهم الفشل وتوجهوا إلى بلادهم على حال لا يُرضي، ولم ينفصلوا عن علي حميدة إلاّ وقد أوقعوه في نكث عهد الشريف. ولمّا تبيّن للشريف أن علي حميدة قد نكث العهد أشعر عند ذلك في الأجناد بالإقدام إليه، وإدارة كأس الحرب عليه، فخرج في شهر ذي القعدة ومعه جماعة من العساكر والأشراف أبطال الصدام، ولمّا قرُب من أماكنهم لبس لأْمَة الحرب وهو يزأر كاللّيث الصائل، وتقلّد السيف البتار واعتقد الرمح العاسل، وأحلق به أبطال الفرسان من كل جانب، وبَدَا من بينهم وهو الغُرَّة في تلك المناقب، فقامت الحرب على ساق وكانت الطائلة للشريف عليهم في أمور يطول شرحها.

حوادث سنة ١٢٦٣هـ

ودخلت في أثناء ذلك السنة الثالثة والستون، وفي خلالها قام الأمير عايض يلاحق في طلب ما تم عليه الصلح بينه وبين الشريف، والشريف يعتذر منه بعدم محصول البلاد فيقبل العذر في الظاهر وهو مُصِّر على خلاف ذلك في الباطن ولكنه

ينظر لعواقب الأمور بعقله ويعلم أن المباينة عاقبتها وخيمة، وما زال الطلب منه ثائراً وأهل الأغراض يُحَسِّنون له ما يوجب التباين وصاحب صنعاء محمد بن يحيى بدت منه أمور شَوَّشت ما سلف من الشريف إليه من الجميل المبتدأ وحققت قول من قال:

ومن ذلك بالحر الذي يحفظ البدا

وربما أنه أفاض إلى عايض بالرسائل ما أفاض، مما يكدر من الموالاة صافي الحياض، فتظافرت وجوه الخلاف، وقامت أسباب عدم الائتلاف. والشريف عُذره قائم من عدم محصولات البلاد الذي معه بتسليم المطلوب يتعذر، على أن له من العَدَدِ والعِدَد مع ذلك ما لا يقتضي منه إعطاء الدنية ولا يتعذر، ولسان حاله ينشد في هذه العظائم قول جده عبد المطلب ابن هاشم:

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ولو تَسَلَّت أسلناها على الأَسل
لا ينزل المجد إلاَّ في منازلنا النوم ليس له مأوى سوى المقل

لكنه لم يترك وجهاً من وجوه السداد إلاَّ مشى فيه، محاذرة من الوقوع في استباحة الدماء من غير وجه يرتضيه، حتى أنه أسعفه ببعض البلاد، مع أن المشاركة في المملكة من دواعي الفساد. ثم أن الشريف أرسل ابن أخيه الشريف الحسن بن محمد إلى عايض بالسراة بعد أن ألقىٰ إليه الشريف الحسن، أن الرضى بالمشاركة في مملكة البلاد غير حَسن، ففوضه فيما يراه من الصواب، لعلمه أنه لا يؤتى من قلة في جميع الأبواب، فوصل إليه وجرتْ بينهما مواقف عظيمة وحجاجات جسيمة غايتها أنه تم الصلح بينهما على ما يريده الشريف على رغم الحسود.

وفيها ظهرت من محمد بن يحيى بعد أن صَفَت له البلاد الصنعانية من المشاركات، أمور تنادى بأعلا صوت على المخالفات، وتطلعت نفسه إلى منازعة الشريف في تهامة، وخُبْث الطباع تَنْشأ عنها الأفعال التي توجب الملامة كما قيل:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

فلم يزل تصدر منه أمور معلنة بالخيانة لما بينه وبين الشريف من العهود، والشريف لِكَرم نفسه وحُسْن ظنه به غير ملتفت إلى ما يقال، بل يحمل أفعاله القبيحة في الظاهر على أحسن الفِعال، حتى برحَ الخفاء من العداوة، وانكشف الغِطاء لذوي الفطنة والغباوة، فعامله الشريف بالنصائح تخشيناً وتليناً، فما زادته إلاّ عُتواً ونفوراً، فاقتضَى الحال أن استولى الشريف علي مدينة تعز وجعل لها رُتْبَة وعاملاً من عنده إغاثةً لأهله من ظلم أولئك القوم وإلاّ فلا مطمع له في تلك البلاد وكيف يطمع فيها وقد تركها رغبةً، وما غالَى في السوم وذلك بعد أن تحقق لديه أن محمد بن يحيى

لكن العهد بأمور لا تقبل في الشرع التأويل، ونصب له شرك العداوة في البكر والأصيل، وقد القائل:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنتَ أكرمت اللئيم تمردا

حوادث سنة ١٢٦٤هـ

السنة الرابعة والستون بعد المائتين والألف: فيها تحقق للشريف نزول محمد بن يحيى إلى تهامة، وارتكابه بالبداية بالبغي متن الظلامة، وساعده على تلك الخيانة علي حُميدة، فجرا عليهما اسم الغَدرِ، واتصفا بما هُما أهل له من قبيح الأمر، وذلك بواسطة أُناس استحبوا الدنيا على الآخرة، ولم يبالوا لخبث طباعهم بهذه الصفقة الخاسرة، فهوّنوا لمحمد بن يحيى الأمر بأنّ تهامة خالية من الرجال، وحرّضوه على اغتنام الفُرْصَة فيها يبلّغ من المملكة غاية الآمال. والشريف قد ركن إلى ما التزم به الأمير عايض من إعانته بأجناد لحفظ البلاد، وأنه مهما نابه أمر بادر إلى ما به تمام المراد. فاتكل على كلامه الموضوع، وزَلّج[1] من لديه من الجموع. وبقيت تهامة فارغة من العساكر ما فيها غير الازتاب، والشريف في الحُديدة غير ظانٍ لمثل ذلك لأمرٍ قد قضاه رب الأرباب، وقد كان طلب جماعةً من ذو حسين وجماعةً من ذو محمد[2] وعنده ثلة من غيرهم ولكن هؤلاء الطائفتين مع كونهم من صميم همدان، أمورهم في العسكر مبنية على الخيانة التي لا يتصف بها أهل الإيمان، ولا تقيّدهم العهود ولا المراهين عن ذلك كما هو شأن أهل الإسلام، بل إنهم يتلونون بتلوّن الأيام، ولكن أوجب الشريف إليهم الحاجة وللضرورة أحكام، وقد كان عزم على تجهيزهم لإعانة العامل بتعز بل بعضهم قد سار، فما فاجأه إلا انفصال محمد بن يحيى من صنعاء بما صح لديه من الأخبار، في جموع عديدة وكانت طريقه على باجل، يستمد من علي حَميْدة الحِيَل والمخاتل، فثارت على الشريف حينئذ القوة الغضبية، وحركته النفس الأبية، والشجاعة الحيدرية، وانفصل من الحديدة بقوم لا تفضي بهم الأوطار، وبعث الطلابات لمن من العسكر قد سار، وكان لدَى عامل بيت الفقيه جماعة من الأجناد، فجعل الشريف بينه وبينهم قرية الخليفة الميعاد، ولمّا وصلوا قرية شُجَيْنة[3]، وبَدَت من العسكرِ شواهد الخيانة الكمينة، وقد كان في عزم الشريف أن يلتقي محمد بن يحيى قبل أن يصل باجل، وأن يروي من عساكره الرماح

---

(١) زَلّج: أرسل.

(٢) ذو حسين وذو محمد: قبيلتان كبيرتان تشكلان الفرعان الرئيسيان لقبيلة ذو غيلان بن شاكر، من بكيل. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٣) شُجَيْنة: بضم ففتح، قرية في بلاد الرامية العليا من مديرية السُخْنَة.

العواسل، ولكن زحلت أولئك الأجناد الطريق، وجعلوا العجلة في الوصول إلى
نجل خير رفيق، فحين فاتوا الشريف شدّ بالجنود قصده أن يطرح قريب الغانمية[1]
للزوم الطريق عليه، فما وصل إلى أطراف ذلك المحل إلاّ وقد سبقه محمد بن يحيى
بالجنود إليه، فارتحل الشريف حتى طرح قبلي قرية القُطَيْع[2] بمن معه من الأجناد.
وكان كل منهم في مطرحه وهم من الشرِ على غير ميعاد، والعسكر الذين من ذو
حسين قدّ خادعوا محمد بن يحيى في الباطن، وجعلوا له علامة عند المصاف يكون
بها على غدرهم راكنْ، فابتدرهم الشريف وقصدهم إلى ذلك المكان يريد أن يدير
عليهم رحا الحرب العوان، مع ما قد طرق مسامعه من اشتمال بعض عساكر على
الخيانة واللؤم، ولكن لا نَقْض لِمَا قد أبرمه القَدَر المحتوم، فزحف بمن معه من
الخيل والرجال يوم السبت حادي عشر شهر محرم وكان بينهم من المسافة أميال.
فلمّا ترآىَ الجَمْعَان بأن للشريف في عسكره ما بان، لكن ما أمكنه لشهامته إلاّ
الإقدام، على أولئك الأقوام، والمخاطرة بمن معه من أهل الخيل في ذلك المقام،
وأمّا العسكر فولّوا الأدْبَار، وبعضهم كافح بالقتال وهو مُصر على الفرار. وخالط
البعض أجناد محمد بن يحيى في ذلك الحال، وجَرَت في ذلك الموقف على من
ثَبَت أهوال، وأمّا الشريف فخاض تلك الغَمَر، وفعل أفعالاً حيدريّة، قضت له أن
فَرْع تلك الشجرة النبويّة. ولم يزل يركض فيهم يميناً وشمالاً، ويذيقهم كأس المنية
حالاً فحالاً، ولكن لكثرتهم لم يزالوا ينثالون إليه، ويرمون بالبندق من كل جانب
عليه، فقام في ذلك المقام بمقام ألوف من أبطال الرجال، ولازمهم في الحرب ساعة
أسابَت منهم الأقذال، عرفوا بها قدر ذلك الأسد الريبال، وعلموا أنه لا يناظر به من
أهل زمانه أحد في الثبات عند القتال. ولم يزل يصدر عاسله في تلك الموارد،
ويطاعن ويطارد، حتى أصابته رصاصة في فخذه الأيسر، عَدِمَ منها استقرار قدمه في
ركاب الحصان، فانحاز إلى جماعة من ذو محمد رئيسهم رجل يُقال له ابن عَوْفَان،
ورجعَ إلى المطرح يمشي بقلبٍ أشد من الصخر، وعزمٍ أعز من الدّهر، لم تزعزعه
المنايا، ولم يتضعضع لِمَا شاهده من تلك البلايا. وما وصل المطرح إلاّ وقد أجلا
منه أكثر الخيّالة والعساكر، بعد أن وقع من الجانبين ما وقع من القتل والحُكْم لله
العلي القاهر، وثَبَت معه إبنه الشريف الحسَن وجماعة من أولاد أخيه وثُلّة من
الخيّالة، وظهر من هؤلاء الأشراف مع صغر سنهم من الثبات ما دلّ على أنهم من
معدن الرسالة. وممن فاز بالشهادة في ذلك اليوم الشريف يحيى بن علي بن حيدر،

---

(١) الغانميّة: قرية فيما بين مدينتي بيت الفقيه وزبيد.
(٢) القُطَيْع: بضم ففتح فسكون، قرية بالقرب من خط الطريق الذاهبة من الحديدة إلى باجل.

بعد أن روّى رمحه من أولئك العسكر.

تردّى ثياب الموت حُمراً فما أتى   لها الليل إلاّ وهي من سُنْدُسٍ خُضرِ

وكذلك الشريف علي بن هزّاع بن عليّ فارس بعد أن لاقا العدو بثغرٍ باسمٍ في ذلك اليوم العابس. ولمّا شاهد الشريف تَفرُّق الأجناد اتصل بقلعة القُطَيْع لما آلمته الجراح، وساعده على الانضمام إليه جماعة من الأشراف وغيرهم آثروا الوفاء وقالوا ما عن مثلهِ براح، وانضاف إليهم جماعة من ذو محمد. ومحمد بن يحيى بعد انجلاء المعركة شد[1] بأجناده من ذلك المكان وفرّق الأجناد على تلك القلعة وهي غير منيعة، ولم تكن بقعتها لكثرة الرجال وسيعة. واستمر القتال بين الفريقين في البكر والأصيل، وعجز الأعداء عن نيل مرادهم من الشريف حذراً من البندق الثائر والسيف الصقيل، وحين أعيتهم الحيل عن نيل مرادهم جنحوا إلى الخداع بأنواع، وحَسَّن لمحمد بن يحيى جُلساء السوء في تقسيم جنس الخداع بأنواع، وجعلوا جماعة من العسكر وسيلة إلى السعاية بهذه الرذيلة، وتم الأمر في الظاهر على إطلاق بيت الفقيه، وإخراج العامل والرتبة التي فيه، وعند ذلك يرتحل محمد بن يحيى بأجناده، ويتصل الشريف بالحُديدة بمن معه من أصحابه وأعضاده.

وبعد ذلك أطلق مراهين ذو حسين عليه أهل الخيانة والعيب، ولا يعلم ما أخبته الضمائر إلاّ عالم الشهادة والغيب. وبعد وصول المراهين إلى محمد بن يحيى وإخراج رُتْبة بيت الفقيه منه أعلن بالخلاف، ولم يراع الدين ولا المروءة في ذلك الإختلاف، وأرجعوا الحرب بِكراً على الشريف واستدعوا مدفعاً من بيت الفقيه، وأمّا مدافعهم فهي تكسّرت ولم تقضِ وَطَراً فيما يريده وينتحيه.

مكايد تُنْسي كَيْد إخوة يوسفٍ   ورهن ابن يامِيْن وبيع أخيه

وقد كان الشريف بعد الكائنة بعث إلى ولده الشريف محمد بن الحسين برسالة ليتقدم إليه منجداً في الأشراف الخيّالة، ولكن لم يصلوا إلى الحُديدة إلاّ بعد مدة تقارب أشهراً وقد ضاق على الشريف من الحصار الأمرّ، وضعفت لعدم الغارة[2] قلوب من عند الشريف من العسكر، مع علمهم باستقرار أولئك الأجناد في البندر. وعند ذلك استحسن بعض من كان عند الشريف قبيح الخيانة، وتطلعت نفوسهم إلى متابعة الأطماع وخلع لباس الأمانة، وبَلَغ أنه التزم لهم محمد بن يحيى من الحِطام بما التزم، ولم يَفِ لهم بذلك وكان استسمانهم لذي ورم، فاتّصفوا بوسم الغدر على

---

(١) شَدّ: رحل.

(٢) الغارة: النجدة.

مرور الأيام، وخلوا بين الشريف وبين العدو في ذلك المقام. ومع هذا فأحناد محمد بن يحيى قد أحاطوا بالقلعة إحاطة الهالة بالقمر، فانقطعت المواد على الشريف التي بها في الحرب يقضي الوَطر، فما وسع الشريف مع هذه الأمور غير الجنوح إلى السِلْم رضاء بحكم المقدور، والدهر بمثل هذا دولاب يدور

ولا لـــوم فيمـــا لا يُطـــاق وإنمـــا يـلام الفتـى فيمـا يطيـق مـن الأمـر

وتم الصلح بين محمد بن يحيى وبين الشريف على إطلاق البلاد اليمنية عليه، مع أن الشريف غير مختار في ذلك وإنما هو مضطر إليه، وجعل مرقوماً بذلك إلى الأشراف الأمجاد الحسن بن محمد ومحمد بن الحسين وحيدر بن علي وكان قد وصل من المَخا إلى هناك، فلمّا بلغهم المرقوم وقع التَنبُه أن تلك حيلة لاصطياد البلاد هي الشراك لا سيما وقد سبق من محمد بن يحيى ما سلف، والمؤمن لا يُلْدَغ من جحر مرتين إن عرِف، فاجتمع شَوْر مَنْ ذكرنا أن يكون الجواب أن مع وصول الشريف إلى الزهراء تُطلَق عليك البرور والبنادر، ونعلم أن ما تقوله من الصلح هو منك الباطن والظاهر. فحين وصله الجواب بخلاف المراد تبين له أنه عرف ما قصده من إضافة الشريف إلى البلاد فأجاب بعدم الرضى، وفي قلبه من الغيض جمر الغضَا، وحاص عساكر الحُديدة حِيصة حُمر الوحش، ووقع ما لا يمكن تعبير القلم عنه من الرَبْش، لكن حين رأى الشريف الأمجد، الحسن بن محمد، تلك الأمور الفاضحة، والأهوال التي عقباها فادحة، وعَلِمَ أنه إن لم يسع في الصلاح آلت أمور المملكة إلى إختلال، وانتهت أحمالهم وأحوال الرعية إلى زوال، ساس الأمور حين خرست الألسن عن المقال، وطلب من العساكر البيعة بعد الالتزام بما لهم من الحقوق، وبذلوا له المراهين حتى لا يصدر منهم شيء من العقوق، فانضبط البندر على ما يراد، واسقط في يدي محمد بن يحيى ومن معه من الأجناد. وبعد ذلك اتفق الأمر أن الشريف الحسن يتولى حفظ الحُديدة من دواعي الخلاف، والشريف محمد بن الحسين يرتحل لِيبقى في مدينة الزهراء لحفظ تلك الأطراف، ويتوجه الشريف حيدر بن علي إلى أبـي عريش حفظاً للجهة الشامية من التّربيش. ومحمد بن يحيى لمّا أيِس من بندر الحُديدة ارتحلَ إلى بيت الفقيه وفارقه علي حميده من القُطَيْع وتوجه إلى الضُحِي وقرية الزيدية بعد خروج العامل منهما هو والرُتبة لا عن غلب، وإنما سرى عليهم من الذل ما أوقعهم في العار المجتلب، وكان علي حميدة يهم بالارتحال إلى الزهراء واللُحيّة، ولكن لم تنفذ له مع حَزم مَنْ في تلك الجهة خديعة بالكلية. وأمّا زَبيد فهو مستقر الشريف الحسن بن محمد وفيه بعض الحُرَم، وإنما خرج منه حين حصل على الشريف هذا الحاصل الذي دهم، فاستقر بالحُديدة قبل أن يصل إليها أحد من أهل الغارات ولولا وصوله إليها لدخلت في خبر كان، وألقى ارتابها

بني أهل العدوة منهم العنان، مع أنه في إقامته هناك يستنجد القوم المطلوبين من الأشراف. ويعمل الحيلة فيما به للعدو عن الشريف الإنصراف. وكان العسكر الذين بزبيد قد دب في بعضهم داء الخيانة والغدر، فراسل محمد بن يحيى خفية في المبيعة بتمام الأمر، فأعلن في مدينة زَبيد بالخلاف، وشوّش على الرُتبة وعلى العامل بها من الأشراف، وساعده على ذلك أهل الأغراض، ومن قلوبهم بالعداوة عراض، ولله دَرّ القائل:

إذا وافقت هوىً في الفؤاد ... بما تنجح المقالة في المرء

فلمّا بلغ الشريف الحسن هذا الواقع، الذي تصطك منه المسامع، بعث جماعةً من الخيّالة، لأجل تلافي القضية، واستخلاص العار الذي هناك على حالة مرضية، فحين وصلوا تمنّع ذلك البائس الغادر، وطلب هو والعسكر من حقوقهم السالفة من الدراهم شيئاً قاهر، فبذله أصحاب الشريف الحسن لأجل استخلاص مَنْ هناك وهرجوا على ظهور الجمال، وتأخرت مع وصوله إلى البحر بعض الأمور الثقال. وبلغ الخبر الشريف الحسن فركبَ في جماعة من الجند وخلص بمن يريد نَجيّا، وصح ما أراده أهل العداوة شيئاً فَريًا، وانفصل محمد بن يحيى بعساكره إلى زَبيد بعد أن تم بينه وبين رُتبته الكلام، ودخل قلعته وما وقف أولئك الغادرون على ما التزم لهم به من الحِطام، ووقعوا في سوء القالة في الدنيا مع ما ينصب لهم من لواء الغدر يوم القيام. وكان الشريف قد خرج إلى طائفة من ذو حسين وكان صحبتهم إلى زبيد في السفر، ولمّا وصل إلى البينية شرقي زَبيد كان هناك المستقر، ومحمد بن يحيى أقام نحو نصف شهر في المدينة المذكورة وطلب أن يكون الشريف لديه فامتنع أولئك الأقوام لِمَا قد سبق في عِلم المَلِك العلاّم، ولمّا أيسَ من نَيْل ذلك المرام ارتحل عنهم إلى قرية حَيْس والقلب من مخالفتهم في إضطرام، ووصلِ حيس وعامِلهُ عنه قد ارتحلَ، وأصابه ما أصابَ غيره في هذه الحادثة من الوجل، فرتّبه ومضَى إلى المخا في سرور كامل، لأن الرُتبَة التي فيه لمّا تنحّي عنهم العامل كانت تدور بينهم وبين محمد بن يحيى الرسائل فما وصل إليهم إلا بعد أن صلح الشأن، وصاروا له من أخص الأعوان. وأمّا الشريف الأمجد علي بن محمد فهو العامل باللُحيّة لكن اقتضى الحال مسيره إلى عايض ليمد بجُندٍ حسبما وقع به الالتزام لأخيه الشريف الحسن أيام وصوله من طريق الشريف إليه، ولمّا وصله استحثه وعوّل في دفع هذا المُلم بعد الله تعالى عليه، فأعرض عن القيام بالنصر صفحاً، وطوى بعدم وفائه عن ذلك المرام كشحا، وطال بينه وبين الشريف علي ذيول الكلام بما تبين له أن يُخفى غير ما يُظهِر لهم والسلام. آخر الأمر طلبه أن يفك له الطريق ليسير إلى قبائل يام، فلم يرضَ له بذلك فتبين له بفعله هذا علم صفاه لهم عند جميع الأنام، ففارقه

الشريف علي بقلبٍ مهموم، وخاطرٍ مكلوم، وبذَمٍّ على وصوله إليه ولا زاد لما سبق في عِلْم الحيّ القيوم، فوصل إلى أبي عريش وطلب جماعة من سحار[1] لأجل يسيرون معه إلى بلادهم ثم يرتحل من هناك إلى يام، واستصحبهم في طريقه قصداً إلى بلوغ هذا المرام، فانفصل من فَجّ حَرَض حادي عشر شهر صفر. وبعد وصوله إلى بلاد سَحَار بعث إلى يام وتلقّاه من تلقّاه في أثناء الطريق، ولمّا وصل إلى بلادهم تلقّوه بالإجلال والإكرام الذي هو به خليق، ونصبوا له بيتاً في وسط نجران، وأتوه بأنواع الضيافات القاصي منهم والدان. وكما استقر في بلادهم فتح عليهم الخطاب، وأنه ما جاآهم لغير النصر وطَلَب منهم الجواب، فأجابوا بالإسعاد داعيه، ولبّوا بما يهواه مناديه. ولمّا كان المكارمة[2] بهم الحل والعقد ليام في مثل هذا الأمر ارتحل إليهم وقصدهم إلى عقر بيوتهم ببدر[3] فتلقوّه بالإجلال والتكريم، وبذلوا له مُراده بالرضَى والتسليم، وقام القاضي عبد الله بن يوسف المَكْرَمي والقاضي علي بن حسن غاية القيام، وضربتهما الحميّة على الأشراف هم وقبائل يام، هذا مع أن في النفوس ما يقع بين الأحباب من الأنكاد، لكنهم لم يلتفتوا إلى ذلك وعند الشدائد تذهب الأحقاد. فاجتمع من الأجناد جمع حافل من الخيل والرجل، ولم يتخلف رجل مقاتل، فانفصلوا من بلادهم يغني النصر على رؤوس ذلك الخميس العرمرم، والمكارمة هم رؤساء الجُنْد والشريف علي هو المُقَدَّم، ولمّا وصلوا إلى فج حَرَضْ رجفت منهم تهامة، ورغمت أنوف أهل الحسد وأسرّوا على تفريطهم النَدامة، ولاح بارق السعد واستهلت على الأعداء غمامة، وتوجّهوا من حَرَضْ إلى نحو اليمن الميمون، وعناية الله سبحانه ترعاهم في الحركة والسكون، واجتمع بهم الشريف الماجد محمد بن الحسين بن علي مع وصولهم إلى قريب مدينة الزهراء، واتصل مع إخوانه بتلك الكتيبة الخضراء، وانضم رأي أولئك الأمجاد الصناديد أن لا يكون لهم هَمّ غير استخلاص الشريف والقصد لِزَبِيْد، وبَرز الشريف الحسن بن محمد من بروج الحُديدة وطرحَ بقرية الدِرَيْهمي ورتّب هناك القلعة التي فيه، وقام أمد ما طرح القوم قبلي مدينة بيت الفقيه. ومما قلتم مكاتباً به المكارم ويام ومستنجداً لهم في الاهتمام، بما هم بصددهم برقيق النظام، فإن النفوس الأبيآت تثير حفاظها الأشعار، يعرف ذلك من اطلع على أيام الناس في الجاهلية والإسلام بلا إنكار:

---

(١) سَحار: قبيلة مركزها مدينة صعدة.

(٢) المكارمة: طائفة من إسماعيلية اليمن، انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية - ط الرابعة.

(٣) بَدْر: من قرى نجران، وهي غير موضع بدر الذي ذكره الله في القرآن الكريم فتلك بلدة الآن بمنطقة إمارة المدينة المنورة.

لوامع برق في دجى الليل إذ يسري … أطارت منامـا للـذي دمعه يجري
بحدث ذاك البرق في طي لمعه … بحادثة تملي على صفحة للدهر
أصبت مليك العصر غيثم سحائب … ولم يك عن ضعف هناك ولا ذعر

وهي طويلة تركتها اختصاراً. وعند اجتماع أولئك الأشراف الأبطال، وقع إلى زبيد منهم بالجند الارتحال، واستقر المطرح بالحِمى[1]، وكان وصولهم إليهم خامس وعشرين شهر ربيع الآخر. وكان قد جرى الكلام بين الشريف الحسن بن محمد وبين ذو حسين أيام إقامته في الحُديدة فيما به خلوص الشريف ومع القرب منهم طال بينه وبينهم ذيول الكلام، وما أينع أمر ذلك الكلام، لمقاصد لا يخفى على عاقل مع الميل لمصانعة قائدهم نظراً لعواقب الأمور، وما دروا أنه قد سَبَق في علم الله سبحانه أنه قد هبّت عليه بالأدبار ريح الدبور، فرأى الشريف الحسن تركهم على ما هم عليه من المجاملة في الظاهر هو القياس، ويجعل القصد أخذ المدينة حتى يحصل للراجي الإياس، فأشعر الجُند بهذا المراد فقابلوه بالإسعاف والإسعاد، ولبّوا داعيه بقلوب في الثبات أقسى من الجماد. ولمّا كان ليلة الثلوث غرة شهر جمادى الأولى قبيل الفجر تقسّم الجند ثلاثة أقسام، ونشروا الرايات والأعلام، وأقدموا على زبيد حاملي الموت الزؤام، فلم يمض لهم من بعد انفتاح القتال إلا نحو ساعة حتى ملؤوا السور واقتحموا الخندق وشاركوا في البلد أولئك الجماعة وأطلقت من بطون البنادق رعود، وغنّى على غصن تلك الرايات طاير السعود، فأيدهم الله سبحانه بالمدَد والنصر، واستولوا على زَبيد عِنوةً بالغلبة والقهر، وكان المُقَدَّم في ذلك الخميس الشريف علي بن محمد. ومع ذلك الإقدام والحرب يتجدد حتى سالت بباب سهام وتلك البقاع، دماء أباحها البندق والسيف القطاع، وكان يوماً على أولئك البغاة قمطرير، وقاسوا من الأهوال ما قاساه الجُند الشامي ليلة الهرير، وذهبت تحت سيوف تلك الأسود الضواري نحو مائة قتيل، ولم يجيء ظهر يوم الثلوث إلا ولم يكن في أيدي البغاة غير القلعة الكبيرة وهم في أعوال وعويل. وأمّا الشريف الحسن بن محمد والشريف محمد بن الحسين ومن معهما من أهل الخيل وبعض الجند فقابلوا ذو حسين في المصاف[2]، حذر أن يحدث منهم ما يحدث فانجَلت المعركة ولم يحدث منهم خلاف، بعد أن هالهم ذلك الأمر الواقع، وتيقّنوا أن لا قبل لهم بدفع ذلك السيل المتدافع، ولانت منهم عريكة الامتناع، ومَنْ وعَظ بغيره فهو

---

(١) الحِمَا: وادٍ في شرقي زَبيد. وهو غير مدينة الحِما في جازان.

(٢) هي المصاوفة، مركز إداري من مديرية زبيد. من قراه: المحصام، الحكامية، الجمافرة، الشاذلية، وغير ذلك.

السعيد، ودروا أنهم إن لم يُسلّموا الشريف طوعاً بدتهم تلك الليوث في فلوات البيد، فوصل بعضهم إلى الشريف الحسن ودار الحديث بينهم في خروج الشريف من عير شيء يثير الفتن. فما زال الكلام يبدو منهم وإليهم يعود، وهم لم يورق من حديثهم بالتسليم العُود، طمعاً في الحطام الذي يسبي عقول الرجال، وبه يبلغ الأماني وينهزم الجيش من غير قتال، ولمّا عثروا على المطلوب من تلك المراهم، كانت لجرح التّعصي والمنع مَرَاهِماً وأي مَرَاهِم، وليس البذل للمال من أولئك الأسود الضراغم، خشية من موج بحر القتال المتلاطم، كيف وهم بالأمس قد جمعوا على قلاع زبيد من جثث القتلى عمائم، إنما كون الشريف مقيماً بين أولئك القوم فربما مع انفتاح الفتنة يحصل ما يكون عاقبته الندامة واللوم فالتقطوا من بينهم ذلك الجوهر النفيس بيد المال، وجعلوا ما أعطوهم من باب المكافأة على صيانة الشريف مقيماً ذلك الأسد الرِئبال. فخرج الشريف من عندهم يوم الثلوث ثامن جمادي الأولى كالبدر إذا تجلى من الكسوف، وهو بسّام الثغر وقد عبست من الأعداء وجوه ورغمت أنوف.

إن كان أضحكهم وعكٌ ألمّ به — فليبكهم بعد هذا صحة صلحت
أصبحت كالشمس ما شيبت بمنقصة — بعد الكسوف إذا أنوارها وضحت

وتلقاه أولاده الأشراف بجميع الجنود، تخفق على رؤوسهم بالمسرات البنود، وكان يوماً مشهوداً تكرر فيه شكر الله تعالى وهو نِعْم المحمود، وأدار الأحباب فيه كأس السرور، وأشرقت الأكوان بذلك الأنس والحبور، وأنشد لسان الحال في ذلك اليوم الأغر المحجل مردداً صوته بين الجحفل.

شفت كمد الإسلام والبغي راغمه — عزائم فتك ساعدتها عزائم
ألا هكذا فليحفظ المُلك حافظ — ألا هكذا فليحزم الدين حازم

واستقر بعد ذلك في المخيم المنصور على حال يسر الودود ويسؤ الحُسّاد، وبعث البشائر إلى أقطار المملكة حاضرها والباد. وحين وصل إلينا بأبي عريش خبر هذا الفتح المبين حَمّلتُ السائر إلى الشريف هذا النظم ولا أقول العقد الثمين:

ما غنّت الوِرق في غِصن من الشجر — إلاّ تذكرت إلفاً غاب عن نظري
ولا سرى البر إلاّ رحت أنشده — يا ساري البرق إيقظ راقد السمر
ما قلت إذ بِتّ بالتشهيد منفرداً — لقل بالجزع أعواناً على السهر
حسبي منَ الشوق أني لم أزل دنِفاً — والبَيْن قد زاد في سقمي وفي فكري
في القلب قد نزلوا مِن بَعْد بُعدهم — لذاك أصبح قلبي دائم السرر
فليت عصر اللقا تبدو طوالعه — ويجتني الصب منه يانع الثمر

وكيف يصحوا الذي ما زال مرتشفاً ... كأس الغرام ولا ينفك ذا سَكَر
وما تعلّق قلب بالهوى فسلا ... وليس يسلو أسير الظبي ذي الحور
ما هبّ ريح الصبا وهنا فمرّ به ... إلا أذاع هواه نسمة السحر
بكفيه من لوعة الأشجان أن له ... طرفاً سفوحاً مدى الآصال والبكر
يا حادي العيس يبغي سفح كاظمة ... قف الركاب لأملي ساعة خَبري
هل أنت تعلم ما في القلب من حرق ... وقد غدوت عليه غير مصطبر
وليس يطفى لهيب القلب غير لِقاً ... من وصله في زماني غاية الوطر
فاعمل مطاياك من داري لتعرف ما ... حُمّلتَه من سلام طيبٍ عطر
ومُرّ بالبدوي وانزل هناك على ... ممسًى بوادي لِعَيْنٍ أخضر السِحر
وابكر إلى مربع الزهراء مُنتشياً ... بالقرب لا تخشَ مِنْ أيْن ومَنْ ضَمَر
وأتِ الحُديدة في ممشاك ملتمساً ... أراحة القلب من وعثاء للسفر
وارحل سُحيراً إلى المقصود في عجلٍ ... تأتي زَبيداً مناخُ العز والظفر
هناك تلقى خيام القوم باديَةً ... تزهو بفخر على بادٍ ومحتضر
وقبلن راحة المولَى الشريف لكي ... تحضَى بلثم يد سخاء كالمطر
وثن بالقدم العلياء التي ارتفعت ... مجدداً لذاك غدت ميمونة الأثر
وانشر ودائع تسليمي بتأدية ... في اللطف تسلب للألباب والفكر
تحية بوداد نشرها عَطِرُ ... تفوق في حسنها للتبر والدرر
تزري بروض نضير في نضارتها ... صفت كقلبِ مَن أهداها من الكدر
وهنّه جهرة بالفتح واتل بها ... لسورة النصر في آيٍ من السُوَر
حتى يكون الهنا بالشكر مقترناً ... لدافع السوء والآفات والضرر
فهذه نعمة لا نستطيع لها ... شكراً وإن مدّ أعمار إلى العمر
والأنبياء لهم هذا المقام غداً ... ومَنْ على نهجهم يمشي على أثر
إن ابن متّى غدا فيه يشاكله ... ونِعْم ذا إسوة تجري لمدّكر
فيا لها محنة تدعو بمنحتها ... كانت مع غسل أوزار لمعتبر
جرت على يد من غَذّى بنعمته ... وكان منه محل السمع والبصر
قد كان قُذماً طريداً عن عشيرته ... حتى أتى نحوه يسعى على قدر
فعمّه بجزيل الفضل مصطنعاً ... فيه المكارم فِعل السادة الغرر
أعان بالنفس في إبلاغ مقصده ... وبالنفائس في سرٍ وفي جهر
حتى رقى رتبة في المُلك عالية ... بسفح صنعاء على رغم من البشر
من بعد ذا خان للعهد الأكيد ولم ... يرعِ الذمام وهذا شأن كل جري
جازا بإحسانه فعل القبيح وذا ... لدَى أولِي العقل ذنبٌ غير مغتفر

ظن الـذي صـار فعـل الغـدر شيمتـه أن سوف يأمن صرف الدهر من غير
فلـجَّ فـي بغيـه يسعـى لمطلبـه فخانه في المساعي وارد القدر
لو شاهدت عينه يومي زَبيد وقد حامت على قومه خفاقة ال...
ظلت بباب سهام[1] من دمائهم دوافق فوق ظهر الأرض ...
قد صار ابطال يوم يعبثون بهم حتى كأنهم نوع من الحجر
واضعف الرعبَ أيديهم فطعنهم بالسمهرية مثل الوخز بالإبر
لفوا مساعير حرب ليس يعطفهم عمّا يرومون وقع الصارم الذكر
كظل يرعد من خوف ومن فرق لكنه فر لمّا سيم بالذعر
ولم ينل غير فعل بالغدر منقبة من مخاز حواها كل مستطر
وبعد تهنئة فانشر مناقبه فإنه قد رقَى شأواً على القمر
فهو الشريف مبيد المعتدين ومن يروي بيوم اللقا للسمر والبتر
ما للحسين نظير في بسالته فكم دمٍ للعدا في كفه هدر
إذا اعتلا صَهَوَات الخيل يوم وغاً أردى القرين وألقاه إلى الحفر
يهاب سطوته أسد العرين لذا يظل يزال من خوفٍ ومن حذر
فلا تقسه بعمرو في شجاعته فذاك يقصر في ورد وفي صدر
سجية من أمير المؤمنين غدت أرتاله قد حواها وهو في الصغر
كريم كف فلا تلقى مماثله فحاتم الجود أضحى أي مُختقَر
يُبديك بالتبر آلافاً ويتبعه بالعذر جُوداً بلا منٍ ولا كدر
حليم طبع فلا اللأْوا لتهنهه ولا يطيش لدى السرّا مع البشر
يعفو مع قدرة حسناً ومكرمةً فلم يُقَس بابن قيس عند ذي النظر
له التواضع خُلقاً وهو مرتفع وكم تواضع أقوام على غرر
أخلاقه كنسيم الصبح رقتها على المُوَالي وللأعداء كالشرر
أقام للعدل أركاناً مُشيّدة من غير حَيْفٍ ولا جور ولا قِصَر
وساس للملك بالرأي السديد فلا يُغال فيه بإيهام ولا خور
وهلَّ في اليمن الميمون طالعُه فصاب حزب التقى والعلم من غير
وأصبح الناس في أمنٍ وفي دِعةٍ قد عَمّهم بلباس العدل من ضرر
أحيا به سِيَر الماضي من ذكروا من آل بيت رسول الله ذي النذر
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير
وقد تحقق بالوصف الذي اتصفوا وصار حقاً عظيم القدر والخطر

---

(١) أحد أبواب مدينة زَبيد، سُمّي نسبة إلى وادي سهام لأن الباب يقع في جهة الوادي.

غنت بـأقطاره الركبان قاطبة ... في سائر الأرض من بدو ومن حضر
جلت مناقبه العلياء عن عدد ... وكيف يمكن عد الأنجم الزهر
فإنه يبقيه ركناً للعلا أبداً ... مُسَلَّماً فائزاً بالنصر والظفر
يحفه الدهر بالأسعاد مقتبلاً ... له الوقاية حِرزٌ من أذى الغير
وهاكها من بسيط الشعر وافدة ... تزهو بمدحك في بُردٍ من الحبر
ترجو القبول قرى منكم وتطلبه ... فأنت للضعيف فيها خير مغتفِر
ثم السلام عليكم ما هَمَا مطر ... يغشاك في كل وقت غير منحصر
بعد الصلاة على المختار سيدنا ... محمد المصطفى المبعوث من مضر
والآل والصحب ما غنت مطوقة ... تشجى اللبيب على غصن من الشجر

وفي أثناء اشتغال أولئك القوم بتلك الأمور المُرّة المذاق، بدَا للأمير عايض نسخ حديث الوفا والوفاق، والاستيلاء على البلاد لغدره وظنه الفاسد أن الشريف لم يكن في عالم الوجود، فانفصل من بلاده بخيله ورَجُلِهِ وأجناده حتى بلغ قرية مُسْلِيَة[1] ودار الخطاب بينه وبين الشريف حمود بن علي والشريف حيدر بن علي وطال الحديث وبينما هم في تلك الأحاديث يخوضون إذ فاجأهم خبر خروج الشريف فتقطعت الظنون، وظهر من عايض ما هو في الضمير مكنون، وأفصح أنه ما كان يظن أن الشريف في عالم الوجود ولانت منه العبارة وجنح إلى ما هو في الحقيقة المقصود. فتم الصلح بينهم وضربوا على ذلك القواعد، ورغمت بالصواب أنف كلّ باغض وحاسد، ورجع قافلاً إلى بلاده وقد بلغ ما يؤمله غاية مراده، وسكنت من الفتنة هذه الجهات. ووقع الأسف من أهل الأغراض على تمام الصلح لأنهم لم يقفوا على غير الحركات. وأمّا محمد بن يحيى فالحاصل على زَبيد وهو مستقر في المَخا فلما بلغه الأمر أحجم عن الوصول، وبان له أن نجم مملكته لتهامة في أفول، وبقي فيه أياماً يضرب الأخماس بالأسداس ثم ترجّح له المسير إلى حَيْس وقد صار هو وأصحابه في انعكاس، فأقام هناك أياماً والحيرة والدهشة مستوليان عليه، يتوقع صباحاً وعشياً وصول القوم إليه، لكنهم عنه في اشتغال باستخلاص قلعة زَبيد من أولئك الأجناد، ولم يزل الحرب ثائراً عليهم في كل آن، حتى رقّت عليهم قلوب أولئك الأسود الضواري وبذلوا لهم الأمان، ومما يُدَوِّنهُ من الحكمة أهل السلوك أن العفو أبقى للمُلك من الملوك. وخرج من كان مقيماً عندهم من الأشراف، وصفت منهم القلعة وتوجهوا إلى الجبال وكان ذلك منتهى خبرهم وقطع دابرهم إن شاء الله تعالى من هذا المخلاف، واستصحبوا عامل بيت الفقيه وأصحابه معهم في ذلك

---

(1) مُسْلِيَة: بضم فسكون فكسر اللام وفتح الياء، منطقة ذات قُرًى من إمارة جازان.

السمر، واصبحوا بين الناس بعد ذلك التطاول، حديث سمر، ولما سمع محمد بن يحيى هذا الخبر ارتحل من خَيس ولم يبق له عين ولا أثر، واكتسب سوء الأحدوثة بذلك البغي بين الورى ما تعاقب الشمس والقمر. وبعد ذلك تقدم الشريف إلى المخا في جملة من العساكر لقصد استخلاصه من يد الرُّتبة التي فيه من طريق ذلك الغادر، فلمّا وصل تلك الساحات، أدار عليهم كؤوس المنيات، ونصب لحربهم المدفع في جميع الأحيان، والتفت عليهم لما شاهدوه حلقتا البطان، وبعد أن شاهدوا الموت عياناً من ذلك الحصار، وطلبوا من الشريف الأمان، فبذله تكرماً والكريم يقيل العثار. وأمّا عاملهم فالتحا إلى سفينة وركب ريع البحر، وكان في ذلك خاتمة الأمر، ودخل الشريف في آخر شعبان البندر تبرق أسارير وجهه من السرور، وسكنت بحمد الله عن جميع مملكته الشرور، وعاد البلاد إلى حماتها آل حيدر الأشراف الأمجاد، وأشاد لهم هذا الصنع الفخر البالغ في الأغوار، والأنجاد، ونُليت أحاديث وقائعهم بحسن الثناء على كل حاضر وباد. ومن العجائب ما فيه العبرة للمؤمنين أن تاريخ هذا العام العاقبة للمتقين. انتهى وهذا آخر ما قصدت تلخيصه من مؤلف القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش في سيرة المترجم له المُسَمَّىٰ بـ «الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك». وههنا انتهى المؤلف المذكور وهو القَدْرُ الذي وجدته منه، ولعله حذف من آخره شيء لأن تمام سيرة الشريف إلى أن توفاه الله لم تكن موجودة فيه، وما يُظَن بالمؤلف أن يذكر أول سيرته ويترك آخرها الذي تتمّ به الفائدة وتعود العائدة، وقد بلغني عن ساداتنا الأشراف كسيّدي الشريف حمود بن علي بن محمد وسيدي الشريف علي بن حيدر بن الحسين أنهم قد رأوا المؤلف المذكور بأبسط من هذا وفي آخره بيان انتهاء سيرة الشريف فلعله وقع حذف والله أعلم[١]. وقد رأيت أن أذكر ما بلغني من الثقات المختبرين بما آل إليه أمر الشريف آخر المدة فأقول: أنّه بَعْد أنْ أَسْتَنقذ المَخا أقام به عاماً كاملاً وفي خلاله كتب من هناك إلى الدولة العثمانية بإرجاع اليمن إليهم طوعاً إذ كان متولياً من قِبَلهم وذلك بسبب الكِبَر والعجز عن القيام بأعباء المملكة، فَتجهّز توفيق باشا وبرفقة الشريف محمد بن عون صاحب مكة المكرمة بجيش كثيف فوصلوا إلى اللُحيّةُ ثم إلى الحُديدة[٢] وكان الشريف الحسن بن محمد والياً بالحُديدة من طرف عمه الشريف الحسين بن علي فما راعه إلاّ وصول توفيق باشا والشريف معاوية بن عون، ولم يكن قد علم بأن عمه الحسين بن علي قد رد اليمن إلى الدولة فأراد مدافعتهم فهمّوا

---

(١) الكتاب المذكور نشره عبد الله بن علي بن حميد، وسُمّي مؤلفه: حسن بن أحمد اليمني.

(٢) كان ذلك في جمادي الأولى عام (١٢٦٥هـ) أبريل (١٨٤٩م) على رأس جيش عثماني من ثلاثة آلاف رجل.

ـ فصر عليه مصادف وصول الشريف الحسين وكان قد تحرك من المَخَا إلى الحُديدة
فمنفقده من يذبهم وقد كان الحسن قبل وصولهم كثيراً ما ينشد هذا البيت:

ترى فـــي الجـــو هيمنـــةً قد ـــيت شعـري مـا يجـري بـه القَـدَر

ولعله استشعر ذلك من قِبَل الحساب أو نحوه والله أعلم، فاستولت الأجناد التركيّة حينئذ على اليمن واتصل بهم محمد ين يحيى الإمام وطلع برفقهم إلى صنعاء وفيها الإمام علي بن المهدي والياً فوقع القتال بينه وبين توفيق باشا ومحمد بن عون وكانت الغلبة لهم، فدخلوا صنعاء واستولوا عليها وخرج منها الإمام علي بن المهدي، ثم أنَ الأئمة قاموا على التُرك وحاصروهم بها واشتد عليهم الحصار وخرج أكثر أهلها منها وكانت الغلبة للأئمة فنزل الأجناد التركية إلى تهامة بعد استيلاء الأئمة على صنعاء وأُخِذَ محمد بن يحيى وقُطِع رأسه لكونهم اتهموه أنه هو السبب في وصول الترك إليهم[١] واستمر علي بن المهدي على صنعاء حتى توفي[٢] وضعف أمر الأئمة فغلب على صنعاء شخص يُقال له القَشَّار ـ بفتح القاف والشين المشددة وآخره راء ـ وقام فيها بالأمرِ والنهي[٣]، وانحاز من كان بها من الأئمة إلى شهارة وما والاها[٤]. ومـا زال القَشَار متولياً بصنعاء إلـى أن جاء أحمد مختار في عامِ ثمانية وثمانين بعد المائتين والألف فاستولى عليها وأخرج القَشَار ثم صار عاملاً معه في صنعاء وذلك بعد نهب مدينة الزَبيدية على يد محمد بن عايض في عام سبعة وثمانين. ثم بعد رجوع الترك إلى الحُديدة توجه الشريف محمد بن عون إلى مكة وبقي توفيق باشا بالحُديدة إلى أن توفي بها ودُفن في مقبرة الشيخ صديق، ثم جاء بعد ذلك محمد بن سري بـاشا. وأمّا صاحب الترجمة الشريف الحسين فإنه توجه وبرفقه أبناء أخيه الشريف الحسن بن محمد والشريف علي بن محمد من الحُديدة إلى الزَيدية ثم إلى الزهراء ثم خرج من هناك إلى بلاد أَسْلم وما والاها[٥] وقد أخلفوا عليه فقاتلهم حتى دخلوا تحت طاعته فَرتَّبها، وفي

---

(١) تم إنفاذ قطع رأس المتوكل محمد بن يحيى في السجن فجر يوم (٢٤ محرم عام ١٢٦٦هـ/ ١١ ديسمبر ١٨٤٩م).

(٢) مات عام (١٨٨هـ/ ١٨٧١م).

(٣) **القَشَّار**: لَقَب اشتهر به الشيخ محسن مُعيض، وقد جاءه هذا اللقب نِسبةً إلى مهنة بيع القِشر، وثمة عائلة من أهل مدينة صنعاء تحمل هذا اللقب غير أنها لا تربطها أية صلة قرابة بالشيخ مُعيض.

(٤) **شهارة**: مدينة في بلاد الأهنوم شمالي مدينة حَجّة، وهي من أمنع الحصون الشاهقة في اليمن.

(٥) **بلاد أسلم**: جبل في شمال غرب حَجّة ومن أعمالها، سُمّي نسبةً إلى بطن من حاشد.

ذلك يقول السيد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمن صائم الدّهر[1] مُوَرِياً

لقـد جمـع الحسيـن أسـود تلـك ... فسـاروا للـوغـا وهـو المقـدم
فقـاتَـل مـن بغَـى وطغَـى عليـه ... وأول مـن بغـى فـي النـاس أسْلـم

وفي ذلك تورية لطيفة. ثم توجه إلى أبـي عريش ونزل في حصنه نحران وأقام به مدة ومن هناك توجه إلى اصطنبول[2] من بلد الروم، ولمّا وصل إلى السلطان عبد المجيد أكرمه غاية الإكرام وجعل له مقرراً ثلاثين ألف قرش في كل شهر ما عدا الكفاية من اللحم والبُر والسّمن وسائر المحتاجات، وخيّرهُ في الجلوس في أي محل أراده فاختار الإقامة بجوار بيت الله الحرام فتوجه إليه معززاً مُكرماً واتخذه دار إقامة، واستمر في يده معدن الملح الذي بجهة الوادي مور المُسَمّىٰ بالكشعة[3] وقد كان بيد والده الشريف علي بن حيدر من قبله وما زال في يده إلى أن توفي ثم في يد أولاده الآتي ذكرهم إن شاء الله إلى أن وقع التراضي بين أكبر أولاد الشريف محمد بن الحسين وبين أحمد باشا السليماني على أنه يُسَلِّم المملحة إلى الدولة ويبذلون عنها ستة آلاف قرش في كل شهر فتم الأمر على هذا. ثم أنّ الشريف محمد بن الحسين توجه بعد ذلك إلى اصطنبول فضموا له ولأخوانه من أولاد الشريف زيادة إلى ما ذُكر معاشاً للذَّكر منهم في كل شهر أربع مائة قرش وللأنثى نصفها، وما زالوا يقبضون البَدَل المذكور مع المعاش اللاحق ومَنْ مات منهم قطعوا حصته وإذا خاطب فيها ورثته قيل لهم أنها قَيْد حياته أي للمورث ما دام حياً إلى أن كان آخرهم موتاً الشريف زيد بن الحسين.

وقد رُزِق المُتَرْجَم له ـ سيّدنا الشريف الحسين بن علي ـ من العِلْم والعمل والزهد والعدل والكرم والعبادة وحسن السيرة ما لا يحيط به وصف، وجَمَع الله له بين الولاية والمُلك، وكان محباً للعلماء مُكرِماً لهم غاية الإكرام ومُنْزِلاً لهم منزلة القرب التي لا ترام منهم السيد الإمام العلاّمة الحُجّة سيدي وخالي محمَد بن عبد الله الزَوّاك فإنه كان بينهما المحبّة العظيمة والمودة الأكيدة وكان لا يفارقه في السفر والحضر والقربِ والبعد والسلم والحرب وانتفع به انتفاعاً عظيماً، ولمّا رجع الشريف من أَسْلَم إلى أبـي عريش وكان معه رخّص له في الرجوع والإقامة عند أهله بالزّيدية مدة معلومة ثم لّما رجع من اسطنبول ووصل إلى السويس كتب له من هناك

(١) أحمد بن عبد الرحمن صايم الدّهر: عالم أديب شاعر، سكن الحديدة وتوفي بها سنة (١٢٦٦هـ). وقد أشار إليه المؤلف ضمن التراجم الواردة بالجزء الأول.
(٢) إستانبول.
(٣) هو الذي يقال له «جبل الملح» وعِدَاده من مديرية اللُحيَّة.

أنه يلقاه في مكة المكرمة فأبطأ في الوصول إليه، ولمّا وصل الشريف إلى مكة وتوجه إلى الطائف استبطأه فكان يدعو بقوله: اللهم أجمع بيني وبين الزوّاك في أحب الأوقات إليك، فاستجاب الله دعاءه فتوجه السيّد من الزبيدية وكان وصوله إلى الشريف بالطائف في وقت السحر من شهر رمضان وأظنه ليلة جمعة، وكان الشريف مجاب الدعاء جامعاً شروطه التي من أعظمها أكل الحلال فإنه كان لا يأكل إلاّ الحلال مع ما في يده من المُلك والتوسع، فقد سمعت السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك ـ المُشار إليه ـ يقول إنَّ الشريف كان لا يأكل إلا من ثمرة أرضه التي في وادي مَوْز المُسَمَّاة بالكاملية، فكان يحملِ معه من الذرة البيضاء أينما كان والإدام لَبَن بقرةٍ له وسَمْنها تُساق معه، ولباسه من غلّة الأرض المذكورة. ومن علامة عدلة ما سمعته من سيدي وشيخي السيّد العلاّمة الحُجّة عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي أن الشريف في أيام دولته وإقامته بمدينة الزبدية كان يخرج بعد صلاة العصر للتنزه راكباً على فَرَس، وكان شيخنا المذكور يخرج وهو في سن الصبا ومعه صبيان للنظر والتفرج علي الشريف فتغم حينئذٍ السماء ويجيش السحاب من كل جانب وما يشعرون إلا وقد رجع الشريف مسرعاً إلى محله من المطر. وقد ظهرت في أيام ولايته آية باهرة لم يُعهد مثلها وذلك ما نَقَلْتُه من خط السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك ناقلاً له عن خط السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمٰن صائم الدهر فإنه قال ما لفظه بعد كلام: ووجدت بخطه رحمه الله تعالى: الحمد لله وبعد فإنه لمّا كان يوم الثلوث ثامن شهر شوال سنة ١٢٥٠ ورد ثلاثة أنفار أسفل وادي بِيِّض على ركية فوجدوا فيها معيانين تنبع لبناً خالصاً سائغاً، وهذه آية عظيمة ونعمة جسيمة نسأل الله أن يُوزِعنا شُكر نعمته. والثلاثة رجال ثقات وقد يحصل مثل ذلك وما هو إلاّ رزق رزقهُ الله حبيباً، قال رحمه الله: فلمّا أطلعني سيدي الشريف الهمام الماجد حسن بن أبي طالب بن حيدر على هذا الرّقم قلت:

أكرم بمولانا الحسين خليفة ... ما مثله قد كان في هذا الزمن
ساد الأوائل والأواخر سيرة ... قد زانها بالعدل والخُلق الحسن
أضحى الورَى في جنةٍ من عدله ... أجرى بها ذو العرش عيناً من لبن

انتهى. وقد كان له الحظ الوافر من العبادة مع ما هو مشغول به من تدبير أمر المملكة فقد أخبرني سيّدي وخالي محمد بن عبد الله الزوّاك ـ سابق الذِكر ـ أن الشريف كان لا يترك قيام الليل دائماً ولا ليالي رُمِيَ في ركبته في القُطَيْع أيام الحرب بينه وبين علي حميده فإنه كان معه وقت الحرب ووقعت الرصاصة في ركبته وهو حاضر فذكر أنه في تلك الحال كان يأتي بِوِرْدِهِ من التَهجُّد كاملاً، وكان يقوم بذلك إلى أن يطلع الفجر فيخرج إلى المسجد للصلاة ولا يترك أحداً من أولاده ومن كان في

دائرته نايماً بعد طلوع الفجر، وكان مشتغلاً بمطالعة كتب العلم وتحصيلها ومذاكرة أهله ممن لقيه من أهل العلم، وجَمع عدةً نافعةً من الكتب وله محاسن عظيمة منها أنه بنى حصناً عظيماً بأبـي عريش سمّاه نجْران مشتملاً على أربعين بيتاً بالعمارة العجيبة والهندسة الغريبة وجعل فيه ثلاث نوب حربيات وملأها بالمدافع العربية القديمة التي أرسلها له سعيد بن سلطان أمير مسكت[1] وكان في هذا الحصن محاسن وكُتب من كُتب العلم تزيد على ثلاثمائة مجلد. ومن ذلك البيت الذي اشتراه في مكة بأربعة آلاف ريال يُسمَّى الكُمك - بكافين أولاهما مضمومة وبينهما ميم - الكائن بجانب الرباط اليماني من الحرم ثم بعد وفاته باعه أحد أولاده، ومما عمّره بيت في مدينة بيت الفقيه ابن عُجَيْل واليوم هو في يد بني البهكلي. ومن محاسنه أنه كان له سيف يُسمَّى ذا الفقار في رأسه فقرتان رهنه ولد ولده الشريف أحمد بن محمد بن الحسين بألف ريال عند سلطان لحج أحمد فضل وهو باق بيد سلطان لحج إلى الآن بطريق الرهنية لضعف حال الأشراف وقلة ذات اليد. وكان للشريف قطعة أرض في أعلا الواعظات نحو سبعين معاداً فيها عين يَنْبع منها ماء حار تُسمَّىٰ عين. . .[2]، وقد مررت بها أيام وفادتي إلى بني نشر[3] عند المُحبِّين بني أبو فحم[4] ووضعت أصبعي محل نبع الماء منها فإذا هو حار وأولاد الشريف يقولون أنها باقية على ملكهم إلى الآن، ولكنها اليوم بأيدي بعض قبيلة الواعظات. وكان له بجهة أبـي عريش أرض بنَى بها حصناً سُمِّي الحِمَىٰ لحفظ المزَارع، وأرض واسعة بجهة الكاملِيّة وبِخاش[5] وغيرها من الوادي مَوْر، وأوقفَ من أرض الكاملِيّة علىٰ ذريته مائتي مَعَاد وعلى فقراء الأشراف من آل محمد بن خيرات قطعة تزيد على سبعين معاداً تُصرف غلالها إليهم بجهة الراجحية[6] وبنىٰ في نصف أرض الكاملية قلعة حصينة موجودة عامرة إلى وقت رَقْم هذا لأجل حماية المَزَارع وحفظها. ومن محاسنه الجامع الذي تم بنائه وكان قد ابتدأه عمّه الشريف حمود بن محمد بمدينة أبـي عريش في باطن سُوْر الديرة وله غير ذلك من المحاسن. وقد أمتدح بقصائد كثيرة طنانة منها ما سبق ذكره ومنها

---

(١) مَسْقط.

(٢) فراغ بالأصل.

(٣) بني نشر: قرية في شمال غرب كُعَيْدنة بمسافة (٢٠) كيلاً من أعمال محافظة حجة.

(٤) بني أبو فحم: عشيرة من بادية بلاد عبس بني ثوابِ، اشتهر منهم عدد من رجال الفقه والأدب أمثال القاضي أحمد بن محمد الفحم العبسي الذي تصدر في بلاده عَبْس لنشر المعارف وإقامة شعائر الإسلام حتى وفاته سنة (١٢٦٨هـ).

(٥) بِخَاش: جمع بَخْشَة، القطعة من الأرض. وهو اسم منطقة في ساحل تهامة.

(٦) الراجحية: منطقة من وادي مَوْر وأعمال مديرية الزهرة.

القصيدة التي امتدحه بها السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر بعد قضية القُطَيع وخروجه منها

بضرب الطلا لا بالطلاسم والسحر ... ينال الفتى العلياء ويسمو مدى العمر
وبالصبر عند الخطب يظفر ذو الحجى ... بأعدائه أكرِم بعاقبة الصبر
والحزم والرأي السديد ينال ما ... يقصر عنه موقع السهم والبتر
وما نال مولانا الحسين من العلا ... فذاك بتقوى الله في السّر والجهر
على أنه الليث الغضنفر في الوغى ... فكم من كميّ منه ولّى من الذعرِ
ويكفيك يوم السبت إذ ظلّ وحده ... يبدد جمع البغي والخَدْع والمَكرِ
ومن كان للعلياء بالبغي طالباً ... ونكْث عهودٍ باء بالخزي والخسر
يظنون أن السهل سهلٌ ودونه ... من البأس صعب المرتقى قاصم الظهر
ومن عجبٍ أن الثعالب تشتهي ... تصول على الليث الصؤول لدى الوكر
ولما لجا نحو القطَيْع وجاشه ... كهيبته عند الكريهة في القفر
وصار له في الحصن أعظم هيبة ... لديهم بسيف الرَوْع أكيادهم يفرى
كذا الليث يُخشى وهو في الغاب بطشه ... وهيبته تَبْقَى وإن كان في أسْرِ
كذا السيف يُخشى حَدّهُ وهو مغمد ... ولم يزل الإنسان من ذاك في حذر
فقل لابن يحيى أين أنت لدَى الوغى ... فلو أنه لا قاك يا ضيعة العمر
ونقضك للعهد الذي كان بينكم ... ستعرِف عُقْبَى النكث في موقف الحشرِ
أنالكَ إحساناً جسيماً ورفعة ... فلو كنت ذا حجرٍ لقابلت بالشكر
وقلت مرادي ملك آبائي الأولى ... وما المُلك إلا بالعناية لا الغَدرِ
فردّكَ ربي خائباً وأناله ... حميد المساعي ابن الجحاجحة الغرِ
شريفٌ تقيٌ دائم الذكر لم يكن ... له مسمعٌ يُصغي إلى اللّهو والزَمْرِ
ولا يجمع الدنيا فأكْرِم بماجدٍ ... يَرَى أن تقوى الله من أعظم الذخر
ومجلسه لا تسمع الأذن غير ما ... يسرّك من درس العلوم أو الذّكر
وإلا المعالي في الأمور وكلما ... يُقَرِّب عند الله في العسر واليُسْرِ
به تفخر العلياء وتبتهج الدنا ... وتشمخ أنف المُلك من نخوة الفخر
به التفّ شمل المُلك واجتمع الندا ... وأصبح عقد المُلك منتظم الأمرِ
وسُرّ به قلب المكارم والعلا ... وأصبحت الأيام باسمة الثغر
وفي اليمن الميون هبت نسائم التهاني فأضحَى وهو منشرح الصدر
وأشرقت الست الجهات ولم وقد ... تبدّى بها بدر الهُدَى عالي القدر
وقرّت عيون المُلك بعد سُهادها ... عليه ووجه المُلك أسْفَر بالبِشر
وكل فؤادٍ صادف الحب كاد أن ... يطير سروراً بالذي نلت من نَصر

مليك الـورى هنيـت بـالظفـر الـذي | به فـاز وزع الخلق في البر والبحر
خـروجـك اعــلا نعمــة ومســرة | فما العيد إن قسته أو ليلة القدر
ودُمْ سـالمـاً فـي خيـر عيـش ممتعـاً | بسعد وإقبال ونشر مدى العمر
وصـل علَى الهـادي الـذي بـدد العـدا | بضرب المواضي في حنين وفي بدر
كـذا آلـه أسـد الشـرا وصحـابـه | وسلم سلاماً كاملاً طيب النشر

وقد امتدحه بقصائد أخرى وكذلك غيره، وجمعت القصائد التي أمتدح بها فبلغت مجلداً لطيفاً. وما زال يتردد ما بين مكة والطائف طائفاً بالبيت مقبلا على مولاه مجتهداً فـي أنواع الطاعات مـن مطالعة العلم والتلاوة والتهجد والأذكار، يقوم بـورده مـن الثُلث الأخيـر إلى ارتفاع النهار حتى أختار الله لـه دار البقاء على دار الفناء فتوفي بمكة المكرمة في عـام ثلاثة وسبعين بعد المائتين والألف ودُفن بهـا، فعمره ثمانية وخمسون سنة، ومدة ولايته استقلالاً ونيابةً ثمانية عشر سنة وكلها مواسم وأعياد رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين. وله من الأولاد أحد عشر: محمد والحسن وأحمد وعلي وحيدر ويحيى وأبو طالب وزيد وناصر وراجح وحمود.

هم الأولِى غير زجر الخيل ما عرفوا | إذ يعرف العرب زجر الشاء والعكر
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم | بعـد الممـات جمال الكُتب والسِيَرِ

ولم أقف على كمال سيرة أحد منهم غير أن شهرتهم بالشجاعة والكرم والشهامة والمجد والعلم والحلم وعلو الهمة في طلب معالي الأمور الدنيوية والأخروية أشهر من نار على منار، وما رأيت أحداً منهم إلاّ ثلاثة فقط: أحمد وحيدر وزيداً، ولم يُعقِّب منهم إلاّ خمسة: محمد وأحمد وعلي وحيدر وزيد. وسأذكر ما تيسر من بعض سيرة هؤلاء فأقول:

الشريف محمد بن الحسين وأولاده:

أمّا محمد بن الحسين فهو أكبرهم سناً وكان عالماً فاضلاً أديباً شجاعاً مقداماً وقف مع والده مواقف الحروب فظهرت بذلك شجاعته الحيدريّة في تلك المواطن والخطوب، ولم يزل ملازماً لوالده أينما توجه وتارةً يَستقِل بالتولية من طرف والده على بعض البلدان حتى توفي والده، فكان في أبـي عريش ثم انتقل إلى بندر الحُديدة واتخذه دار إقامة على غاية من حُسن الأخلاق والتواضع والإستقامة، وتأهل في البندر وحصل له أولاد، وما زال به ملازماً لأهل الفضل للإفادة والاستفادة. وله شعر لطيف غالبه يتضمن الدعابة والهزل، فمن ذلك ما أجاب به على أخيه الشريف الهمام

صفي الإسلام أحمد بن الحسين بعد أن كتب إليه هذه الأبيات الهزلية:

يا ظبية البان ترعى حول بخاش[1] ... ليهنك الزوم[2] إن الحوت مرعاك
أمست بأم الخشب[3] ترعى مسانحها ... وقد تجيء على الزناح عصراك
يا سبل سبل بها حتى توصلها ... شعب الكديد[4] بقلب مشفق باك
ولا تشب قرناها[5] بذي سلم ... وسط الهياج[6] ولا يشكو لها شاك
واحذر محمد حامد وابن كرشنة ... الصارم البذل راعي العين خفعاك[7]

فأجاب عليه صاحب الترجمة بقوله:

ما الأثل صرعه قدوم[8] خراش[9] ... ولا الخمائم[10] في أعرام[11] بخاش
أبهى وأنظر من نظم يطرزه ... أكف فكر أخو العلياء بأفحاشي[12]
شكراً له فلقد أهدى القريض لنا ... كأن أبياته تخييط غشاش[13]
أو العشاش[14] بسفحية قد اندملت ... منها الحبال فساقت كل حفاش[15]
أو التحايف[16] أبلتها الليالي أو ... سود الكنادر[17] أو تطريز أكواش[18]
أو جلد سائمة في الجو هائمة ... خفاقة القلب من جود أعياش[19]

---

(١) بخاش: منطقة ساحلية.
(٢) الزوم: ما يصنع من الراتب بإضافة بعض المواد الغذائية، ويعرف في صنعاء باسم: المطيط.
(٣) أم الخشب: من قرى جازان.
(٤) الكديد: من قرى رجال المع في بلاد عسير ـ المعجم الجغرافي.
(٥) ولا شب قرناها: أي لا تتركها حتى تشيخ وتهرم.
(٦) الهياج: جمع هيجة.
(٧) خفعاك: تعبير عامي عن العور.
(٨) القدوم: آلة قلب الأرض للحرث أو تنقية التربة من الحشائش.
(٩) خراش: ما يخرش الأرض أو يهيئوها للزراعة.
(١٠) الخمائم: الأشجار.
(١١) الأعرام: مجرى السيل.
(١٢) بأفحاشي: بكثرة.
(١٣) تخييط غشاش: صناعة غشاش.
(١٤) العشاش: العشش، بيوت القش.
(١٥) حفاش: راغب في الهدم.
(١٦) التحايف: التحف.
(١٧) الكنادر: الجزمات.
(١٨) الأكواش: الأحزمة يلبسها الجنود.
(١٩) أعياش: من المعيشة.

نرعى الكُديد وما المرعى سوى قَضْبٍ
قد ضرَّ منها بأكباد وأحواش
بإذا المحامد كم تهدي القريض لنا
كأنه الظرف مملوءاً بأجواش[1]
إن كان ذا النظم من حَظ الكئيب فلي
شكيّة نحو مرسين بُلُق باش[2]
عنـاه يَرْدعكم عن قولكم فلقد
دَهشت لمّا أتت وارتاع لي جاشي[3]
فإن أبيتم أتيناكم بقافية
تمسي ونصبح من إنشادها ناشي[4]
تُذكِرُكَ ماضي زمان كلما ذكرت
أوقاته الغرا أبكتني بأجهاش
عصر مضيَ بربى نَجْران في دَعَةٍ
والشمل مجتمع في غيبة الواشي
يفدي الزمان الذي قد مر في طرب
ما شابه حزن من كيد غشاش
هذا الزمان الذي طالت مشقته
كأنه مولع منا باء حراش
مولاي هذا جواب في نظامكم
فلا تشمه بعين الأرمد العاشي
واسلم ودُم في نعيم ما شدا جَمَل[5]
على الغصون ضُحَى أو غرد الحاشي[6]

وله غير ذلك، وكانت وفاته بالحُديدة في عام[7] ودُفن بها رحمه الله تعالى آمين، وخلّف خمسة أولاد: علياً وأحمد وحسيناً وحسناً وحيدر، فأمّا علي فكان فاضلاً صالحاً أديباً حسن المحاضرة حافظاً لشواهد الحال، وكان يتولى في بعض الأوقات مع الدولة العثمانية ثم ترك ذلك زُهداً وورعاً ولازم الإقامة بأبي عريش سالكاً طريقة عشيرته، سليم الصدر مع حسن الاستقامة وطيب الأخلاق والتواضع، وكانت وفاته بأبي عريش رحمه الله. وله ثلاثة أولاد: محمد وأحمد وحمود، فمحمد رجل صالح كثير الصمت حَسَن الاستقامة حَسَن الأخلاق متواضع مقبل على شأنه ولم يتولّ ولايةً قط وهو الآن مقيم بأبي عريش على خير من ربه وله من الولد أربعة: حسين وكانت ولادته في عام ثمانية بعد ثلاثمائة وألف، وعلي وكانت ولادته في عام تسعة بعد ثلاثمائة وألف، وأحمد وكانت ولادته في عام ثلاثة عشر بعد ثلاثمائة وألف، ومنصور وكانت ولادته في عام خمسة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف. وأمّا أحمد بن محمد بن الحسين فَنعم الرجل الصالح العابد الناسك. كان رحمه الله عالي الهمة كبير الشأن ذا ذكاء وفطنة كثير الرحلة إلى البلدان الشاسعة، رحل إلى

---

(١) الظرف مملوءاً بأجواش: الأكياس المملوءة بفضلات الحنطة.
(٢) مرسين بُلُق باشي: ربما اسم المأمور التركي الذي يرفع الشكوى إليه.
(٣) جاشي: جأشي.
(٤) ناشي: مُنْتَشي.
(٥) ما شدا جَمَل: سُخرية وتهكم.
(٦) الحاشي: من يحشو الأكل، سخرية أيضاً.
(٧) بياض بالأصل.

بهوبال من أرض الهند ووصل إلى السيد العلامة المحقق النواب صديق بن حسن القنوجي البخاري صاحب التآليف الكثيرة والفوائد العزيزة ومكث لديه ستة أشهر وقرأ على يديه وعلى من لقيه من علماء الهند حتى صار مشاركاً في عدة فنون ثم رحل إلى مكة وأخذ عمن لقيه من علمائها، وكان حسن الخط حصّل بخطه الكريم كتباً كثيرة وقيد بهمته العالية ما عثر عليه من الفوائد وقد نسخت له كتباً كثيرة، وكان لا يلقى أحداً من العلماء إلا أجله وأقبل عليه وأخذ عنه، وكان يتولى بعض الولايات مع ما عنده لصلاح معيشته مع الورع والعفة، وكان على غاية من حُسن الاستقامة ذا دين رصين وقدم في الإقبال على طاعة مولاه ثابت مكين، وتوجّه إلى الاستانة ومعه ولده محمد بن أحمد - الآتي ذكره - وأقام هناك نحو خمس سنين يحاول إرجاع البدل التي سبقت الإشارة إليه بأنه جُعِل لأسلافهم بدلا عن المملحة مع الضم الذي ضم إلى البدل لوالده وأعمامه فوصل إلى السلطان عبد الحميد متأسياً رجوع ذلك فلم يقف على طائل وأبى الله أن يكون قوتهم ومعيشتهم إلا من أرضهم التي بجهة الوادي موز وجهة أبي عريش ونزّههم الله عن غيرهم، فرجع من هناك إلى صنعاء فولاه الوالي أحمد فيضي في مدينة صَبْيا فمكث بها مدة متولياً ثم خرج منها إلى أبي عريش لحاجة فمرض أسبوعاً ومات به وذلك في اليوم السابع عشر من شهر صفر أحد شهور سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف رحمه الله ونفعنا به آمين، وخلف ولداً واحداً هو محمد رجل صالح فاضل حسن الاستقامة طيب الأخلاق وحسن المحاضرة ذكي فطن وكان يتولى في الزهراء وقرسان وغيرهما مع الدولة العثمانية لطلب المعيشة ثم ترك ذلك زهداً وأقام بأبي عريش مقبلاً على شأنه مشتغلاً بزراعته في أرضهم المُسمّى بالحمى وهي أرض شرقي أبي عريش إلى القبلة ثم لمّا قام بالدعوة السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي في صَبْيا ولاه على بعض تلك الجهات، وهو الآن باقٍ على ذلك على خير من ربه عافاه الله آمين وله من الولد ثلاثة: أكبرهم علي وُلِدَ يوم السادس عشر من شهر صفر عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، وحسين ولد في جمادي الأخرى عام ستة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، وحيدر ولد في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر عام ثمانية وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، عافاهم الله. وأمّا حيدر وحسين إبنا محمد بن الحسين فكانا رجلين صالحين والأول كان مقيماً بأبي عريش ومات به وخلّف ولداً اسمه محمد، والثاني كان مقيماً بالحُديدة ومات بها ولم يخلف أحداً.

الشريف أحمد بن الحسين:

وَصْل: وأمّا أحمد بن الحسين فكان رحمه الله ذا شجاعة وشهامة وكرم، عالي الهمة، لطيفاً شاعراً أديباً، وكان كثير الرحلة إلى البلدان الشاسعة وكان يمكث كثيراً

في مكة المكرمة لدى الأشراف وبينه وبينهم المودة الكاملة لشجاعته وشهامته وذكائه وتحليه بالآداب النافعة، فمن لطافته وكثرة استحضاره أنه وصل مرّة إلى صنعاء في مادة وكأنه وقع عليه بها ضَيم ثم توجه منها إلى الزهراء فنزل في الطريق بقرية تسمى الرباط شرقي مدينة الزَبيدية بنحو ساعة فصادف وصوله وجود السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي هناك فسأله عن حاله مع أهل صنعاء فأجاب عليه بقوله: رحنا إليهم لِنَصير من المحسوبين فصرنا من المحبوسين!! ورأى عليه لباساً من أدَم يُسمَّى الجَرْم يلبسه أهل صنعاء في أيام الشتاء[1] لَيّن الملمس فتعجب من لينه وسأله عنه فقال له: هذا جَرْم جينا وأهل صنعاء مجرمون فأجرمنا، ففي الجوابين من اللطافة ما لا يَخفَى، فالأول فيه نوع من الجناس يُسمَّى المقلوب والثاني فيه التورية.

وكان - رحمه الله - بينه وبين السيد العلامة محمد بن عبد الله الزوّال مكاتبات أدبية هزلية مع اللطافة فمما كتبه إليه المترجم له قصيدة هزلية يشكو تحامل الزمان ومتاعبه ولم أظفر بها وقت رَقْم هذا فأجاب عليه بقوله:

وَافَـت فـأنَسَـت مـا غَبَـر — مـن حـادثـاتٍ أوْ كَـدَر
وأتَـت علـى طـول الصـدو — د فنلـت منهـا للـوطـر
وعفـوت عمّـا قـد جَنَـت — والـذنـب منهـا مُغْتَفـر
مـا البـدر يحكـي حسنهـا — كـلا ولا الظبـي الأغـر
عَـوّذتهـا لمّـا أتتنـي — بـالمثـانـي والـزُمَـر
أوجسـت منهـا خِيفَـةً — والقلـب داخَلَـهُ الحـذر
إذ أصلهـا مـن مـارج — فلـذلـك تـرمـي بـالشـرر
وقـرأت يـاسينـاً لخيفتهـا — وفـي الأيـدي حَجَـر[2]
يـا هـذه مـن أيـن جئـتِ — إلـيّ فـي وقـت السَحَـر
قـالـت أنـا مـن بـابـل — فـذكـرت مـن فيهـا سحـر
أهـدانـي المَـوْلَـى الـذيّ — تـاهـت بـه عليـا مضـر
هـو أحمـد بـن الحسيـن — سليـل سـادات البشـر
هـو نـاظـم الـدُرّ البهـيّ — ونـاثـر الكلـم الغـرر
راجعـت فكـري عنـدمـا — لِـي اسنـدت هـذا الخبـر
وأجبـت ليـس بممكـن — مـن أحمـدٍ سحـر البشـر

---

(1) الجَرْم: بفتح فسكون معطف من الجلد يُلْبَس للحماية من البرد، ولعل تسميته جاءت من مفهوم الحر، قال في القاموس: الجرم: الأرض الشديدة الحرارة.

(2) يقولون في الأمثال: إقرأ ياسين وفي يدك حَجَر.

قالت هو السحر الحلا ... ل وليس فيه من ضرر

واسمه لما قد جاء في ... سحر البيان من الأثر

فشكرت حسن بديعها ... وبيان منطقها الأغر

ب ابن الخلائف من سلا ... لة حيدر الطُهر الأبر

وافت قصيدتك التي ... تسلو الحوادث والغِير

موزونة تنساجها ... أذكى وأفصح من زبر

سحبت له سَحِب الفصَاحة فوق سَحبان وجَد

أكرم به من ناظم ... نظم اللئالي والزهر

وافت إليّ بسُرددٍ ... والقلب في هم الفكر

زاحت بغرة وجهها ... ليل الهموم المعتكر

نطقت أحذو حذوها ... وألفِقَ الكَلِم الدُرَر

فذهبت في وادي الكلا ... م وخضت فيه على غرر

وزرت في مدح الصفيّ ... إلى أن انكسر المجر

أرض البلاغة أجهدت ... وقَست وزاحمها الكدر

يا سيدي صَدَر الجواب وأنت أولَى من عذر

لا تأس من دهرٍ أسا ... والصبر عُقباه الظفر

من عادة الدهر العنا ... ومع الميامين الغرر

لمَا حُبِيتَ حَبَست تلك علامة فيمن غبر

وذكرتَ لو تدري بذا ... لطحست عن أمرٍ صدر

هيهات والعبد الضعيف ... بوسط دائرة القدر

لا يستطيع لحيلة ... جلباً ودفعاً لا مفر

وَصَلِّ الصلاة على الشفيع المصطفى خير الخير

والآل سادات الأنا ... م وصَحْبَهُ أهل الأثر

ما دفَع المدفاع في ... وقت الغروب وفي السحر

انتهى. وبينهما من هذا الجنس مطارحات كثيرة أدبية رحمهم الله. وما زال صاحب الترجمة يتنقل في البلدان عاملاً مع اكتسابه للفضائل من العلماء الأفاضل إلى أن توجه في آخر عمره إلى الأستانة ثم رجع منها فأقام بالحديدة مدة ثم أدركته الوفاة فتوفي بها في عام.....[1] رحمه الله ونفعنا به، وخلّف ولداً واحداً اسمه زيد، صالح قارىء للقرآن حسن الأخلاق متواضع، تابع أخلاق عشيرته وابتلى بالفقر

---

(١) بياض بالأصل.

وكثرة العائلة مع الصبر الجميل وارتفاع الهمة عن الخلق، عافاه الله ولطف بنا وبه آمين، وله من الولد ثلاثة: محمد وأحمد ومنصور موجودون كأبيهم عافاهم الله.

الشريف علي بن الحسين:

وَصْل: وأمّا علي بن الحسين بن علي فكان عالماً عارفاً شديد الذكاء قوي الفطنة ذا شجاعة وشهامة وعلو همة كثير الاستحضار حسن المحاضرة لطيف الشمائل له من كل فن من العلم مسكة لا سيما في علم الحرف والحساب والفلك فإنه كان فيه إليه الغاية، وكان كثير الأسفار مجالساً للملوك مُحَبَّباً إليهم لذكائه وارتفاع همته كسلاطين لحج وأحمد باشا السليماني وكان بينه وبينه مودة أكيدة، وكان أحمد باشا محققاً في علم الحساب فقال لصاحب الترجمة: أحسب كم ستكون إقامتي باليمن؟ فقال له: إمّا ثلاثة أيام أو ثلاثة أشهر أو ثلاثة أعوام، فقال له لا بد من تحقيق ذلك فأعاد الحساب فظهر له أنه ثلاثة أعوام فكان كذلك ووافق حساب أحمد باشا على ذلك. وكانت وفاته في الحج عام إحدى وتسعين مائتين وألف، وخلّف ولداً واحداً اسمه عبد الله، على خير من ربه قارىء للقرآن حَسَن الأخلاق والاستقامة مواظب على أداء وظائف الدين مُقْبِل على شأنه عافاه الله، وله ولد اسمه محمد يقرأ القرآن موجود كأبيه.

الشريف حيدر بن الحسين وأولاده:

وَصْل: وأمّا حيدر بن الحسين بن علي فولادته كانت في شهر رجب عام ١٢٥٣ ثلاثة وخمسين ومائتين وألف، وكان من العلماء العاملين عابداً تقياً شجاعاً جواداً مُطْعِماً للطعام مُكْرِماً للوافدين والقاصدين كثير الإنفاق على الأرامل والأيتام والمساكين ذا دِين رِصين وأناة، حَسَن الأخلاق متبصراً في دنياه كثير الصمت قليل المخالطة للناس إلا لحاجة، لم يتول ولاية قط، دائم الذِكر مُقْبِلاً على مولاه مُعْرِضاً عمّا سواه، وكان كثير المطالعة في كتب العلوم النافعة لا سيما في اليواقيت والجواهر للإمام الشعراني، واقتنى عدة نافعة من الكتب كالتفاسير وصحيح البخاري والقاموس وغير ذلك، وقد انتفع كثيراً بسيدي العلاّمة شيخ الإسلام السيد محمد بن عبد الله الزوّاك في أمر دينه ودنياه فإنه كان يتردد إليه كثيراً بالزهراء وأخذ على يديه أنواعاً من العلوم، وكان بينهما من المحبة الشديدة والمودة الأكيدة شيء عظيم، وله على الحقير المِنَّة الكبرى لأن المودة التي كانت بينه وبين سيدي الخال المذكور سَرَت إليّ واستمرت بيني وبينه فكنت كثير الاقامة لديه وكان كثير الإحسان إليّ جزاه الله خيراً وأحسن إليه، وكنت أُملي في منزله كل عام «صحيح البخاري». ولم يَزَل على الحال المَرْضِي حتى توفاه الله في غرة شهر صفر عام ١٣١٧ سبعة عشر بعد ثلاثمائة وألف

في مدينة الزهراء ودُفن بها في مقبرة قِبلي المدينة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين. وقد رثاه يوم موته شيخنا السيد العلامة الإمام عبد الرحمن بن عبد الله القُديمي بقوله:

أعياني أنكبا وَكْف[1] الخريف	على فَقْد الشريف ابن الشريف
إمام زاهد بَرٌّ كريم	علي العِرفان والذكرى عكوف
نظافة محتد وصفاء خِيم	مُصَفًّى من لدى البَرّ الرؤوف
رصين العقل يستأني[2] إذا ما	يجيء الدهر يزحف بالصروف
أتاه من إله الناس داعٍ	لنغم الرزق والظل الوريف
جنان زُيِّنت من كل لونٍ	لأَهل الدين والفضل المنيف
فيالهفي على ذاك المُفدَّى	رزين العقل يُرجح بالألوف
فتبكيه المحافل حين تجلى	من التزيين بالخُلق اللطيف
تلقّته الملائك حين زفت	لروح مبارك بالعلم صوفي
بني الحَسَب الرفيع بحق فيكم	مقالُ الواصفين وليس يوف
فأرباب الجياد بنو عليّ	وأرباب الذَوَابِل[3] والسيوف
وأرباب المكارم والعطايا	يكفون الألوف من الضّيوف
مدحتم بالمكارم في كتاب	وسنة سيدي البَرُّ العطوف
تُرَفِّيكم على هام الثريا	يفوق بلا فتور ولا وقوف
فيارب المكارم والعطايا	بوابل رحمة جُود وكوف
وأنزله منازل داخلوها	على تحف والباس السفوف
فيا باني على الشخص المصفى	تجنبه بملامسة الكثيف
يحق من يكون بوسط در	مزينة بأنواع الطروف
إلهي اعمر بذاك البيت عِزا	مِن المولى التليد مع الطريف
ونجليه الصَفي وجمال مجد	فكن لهما المُعيذ من الصروف
وزدْ نجليه يا ربي ثباتاً	يكون ممنّعاً من غير حيف
وصل مُسْلِماً في كل وقتٍ	على من جاء بالذِكر الشريف
وآلِ والصحاب وتابعيهم	ومن والا علَى الدين الحنيف

انتهت المرثية نفعنا الله بهم آمين، وكان له من الولد أربعة: محمد وحمود وأحمد وعلي، فأما محمد وحمود فكانا صالحين على خيرٍ من ربهما وماتا في

---

(١) وَكْف: الدمع.
(٢) يستأني: يتأنى.
(٣) الذوَابِل: الرِمَاح.

عنفوان الشباب في حيوة أبيهما، وأمّا أحمد فعاش بعد أبيه بنحو سنة ونصف وكان صالحاً تقياً سليم الصدر كثير الصمت قليل الكلام جداً لا يتكلم إلاّ جواباً غالباً بحيث لو عَدّ العاد كلامه في اليوم والليلة لأحصاه، وقد وقعت له كرامة وذلك أنه وصل إليه شخص من بلد الحُجرية[1] غريب لا يعرفه قبل ذلك فقال له: أنت أحمد بن حيدر، فقال: نعم، فقال له: أنا مرسول إليك من عند النبي ﷺ لتميح لي بين الماء لأغسل به جسدي، وكان به مرض الجذام والعياذ بالله، فاعتذر بأنه أحقر من ذلك فأمره والده بذلك - وكان حاضراً - فامتثل ومَجّ له بين ماء فَغَسل به جسده وغاب فما كان بعد مدة إلاّ وقد رجع وما في جسده شيء من ذلك المرض قد مَنّ الله عليه بالعافية ببركته. وتوفي - رحمه الله - في شهر ذي الحجة عام تسعة عشر بعد ثلاثمائة والألف وخلّف ولداً اسمه محمد أنبته الله نباتاً حسناً.

ترجمة الشريف علي بن حيدر:

وأمّا علي بن حيدر فمَشَى على قدم والده من الصلاح والكرم وإطعام الطعام وإكرام الوافدين والقاصدين والإنفاق على الأرامل والمساكين وكثرة الصمت وقلة المخالطة للناس إلا لحاجة وتجنب الولايات والإقبال على شأنه والمطالعة فيما ينفعه من كتب العلم وحُسن الأخلاق والاستقامة وحسن المحاضرة والأدب وجودة الرأي والتدبير وكثرة التأني في الإقدام على الأمور إلاّ عند ظهور المصلحة وسلامة العاقبة مع ما كان عليه من كمال الأدب لوالده والمسارعة إلى رضاه بكل ممكن، وله أوراد من الأذكار والتَّهجُد بالليل لا يتركها، وله قراءة على السيّد العلاّمة المرحوم عبد الله بن حسين الزوّاك في النحو بعض المختصرات بذكاء وجودة فهم. وكذلك على يد أخيه الحقير راقِم هذا لكثرة ترددي إليه كما كنت أتردد إلى والده، وبيني وبينه من الأخوّة والمودّة والصداقة الصادقة ما الله أعلم به وفي المثل السائر: ربّ أخٍ لم تلده أمك، أسأل الله الكريم أن يديم ذلك وينفعني بمحبتهم بِمَنّه وكرمه آمين، وقد امتدحته بهذه القصيدة:

نشر الصبا وافا من الزهراء ... مِنْ نَحْو مَنْ سادوا بني الزْهراء
شَرُفَت بهم وجه البسيطة فانثنت ... تزهو بمجدٍ باذخ وسناءِ
فهمْ ملوك الناس في الدنيا وفي الأخْرى إذا قاموا اليوم جزاء
وَهُمْ أمانهمُ بنصٍ قد أتى ... عن سيد السادات في الأنباء
لِمَ لا وهم من دوحة نبوية ... أكْرِم بها من نِبْتَةٍ غراء

---

(1) الحجرية: وطن كبير جنوب مدينة تعز كان يعرف قديماً باسم المعافر، ومركزه اليوم هي مدينة التُربة من ذُبحان.

أكْرِم بذلك رتبة نالوا بها … من رفعة وسيادة قعساء
لي فيهم رَبّ المفاخر من غدا … يسمو بسؤدده ذرى العلياء
أعني جمال الدين فخر أولي التُقى … من فَضله يعلو علَى الجوزاء
نجل الأفاضل من سلالة حيدر … من فرع دوحة سيد الحكماء
قد ساد بالخُلقين نفسٍ قد سَمَت … بين التقى والمجد فوق سماء
والشان بالشرف الرفيع مراتباً … يعلو به في رفعةٍ وسناء
طَلْق المُحيّا لا تراه عابساً … في حالة السراء والضراءِ
جدن المكارم لا يخيّب سائلاً … من فرط جودته وحُسن سخاء
وكذاكَ فرط شجاعة حُلّى بها … بين الأنام مسدد الآراءِ
إن قال قولاً فهو فصل كله … والفعل للتقوى قرين سواء
قسماً بأن الفضل فيه مجمع … لا غرو فهو الفرع للشرفاء
من معشرٍ صاروا خليقاً بالذي … قد قال قِدماً سيد الشعراء
يغشون حتى ما تهر كلابهم … ممن دنَى دار كذاك النائي
لا يسألون عن السَواد من الملا … يرجو القَرى في شدة اللأواء
لطفت خلايقه فسالت رقة … وسَرت لطافته إلى أحشائي
وتخللت قلبي المحبة إذ أتى … في الذِكر قل لا معشر الفطناء
وإليكم يا ابن الكرام مدايحاً … متعثرات في ثياب حياء
فلأنتم أهل المكارم والتُقَى … وبكم يزين المدح يوم ثناء
نور النبوة في كريم وجوهكم … يغني عن المداح والفصحاءِ
ثم الصلاة مع السّلام على الذي … قد خص بالتنزيل والإسراء
والآل والأصحاب ما قال امرؤ … نَشْر الصبا وافا من الزهراء

وهو الآن موجود بقرية المعترض[١] على خير من ربه عافاه الله، وقد كان مقيماً بالزهراء في الحصن الذي خلّفه جده الشريف الحسين بن علي، وقد كان والده الشريف حيدر بن الحسين ساكناً فيه فاستمر ولده - صاحب الترجمة - على السكون فيه بعائلته ولم يزل على ذلك إلى أن جرت عليه امتحانات وذلك في أيام الحرب الذي وقع بين الواعظات وبين علي افندي في أيام قيام السيّد محمد بن علي الإدريسي بالدعوة فخرج أهل الزهراء جميعهم فارين خوفاً من وقوع محذور، ومن جملتهم الأشراف الساكنون فيها وهم بنو عمه وسائر عشيرته وذلك أنهم أتهموا من قِبَل الدولة

(١) سبقت الإشارة إلى أن المعترض قرية ما بين عَبْس بن ثواب ومدينة الزُهرة، وعِدَادها من مديرية حرَض وأعمال محافظة حجّة.

بالمساعدة والمخادعة من السيّد المذكور لأن أكثرهم وصلوا إليه، وصاحب الترجمة لم يخرج من بيته بل كان يتردد إلى الدولة إبقاء للناموس[1] وحفظاً لنفسه وعائلته حتى وقعت هذه القضية فأمروه الدولة بالخروج من الحصن بعائلته لأنه بجوارهم في الحصن الذي قَسَموه نصفين بينهم وبين الدولة باختيارهم، فخشوا أنه إذا وقع الحرب وهم في الوسط من وقوع محذور عليهم فامتثل وخرج، وعند خروجه سلّم البيوت وجميع ما فيها من الأثاث من المحاسن والفرش والصناديق بما اشتملت عليه إلى كبير الترك: علي أفندي على سبيل الوديعة وخرج بعائلته وأطفاله لا غير إلى قرية المعترض وهي قرية الشريف حمود بن علي بن محمد كائنة شرقي مدينة الزهراء بنحو نصف ساعة، فوقعت الخيانة من الوديع وتصرّف في الأثاث وأخرب بعض البيوت وعمّر بها البعض الآخر، ولمّا سكن الحرب وخاطبهم في إرجاع البيوت والأثاث إليه أجاب عليه بأن الأثاث قد ذهب والبيوت قد اتخذتها الدولة معقلاً يتحصنون فيه ولا يخرجون منه إلاّ أن الدولة تعطيك قيمة الأثاث والبيوت، فأرسلوا من اللحية خُبراء يقومون بذلك فبلغت قيمة الجميع . . .[2] وذلك بأدنى ثمن، وبينما هُمْ في ذلك وقد تهيأ الباب لتسلم القيمة بعد مشقة عظيمة إذ رفع بعض عشيرته كتاباً إلى الدولة بأنّ هذه البيوت وهذا الأثاث ليس هو ملكه خاصاً به إنما هو مشترك بينه وبين جميع أولاد الشريف الحسين فكان ذلك سبباً لانهدام ذلك البناء كله وانحرفت الدولة عمّا قد سَمَحت به من تسليم ما ذكر فكان كما قال القائل:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامهُ ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ويرحم الله من قال:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

ومن جملة ما أمتُحِن به أنه ضعفت زراعته في تلك المدة فضعف بهذه الأسباب حاله، فاحْتَسَب وصبَر صبراً جميلاً نسأل الله لنا وله اللطف الشامل. وله ولد واحد اسمه أحمد انبته الله نباتاً حسناً، وأمّا سائر عشيرته فوصلوا إلى السيّد محمد بن علي الإدريسي فوصلهم وواساهم وأقرهم على بعض جهات صَبْيَا فتيسرت أحوالهم عافاهم الله أمين.

الشريف زيد بن الحسين وأولاده:

وأمّا زيد بن الحسين فكان شريفاً سرياً مهيباً ذا شجاعة وشهامة وكرم وَصْل

---

(١) إبقاء للناموس: ما يحميه من اسمه وصيته وشرفه، وعكسه: كسر الناموس.
(٢) بياض بالأصل.

خارق. فاضلاً أديباً لا يخلو من العلم مما يُصْلح به الدين، وكان حسن الخلقة أشبه أولاد الشريف الحسين به. وكان مولعاً بالأسفار كثير المجالسة لأهل الفضل وكان يتونى في البلاد التِعزية وغيرها لصبيا وأبي عريش، وقبل وفاته بنحو خمس سنين كان متوليا في صَبْيَا فوشى به بعض الناصبة إلى الدولة العثمانية وزوّروا عليه كتاباً كُتب على لسانه إلى الإمام السيد محمد بن يحيى حميد الدين فيتضمن معناه الخيانة للدولة بموالاته للإمام واستحالوا حتى توصّلوا إلى خاتَمَهُ وختموا به الكتاب وأرسلوا الكتاب إلى السلطان عبد الحميد فأمر بإشخاصه(١) من صَبْيَا إلى بندر الحُدَيْدة من طريق البحر ثم الإستانة، ولمّا وصل إليها مكث بها نحو أسبوع ثم تحققوا المادة فظهر أنه برىء مما نُسِب إليه فأكرمه السلطان غاية الإكرام واختار الإقامة هناك ورتّب له القدر الكافي لمعيشته مع قيام الناموس والإجلال والاحترام إلى أن كان موته بها في ذي الحجة الحرام سنة ١٣١٩ رحمه الله تعالى، وخلّف من الولد ثلاثة: محمد وأحمد وحمود، فأمّا محمد فهو عالم فاضل كثير المجالسة لأهل العلم والفضل والأدب والمذاكرة لهم والاستفادة منهم فأدرك بذهنه الوقاد وذكائه ما يُدْرَك بالقراءة، وهو حَسَن الأخلاق لطيف الشمائل حسن المحاضرة مستحضر الشواهد الحال، مُطْعِم للطعام، مُكْرِم للوافدين مع الشجاعة وقوة الجنان، كثير التّنقل في البلدان كوالده لطلب المعيشة فالتوظف مع الدولة، وكان مقيماً بالزهراء إلى يوم القضيّة المار ذكرها مع علي أفندي فتوجّه إلى جهة الشام ووصل إلي السيّد محمد بن علي الإدريسي فأكرمه وواساه وأمّره على بعض الجهات، وهو الآن موجود على خير من ربه مقيم بمدينة حَرَض عافاه الله، وله من الولد ستة: محمد وحمود وحيدر وحسن وحسين وأحمد موجودون أنبتهم الله نباتاً حسناً. وأمّا أحمد بن زيد فمسقط رأسه بأبي عريش ونشأ على أحسن الأحوال ثم تأهل في حَرَضْ وتوطنها وقرأ في مدة إقامته بأبي عريش على مشائخ منهم الشريف العلاّمة علي بن أبي طالب والقاضي العلاّمة إسماعيل بن حسن عاكش الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى فصار مشاركاً في علة فنون، وله في كل فن مسكة منه يتوصل به إلى غيره لا سيّما علم المعاني والبيان والحديث في معرفة رجال السَّنَد، وله ذكاء مفرط وذهن وقّاد يتموج صدره ذكاء وغلب عليه علم الأدب، وله اليد الطولى في علم البديع، كثير الحفظ للشعر والنكات الأدبية، سريع الاستحضار للشواهد، حَسَن المحاضرة فصيح اللسان مع طلاقة وقوة عارضة، كثير الإيراد للنكت واللطائف مع القرب وحُسن الأخلاق، وقد اجتمعت به مرّات عديدة في مدينة الزهراء أيام قراء «صحيح البخاري» في منزل عمه

---

(١) بإرساله شخصياً.

سيدي الشريف حيدر بن الحسين بن علي وذلك عند وصوله لزيارة إخوانه وبني أعمامه فتحصل بحمد الله الإفادة والاستفادة، وبيني وبينه داخوانه المودة الكاملة جزاهم الله عني خيراً، وقد امتدحته بهذه القصيدة:

سلام على وادي العقيق وحاجرِ ... وإن أحرموا طيب المنام محاجر[1]
قد خيّموا بالمنحنى وهضابه ... واقتسوا لقلبي بين واش وهاجر
أما عَلِموا أني على العهد واقف ... وقوف شحيح لم يزغ عنه خاطري
رعى الله سكان الأجيرع والنقى ... وبان المصلى والربوع النواضر
وهل حفظوا عهدي القديم لهم وما ... جرى في سويعات الوصال الغوابر
أحنّ إلى تلك المعاهد والربى ... وأصبو إلى طود العلا والمفاخر
صفي الهُدى بحرٌ من العلم صدره ... بموج ذي بحر في صحاح الجواهر
لقد صار ربّاً للفصاحة ناطقاً ... بعارضة تُنْبي بقس ابن عامر
لهذا ترى الأقلام وهي سواجد ... لسؤدده من كل غادٍ وصادر
له خُلُق يحكي النسيم لطافة ... فأخلاقه تُنْبي بما في الضمائر
له سيرة مرضيّة وشمائل ... مهذبة ضاهت شذا كل عاطر
لقد فاق فخراً في الأنام أوائلاً ... كما فاق أقراناً له في الأواخر
ولا عجب من ذا فأحمد قد أتى ... أخيراً وفاق الكل بادٍ وحاضرِ
له كف ضرغام إذا ما سطى بها ... ونائلها مثل السحاب المواطر
ولا غرو فهو المُنتَقى من عصابة ... عَلَوْا شَرَفاً فوق النجوم الزواهرِ
حفيد عليّ من سلالة حيدر ... فأكرِم به فرعاً سليل الأكابرِ
ليوثٍ لهم يوم الكريهة موقف ... تظل به الأعداء مثل الجآذرِ
ذووا المجد والجَرْد الصَوافِن والقنا ... وبيض الرواضي في الوَغى والتشاجر
بنوا المصطفى نجل الوصي وصهره ... كرام المساعي من كرام الكعشانرِ
وأهدي إليكم كلمات هبّت الصبا ... تحيّة ودٌ في الدُجى والبواكرِ
وسلّم على عِزّ الهُدَى أسد الوغى ... وبحر الندَى رب التُقَى والمفاخر
شريف سَرّي لم يزل متخلقاً ... بأخلاق آباء كرام طواهرِ
وصل على طَه الذي أنزلت له ... مع الأنبياء تُتْلَى وسورة غافرِ
كذا آله الأطهار والصّحب من بهم ... غدا الدين يزهو بالصفاح البواتر

---

(١) وادي العقيق: وادٍ مشهور شرقي مدينة صعدة عداده اليوم من مديرية الحشوة. وتنتهي مصبته في وادي أملح، سُمّي بذلك لوجود خامات العقيق فيه بكثرة. أما حاجر: فهو شعب ومنطقة في جازان.

انتهت. وهو الآن موجود بمدينة حَرَض على خير من ربه عافاه الله، آمين. وأمَّا حمود بن زيد فهو رجل صالح فاضل حسن الأخلاق متواضع حَسن المحاضرة يحفظ شواهد الحال ويُعَبِّر عنها بالمقال، بلسان فصيح، وذهن وقاد وعقل رجيح، وقد كان مقيماً بالزهراء فخرج فيمن خرج يوم القضية السابق ذكرها إلى قرية المعترض، وهو الآن مقيم بها على خير من ربه عافاه الله آمين.

فهؤلاء من وقفت على سيرتهم من **أولاد سيّدنا الشريف الحسين بن علي بن حيدر** وهم المعقبون مُلحِقاً الأحفاد بالأجداد ولم آل جُهداً في ذلك، ومَنْ عداهم لم أقف على كمال سيرتهم ولكن شهرتهم تُغنى عن التصريح بأحوالهم إذ هي أشهر من نار على عَلَم، وكل واحدٍ منهم يستحق ترجمة واسعة مستقلة على انفراده رحمهم الله ونفع بهم آمين.

محمد بن علي بن حيدر:

رَجْع وانعطاف وأمَّا محمد بن علي بن حيدر فمولده في أوائل القرن الثالث عشر ووفاته في عام ستة وأربعين بعد المائتين والألف وخلّف من الولد ثمانية: علي والحسن والحسين وعبد الله ويحيى وأبو طالب وناصر وأحمد.

ماذا يقول المادحون بمدحهم ... وهم السراة خلائف المختار
ضربت قباب فخارهم وسموّهم ... بين البتول الطهر والكرار

فَعَلي سيأتي ذكره مع ذكر أولاده، والحسن له يحيى ومحمد ماتا ولا عَقِب لهما، والحسين له محمد ومحمد له أحمد، وخلّف عبد الله: أحمد ومحمداً، وخلّف يحيى: علياً ومحمداً، ومات يحيى عن سبعة وعشرين سنة وابنه علي رحل إلى الهند وترك ولدين يحيى ومحمداً، وتوفي أبو طالب عن اثنين وستين سنة وهو قافل من صنعاء ودُفن بمحل يُسمَّى خَمِيس مَذْيور[1] وخلّف من الولد سبعة: أحمد مُقيم في لَحْج وقد توفي هناك وعلي ومنصور وحسن ومحمد ويحيى وهَزّاع، فأمّا علي فولد بمدينة أبي عريش وبها نشأ وكان قدوة لأهل الوقت غاية في العلم والعمل ذا حفظ بارع وفهم ثاقب، يحفظ القرآن عن ظهر قلب لا يفتّر من تلاوته لا سيما ليالي رمضان، وكان إمام حلقة البخاري بأبي عريش بعد شيخه الفقيه العلاّمة يوسف بن مبارك، وكان كثير الحفظ متفنناً في علة من العلوم إذا حضر في مجلس البخاري فلا يكون الكلام إلا له، وله مشائخ كثيرون منهم الفقيه المذكور، وقد رحل إلى مكة والحُديدة وأخذ عن علمائهما ثم رجع إلى بلده مُفيداً مستفيداً ما زال على ذلك إلى

(١) خَمِيس مَذْيور: منطقة من الحيمة الخارجية في غربي صنعاء.

أن قام بالدعوة السيّد العلاّمة محمد بن علي بن إدريس فولاه في مدينة أبي عريش القضاء لتأهله لذلك، ثم إنه وَفَد إليه في أثناء ذلك إلى مدينة صَبْيا لأجل المشاورة في بعض الأمور فمرض بها فتوفي وذلك في شهر جمادي الأولى عام سبع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف وعمره ما بين الستين إلى السبعين فحزن لموته الخاص والعام وصلّى عليه السيّد محمد بن علي بن إدريس في موكب عظيم من أهل العلم وغيره، ودُفن في مقبرة السيّد أحمد بن إدريس، رحمهم الله آمين.

وتوفي ناصر بن محمد عن إحدى وستين سنة ودُفن بقرية المعترض وخلّف خمسة أولاد: علي ومحمد وأحمد وحسن ومنصور، لعلي محمد، وأمّا أحمد فلم يعقب، ولم أقف على تفاصيل سيرهم سوى علي والحَسن فإنه بلغني طرف من سيرتهم وسأذكر ذلك إن شاء الله. وأمّا على الجملة فهم مشهورون بحسن السيرة والشجاعة والشهامة والمجد والعفة والكرم وعلو الهمة في طلب معالي الأمور وحُسن الأخلاق والاستقامة والتحلي بالعلم والفضل والأدب وحُسن المحاضرة وحفظ الأشعار الجيدة من دواوين العرب المستقدمين من الاستحضار لشواهد الحال من ذلك، والحاصل أنهم على غاية من صفات الكمال وشهرتهم بذلك تُغني عن التصريح بأحوالهم إذ هي أشهر من نار على منار.

علي بن محمد بن علي بن حيدر:

وَصْل: وأمّا علي بنِ محمد فهو أكبر إخوانه سناً وقَدْراً، وكان رحمه الله شجاعاً مقداماً وأسداً ضرغاماً وقفَ مع عمه الحسين بن علي مواقف الحروب وأبان بذلك عن شجاعته الحيدريّة في تلك المَواطن والخطوب، وكان أحد أركان مملكة عمه في حُسن التدبير والرأي والسياسة فإذا وقف موقف الحرب أغنَى في ذلك عن الجيش الكثير وفَرّق شمل أعدائه وإن كانوا الجمّ الغفير، ومن أراد معرفة ذلك فليرجع إلى ترجمة عمه الشريف الحسين. ومِنْ المَواطِن التي ظَهَرت فيها شجاعته وإقدامه وقوة جنانه ما وقع بينه وبين الشريف حسن بن أحمد بن حمود في محل يُسمَّى المِخْصَام[1] من بلد الواعظات فإنه لمّا جَرَت المخالفة بين صاحب الترجمة وبين الدولة وكان الشريف حسن بن أحمد من طرف الدولة العثمانية كتب إليهم أن يمدوه بعسكر فأمدوه بنحو ألف من الترك ومائتين من حَاشِد وبكيل ومائتين من الخيّالة أهل الوادي مَوْر كالجامعي والزعلية ورئيسهم عبد الله محافظ، ولمّا علم صاحب الترجمة بذلك ولم يكن عنده سوى أولاده توجه بهم إلى الأمَان[2] ولمّا وصل طلب أهل

(١) المِخْصَام: قرية عِدَادها من مديرية عَبْس بني ثَوَاب في سهل تهامة وأعمال محافظة حجة.
(٢) الأمان: منطقة من مديرية نَجْرة في جنوبي حَجّة ومن أعمالها، وهي في مكان تُحيطه الجبال.

الأمير وجمع عنده منهم نحو خمسمائة نفر، والشريف حسن بن أحمد نزل هو ومن معه محدود من معهم فنصحهم وحثوا به ثم كتب إلى صاحب الترجمة يطلب وصوله إليهم ونه الأمير فكتب إليه صاحب الترجمة بأن الجواب سيكون بالمشاهدة. فحين ذلك استعد وجمع من معه وهم قليلون وأخبرهم بأنه يريد القتال فأجابوه إلى ذلك فلبس الدرع والخوذة والرمح والسيف ثم خرج بمن معه إليهم وما علم الشريف حسن ومن معه أنه يريد قتالهم إلا لما رأوه لابساً لأمة الحرب فحينئذٍ تهيأوا للقتال، ولما قرب منهم نحا فرسه للقتال وأقدم إقدام الأسد الرئبال وكرّ في القوم وجال فيهم يمنة ويسرة يطعن برمحه ويضرب بسيفه والتحم القتال بين قومه وبين جُند الشريف حسن بن أحمد فقتل جمع من الفريقين وفعل صاحب الترجمة بالآخرين الأفاعيل وقام في ذلك الموطن مقام جليل:

وليس ألفٌ منهم كواحدٍ   وواحدٍ كالألف إن أمرٌ عَني

وكانت الطائفة له وانهزم الآخرون مع قلة جُنده وكثرة جندهم، وقد امتدحه السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر بهذه القصيدة الفريدة لمّا نزل بِلِم واستعد بهم على خروج عمه الشريف الحسين من يد السيد محمد بن يحيى الإمام في سنة ١٢٦٤.

علي من العوالي السمر نيل المكارم   ودرك المعالي بالسيوف الصوارم
وما المجد إلا تحت مشتبك القنا   إذا النقع يحكي حالكات الغمائم
وما مجد إلا صدق البأس في العدا   ببيض المواضي والرماح اللهاذم
ومن طلب العليا ولم يك فاتكاً   فقد رام إدراك السما بالسلالم
ولو لم يكن للأسد عند لقائها   افتراس لَعُدّت من صنوف البهائم
بحب الجبان السلم صوناً لنفسه   مع العلم منه أنه غير دائم
ولو أن الشجاع القرم أضحى محبباً   إليه الردى يسعى له سعي هائم
كسعي جمال الدين ليث الشرى الذي   يسير إلى سوق الردى أي باسم
مبيد العدى بالسمهرية والظبا   ألا هكذا من كان من نسل هاشم
إذا لاح في الأقران في الحرب وجهه   تطايرت الأرواح قبل التلاحم
ونفنفت أجسام الأعادي مهابة   لسطونه من قبل ضرب الجماجم
شريف نمته دوحة حيدرية   فأكرم بشبل من ليوث ضراغم
له عزمات تترك الشم كالثرى   ومن عجب يغزو بسيف وصارم
له الغارة الشعواء التي أذعنت لها   جميع الملا في عربها والأعاجم

من كل ناحية وفيها وادٍ تنزل إليه سيول هذه الجبال التي تذهب لتصب إلى وادي مَوْر.

كبحر بأمواج الردى متلاطم

وجهز إلى وادي زبيد كتيبة ... وكل كمي صادق الفعل حازم

وكرّ على الدرب الحصين بعزمة ... كذا فليكن في الحرب صدق العزائم

أذاق العدا كأس الردى بحسامه ... نهبته حروفاً حروف الحوائم

وأخرج للباقين تحكي قلوبهم ... سأل نجاحٍ في قديم الملاحم[1]

مذكرنا فعل المكرَّم فعلُهُ ... وكان له بالرأي أحسن ناظم

وردَّ لملك قد تبدد شمله ... سليل علي من صميم الأكارم

هنئه در القذ نجل محمد ... فأنسى الورى أخبار معن وحاتم

جمال الهدى يا ماجداً حلّ رُتبة ... ثغور المعالي ضاحكات المباسم

أهنيك بالنصر الذي أصبحَت له ... على مفرق الجوزاء وبرج النعائم

ودُمْ في سماء المجد والعز راقياً ... أبا القاسم المختار غوث العوالم

وأزكى صلاة الله تغشى محمداً ... مع الصحب ما لاحت بروق التهائم

كذا الآل أرباب الكمال مُسلَّماً

انتهت. وكان رحمه الله ذا هيبة وسطوة شديدة، وفي مدة ولايته بجهة الوادي مَوْر طَهَّر الوادي من الفاسدين وكان من ظَفَر به وتحقق جنايته الموجبة للعقوبة أقام عليه الحد بما يستحقه من التعزير والقطع والسمل حتى انتشر الأمان بسبب ذلك وكان جواداً كريماً له أرض واسعة بجهة الوادي مور يزرعها فيحصل له منها حاصل كثير وكان ينفق على غالب أهل قريته المعترض ولو لم يكن له حاجة إلى النفقة، ويُحكَى أن بعضهم قال له: مالي حاجة إلى النفقة وامتنع من قبولها، فلم يدعه يسكن معه في قريته إلا أن يقبلها أو يرتحل. والحاصل أنه كان على غاية من صفات الكمال والعدل في سيرته وتقوى المهيمن ذي الجلال، ولم أقف على كمال سيرته، وما زال على الحال المعرَضي حتى توفي رحمه الله بقرية المعترض عن ستة وسبعين سنة، وقد رثاه يوم موته شيخنا الشيخ العلاّمة إبراهيم بن عبد الله القديمي بهذه القصيدة الفريدة:

حق لدمعي الهاطل الوكاف ... يجري وما جري الدموع بكاف

حتى يسيل كعَنْدم أو عن دمٍ ... وتمدُّ الأحشاء بالتنزاف

فلذاك في رزء السمّ بقطرنا ... نزرٌ ولبس بحقه بالوافي

---

(١) يُشير إلى الواقعة المشهورة التي قادها المكرّم بن علي الصليحي سنة (٤٦٠هـ) ضد آل نجاح التي قُتل فيها عدد كبير من النجاحيين، وقد كان لبني نجاح عدة معارك مع آل الصليحي ومعلوم أن بنو نجاح ينتمون إلى الأحباش وقد حكموا تهامة خلال الفترة ما بين (٤٠٣-٥٥٥هـ).

أو على ضيب الحياة وطيبها ... فرسومها يوم الرحيل عوافي
ركب تحمل والفؤاد رفيقه ... حتى أناخ بساحة الأسلاف
رام اللحوق بهم فأحرز منزلا ... بجوارهم في سابق الأضياف
فازهد أخي في هذه الدنيا فما ... فيها من الفاني كحلم الغافي
وذر المدامع دائماً تذري دما ... واندي رئيس سلالة الأشراف
فلذلك أحرَى أن يُقال لموته ... جَبَلٌ هَوَى من آل عبد مناف
فعلى عليٍّ فلتجدْ بدموعها ... عين الزمان وأعين الآلاف
وعليهِ فلتبك البواكي حسرةً ... فلقد تغيّب بحر جود طافي
من آل فاطمة الزكية ماجد ... للأكرمين من الأفاضل قاف
ورث المكارم كابراً عن كابر ... وجفا رذيل الفعل باستنكاف
واهاً لقبرٍ بات يحوي زاخراً ... متلاطماً بكرائم الأوصاف
من همةٍ تعلو على هام السهى ... وحماسة تمحو لكل خلاف
وصميم تقوى قائماً بحقوقها ... ورئاسة بالعدل والإنصاف
بطلٌ يخاف الأسد سطوة بأسه ... شهم الأرومة فارس الايجاف
ما زلّ عن متن الجياد ولا انثنَى ... عن منهل خلفَ الكتيبة صاف
يسطو بأبيض سائل من غمده ... من كف أبيضٍ سائل الأطراف
كم أصدر البيض الظماء نواهلاً ... حمراً وعاد على العِدا بتلاف
ولكم تصدّر في أمورٍ صعبةٍ ... فتيسرت بتدارك وتلاف
في كفه اليُمنى المُنى ومنية ... للمستنيل وللعدو الجاف
وينيل قبل سؤاله معروفه ... وصنيعه المعروف ليس بخاف
ولكَمْ أجار فما ألمّ بجاره ... ضيم وآمنهُ من الأخواف
ما أمَّهُ متحرجٌ إلا انثنَى ... فَرِحاً عليه طلائع الإتحاف
لو كان أسعف ربنا بتخلد ... كان الرسول أحق بالإسعاف
جاد الإله ثراه هاطل عفوه ... وأحله الفردوس يوم يوافي
وأجاز أهليه بعظم مصابه ... وحما هماه بنجدة الأخلاق
وصلاة مولانا على الهادي الذي ... من هذه الدنيا اكتفى بكفاف
والآل والصحب الكرام وتابع ... والتابعين لهم بصدق عفاف

انتهى. وخلّف صاحب الترجمة من الولد اثنى عشر ولداً: محمد ويحيى وحمود والحسن والحسين وناصر وحيدر وأحمد وزيد وهاشم وأبو طالب وراجح، ولأتكلم على بعض سيرة من عرفته منهم وهم محمد وحمود ويحى وحيدر وأحمد وراجح وهاشم.

الشريف محمد بن علي:

فأما محمد فهو أكبرهم سناً، وكان رحمه الله شريفاً سَرياً شجاعاً مقداماً عالماً فاضلاً أديباً حسن المحاضرة لطيف الشمائل يحفظ كثيراً من أشعار العرب. متحلياً بحلية الفضائل والأدب مستحضراً لشواهد الحال، على غاية من حُسن الاستقامة والديانة وحُسن الأخلاق والتواضع والقُرب، ذا ذكاء وفطنة قوية، وكان محباً لأهل الفضل كثير المجالسة لهم؛ مُفيداً مستفيداً ولا سيما السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك فإن بينه وبينه كمال المودة والاتصال وكان عند وفادته إلى الزهراء يتردد إليه صاحب الترجمة كثيراً واليوم الذي يصل إليه فيه كأنه يوم عيد بسبب ما يحصل من الفوائد والنكات الأدبية بينهم، وكان أكثر ما يصل إليه بالزهراء يوم السبت فيتمثل له السيّد محمد بقول السيّد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير من قصيدة له:

ومن أعجب الأشياء أني مُسْلِمٌ   حنيفٌ ولكن خير أيامي السبت

ومقصود الناظم بذلك أن بيته بصنعاء كان بجانب دار سكة الضرب والمُباشِر لذلك اليهود، وفي يوم السبت كانوا يتركون العمل فيستريح من أذية الضرب فقال ذلك ملغزاً لِمَا يحصل له من الراحة المقتضية لتفرُّغ ذهنه لتحصيل أنواع العلوم، فشبّه السيّد صاحب الترجمة بالناظم في ذلك بجامع ما يحصل لكلٍ منهما من الراحة المقتضية لذلك، وقد وصل إلى مكة ولحج والسراة والحُديدة وزبيد وغيرها، وفيها عرف أهل الفضل وأخذ عنهم، وكان جواداً كريماً لا يكاد يمسك شيئاً من عرض الدنيا.

لا يألف الدرهم المضروب صرّته   لكن يمر عليها وهو منطلق

وأفضى به ذلك إلَى أن أنفق جميع ما في يده مما خلّفه له والده من الأرض وغيرها حتى كان في آخر عمره حليف الفقرِ مع كثرة العائلة فَصَبر صبراً جميلاً إلى أن توفي رحمه الله في قرية المعترض وهو على الحال المرضى وذلك في عام ١٣٢٣ ثلاث وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، وخلّف ولداً اسمه حيدر.

الشريف حمود بن علي:

وَصْل: وأمّا حمود بن علي فهو أكبر أولاد الشريف قدراً وأكثرهم لله تعالى ذِكراً وأوسعهم في العالمين جاهاً وبَرّاً مع ما هو فيه من الهيبة والشجاعة وقوة الجنان والجاه الواسع عند الصغير والكبير والمأمور والأمير، ونفوذ الكلمة لديهم، وقبول الشفاعة عندهم، ودوام المصالحة بينهم وله حظ وافر من العلم، يحفظ القرآن عن ظهر قلب لا يفتر من تلاوته بكرة وعشيّة، وله شَغَف بالعلماء وأهل الفضل ولهم إليه

تردد كثير، فمن لقيه منهم أخذ عنه لا سيما في علم النحو فهو قد قرأ منه حصة من «الملحة» للحريري وحصة من «الأجرومية» وأدرك بذهنه الوقاد، وفهمه الذي هو لأدراك العلم منقاد، في مدة يسيرة في حال الكبر ما لا يُدرَك لغيره في مدة كثيرة. وهو كثير الذكر دائم الاعتبار والفكر، لا يترك التهجد بالليل ولا ينام منه إلاَ قليلاً، يكثر الصيام في الأشهر الحرم وفي شهر شعبان وإذا جاءت العشر الأواخر من رمضان اعتكف إلى أن ينسلخ الشهر، مواظب على أداء الفرائض جماعة، موفٍ بالنوافل على أكمل الوجوه بخشوع ووقار وتؤدة ودِين رصين وقدم في أداء العبادة على الوجه الأكمل مكين، وله من القرب والتواضع وحُسن الأخلاق ولطف الشمائل ما لا يوصف. وقد حج إلى بيت الله الحرام ولم يتيسر له التوجه إلى زيارة نبيّه عليه أفضل الصلاة والسلام فرجع إلى بلده ولمّا كان في شهر رجب من عام أربعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف توجه إلى الزيارة ووصل إلى المدينة المنورة وقضى وطره ومكث بها مدة وأكرمه أمير الحرم المدني غاية الإكرام وكذلك لمّا حجّ أكرمه أشرَاف مكة لا سيما رئيسهم الشريف عون الرفيق فقد التفت إليه وأنزله المنزلة التي لا ترام. وله كرم واسع ومجد باذخ، مُكرِم من وصل إليه، ومحله مفتوح للقاصدين والواردين لا يُرجع من قصده خائباً، وأكثر أهل قريته يُنْفِق عليهم كما كان عليه والده، على غاية من القرب والتواضع وحُسن الأخلاق ولطف الشمائل ولين الجانب والخطاب مع كل من خاطبه، كثير الأمثال قلَّ ما يتكلم بكلام إلا ويتبعه بمَثَل مناسب للمقام. وله أرض واسعة في جهة الوادي مور وأبي عريش وصَبْيا والبِيِّض تزيد عن الفي معاد بعضها تلقّاها بالإرث من أبيه وأكثرها بالاقتناء، وكلها تُسقى وتجيء بغلال كثيرة. وله محاسن عديدة فمنها مسجده الذي بناه بجانب حصنه بالمعترض من جهة الشرق، أنفق فيه أموالاً جزيلة وهو في غاية العمارة الحسينة والمعنوية، عديم النظير والشكل في هذه الخطة اليمنية، وقد قلت هذين البيتين مؤرخاً عام بنائه وهما:

لمسجدُ مولانا الشريف حمود من نُمِي لعليّ قد أناف على الشعرى
وقد حرّر تأريخ فيه موضحاً قواعد دين الله قرت به قرّا
١٨١ ١٣١ ٧٠٠ ٣٠٨

حوادث سنة ١٣٢٠هـ

ومنها المسجد الذي بناه في قرية الفقهاء بني الحجّاجي المسمّاة بالرفيع[1] وله محاسن غير هذه عافاه الله، وقد قلت هذه القصيدة مادحاً له ومهنياً عند قدومه من الحج:

---

(١) الرفيع: من قرى مديرية الزهرة.

حمد السرى قوم فنالوا السؤددا … وصفت قلوبهم بأسوار الهدى
ناداهم المولى لأرفع رتبة … فأتوا بداراً مسرعين إلى الندا
وتوجهوا زمراً إلى أم القرى … راجين من كرم الكريم الموعدا
متقدماً فيهم إمام أُولي الهُدَى … قطب الوجود وبحر غايات الندا
فرد تفرد بالمحامد كلها … فلذا غدا يُدعى حمود على المدا
القانت الأواه أفضل مرشد … للخلق طراً نحو طرق الاهتدا
الصائم القوام في ظلم الدجى … والقوم في هجع بليل أسودا
كم بث للصدقات بين الخلق من … غير افتخار لا يقصد سرمدا
كم بث نُصحاً للخلائق مصلحاً … كم فك من أسرٍ وفك مُقيّدا
كم صاغ من حلى المحاسن جملة … رفعته قدراً للسماك ومقعدا
من ذاك مسجده الذي ما مثله … يبني بتلك الأرض فيما شوهدا
ما زال مسكنه به لا يبتغي … ليلاً ولا صبحاً لديه مؤكدا
فأراد تتميماً لدين قد بغى … من خمسة الأركان يا لك أعمدا
فبدا بإحرام به حُرِمت على … كل الحجيج سوى إزارٍ أو رِدَا
ولقد غدا خالي الفؤاد عن الذي … يُلهي عن المولى له مُتجردا
ما بين تلبية وذكرٍ دائم … ومصلياً ومُسَلِّماً متشهِّدا
ثم القدوم له الطواف مواصلا … لله ما أحلى الوصال وأسعدا
ولدَى الإفاضة قد أُفيض عليه مِنْ … نور الجلال ونِعْم نور الاهتداء
ولقد حوى كل الصفا لمّا سعَى … بين الصفا والمروتين مرددا
وبعمرة عُمِرت قواه وشيدت … أعماره فغدا بذاك مشيدا
ثم انثنى نحو المواطن عائدا … كالبدر في غسق الدياجي مسعدا
فَتهنَّ حجاً بالقبول مقابلاً … واشكر لربك دائماً ثم أحمدا
وليهنكم والكل من إخوانكم … وذويكم ممن تداني أو بدا
فهم ملوك الناس بل ساداتهم … وهم أمانهمُ بنصرٍ أسندا
ثم الصلاة مع السلام على الذي … نال الشفاعة والمقام الأحمدا
مع آله وصحابه ما سبحت … فوق الأراكة طيرها أو أنشدا

وهو الآن موجود على خير من ربه على الحال الذي ذكرنا وعمره خمسة وستون سنة عافاه الله آمين، وله من الولد خمسة: محمد بن حمود ومحمد بن أحمد باسم جدهم الكبير وأحمد وعبد الله والحسن، أكبرهم سناً محمد بن حمود رجل صالح قارىء للقرآن مقبل على شأنه، كثير الصّمت، قائم بخدمة والده في المزارع وغيرها عافاه الله. وأكبرهم قدراً وفضلاً محمد بن أحمد نِعْم الرجل الصالح العابد الناسك،

نشأ في حجر والده نشوءاً حسناً وقرأ القرآن وما تيسر من الفقه في مذهبهم مذهب الهدوية والنحو في قريتهم المعترض على السيّد الأجل . . .[1] وكل من وصل إليهم من أهل الفضل لازمه في القراءة إذ هو عالي الهمة في تحصيل العلم مع الفهم والذكاء وصدق النية في الطلب، ثم رحل إلى الزّيدية للطلب فقرأ على شيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن عبد الله القديمي في متن الأزهار ومتن الرحبية في الفرائض ومتن الأجرومية في النحو على غاية من حُسن الاستقامة والتواضع والقرب وسلامة الصدر وحُسن الأخلاق واللطافة والكرم، لا يكاد يبقى في يده شيء من كثرة كرمه، مع الدين الرصين والسيرة الحسنة لا يفتر من قيام الليل، وهو الآن موجود على أحسن الأحوال وعمره نحو خمسة وعشرين سنة عافاه الله آمين.

وَصْل: وأما يحيى وحيدر وهاشم وأحمد وراجح فهم صالحون قارؤون للقرآن ولِمَا لا بد لهم منه مما يصلح به الدين، متصفون بصفات الكمال سائرون بالسيرة الحسنة على أحسن الأحوال مع الشجاعة والكرم وعلو الهمّة في طلب معالي الأمور الدنيوية والأخروية وحُسن الأخلاق والتواضع، ولحيدر معرفة تامة بعلم الحرف والفلك تلقّاه عن الفقيه الفاضل الأديب محمد بن خيري زمّار، وله قرائة على القاضي العلاّمة خالد بن علي البهكلي[2] مع التحلي بمسكة صالحة من علم الأدب، يحفظ كثيراً من أشعار العرب المتقدمين، وكلهم موجودون على خيرٍ من ربهم سوى هاشم فإنه قد توفي قدماً في عنفوان الشباب، وكان شجاعاً مقداماً جواداً كريماً ولم يعقب رحمه الله. وليحيى من الولد أربعة: أحمد ومحمد وحسين وأبو طالب، ولحيدر ولد واحد اسمه علي، ولأحمد ثلاثة: محمد . . .[3] ولراجح خمسة: ناصر وحسن ويحيى . . .[4] ولناصر بن علي من الولد إثنان: علي ومنصور، ولأبي طالب واحد اسمه محمد، وأمّا الحسين فلم يعقب، وللحسن من الولد خمسة: راجح وحيدر ويحيى ومحمد وعلي، فلعلي هذا: حسن وأحمد، وليحيى بن الحسن واحد اسمه حيدر.

الشريف الحسن بن محمد بن علي بن حيدر:

وَصْل: وأمّا الحسن بن محمد بن علي بن حيدر فهو كما قال القائل:

هو الناس في المعنى وإن كان واحداً فللـــه ذاك الـــواحـــد المتفـــرد

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) انظر ترجمته في موضعها من الكتاب. وكان أصولياً فرضياً نحوياً، أفتى في مذهب الإمام الشافعي. وتوفي نحو سنة (١٢٩٠هـ).

(٣) بياض بالأصل.

(٤) بياض بالأصل.

تمرّد فيهم بالزعامة يافعاً ونال من العلياء ما كان يقصد

فقد كان رحمه الله بالدرجة القصوى من الشجاعة العلوية والسيرة الحسنة الهاشمية، صاحب جنان قوى وإقدام في الحروب، وثبات جأش عند المنازلات في المضائق والخطوب، وقد كان الركن الأعظم لمملكة عمه الشريف الحسين بن علي في حسن التدبير وجودة الرأي والسياسة وكان يقلده ولاية بندر الحديدة وزبيد وما والاهما كَحَيْس والمَخا فيسير في ذلك السيرة الحسنة ويلبز الأمراء بالآراء المُستحسنة، وسيرته في ذلك ووقوفه مواقف الحروب مشهورة أشهر من نار على منار، واستقلّ بالمُلك بعد إرجاع عمه الشريف الحسين اليمن إلى الدولة ومكنه بمكة وذلك من وادي مَوْر إلى أبي عريش وما والاها فقام بذلك أتم قيام على أحسن نظام، وكان جواداً كريماً يُعطى العطاء الجزيل وكان عالماً شاعراً مجيداً عارفاً بفن الأدب بينه وبين السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر مكاتبات وأشعار أرق من النسيم فمما امتدحه به سيدي أحمد حين أخذ زبيد واستنقذه من أيدي البغاة، وبأخذه عاد مُلك اليمن كما كان، هذه القصيدة الفريدة:

بمن تزهر العلياء وتزهو المحافل وتبتهج العليا وتسمو الفضائل
ومن ذا الذي قد حاز في المجد غاية وأحرز شأواً لم تحزه الأوائل
ومن ذا الذي تختال إن ذُكِر اسمه الجياد ومن تيه تميس النوابل
ومن تفخر العلياء وتزداد بهجة به وبه المجد المؤثّل رافل
هو الحسن المقدام نجل محمد ومن في المعالي ماله من يُشاكل
شريف علت أوصافه الغُر إن يرى نظير له في بعضها ومماثل
همام له رأي وعزم وهمة ترد بها عنا الخطوب النوازل
له هيبة كالسيف في مهج العدا إذا لم تساعده الظبا والعوامل
يذوب فؤاد القرن في حومة الوغا إذا أبصرته عينه وهو جائل
إذا نازل الأقران طارت عقولهم وأيقن كلٌ أنه الموت نازل
إذا رفع الرايات يوم كريهة وجَرّ جساماً فهو بالجزم فاعل
فقل للذي عادى الفتى ابن محمد تزود من الدنيا فإنك راحل
أعاد زَبيداً بعد أن مَلكت له، البغاة وعاثت في رباها الأسافل
تطاول يبغيها ابن يحيى سفاهة وعند التناهي يقصر المتطاول
وجاء يروم الملك جهلاً وما درَى بأن المنايا دون ذلك حائل

وإن الهمـام المـاجـد انقـذ دونـه ... إذا كـان أقـر دربُـه والمعـاقـل
فتى أنِف الهيجا فلا يرهب الوغا ... وليس يخاف الموت والموت هائل
إذا سل في يوم الكريهة صارماً ... فما غمده إلاّ الطلا والكواهل
هو الطود قلباً عند مشتجر القنا ... وكل كمي واقف متضائل
أيا شرف الإسلام يا خير ماجدٍ ... ومن هو بحر والكرام جداول
لعمرك لا يستطيع غيرك للعلا ... وأنت فتاها والمليك الحلاحل
وأنت الذي في الباع والطبع والندا ... وفي العقلان وافت خطوب شواغل
طويل خفيف وافرٌ لعفاته ... ينيل جزيلاً قبل سيال كامل
لئن مدحوا بالجود قوماً تقدموا ... فوابلهم طل وطلّك وابل
بك المُلك أضحى لابساً طوق عِزة ... وقد مر أياماً له وهو عاطل
فدم سالماً في نعمة ومسرة ... وهذا دعاء للبرية شامل
ولا زلت تسمو كل يوم من العلا ... محلاً رفيعاً دونه النجم نازل
وقابلك الإقبال والسعد في الملا ... وبلغك الرحمنِ ما أنت آملُ
وأختمها صلى السلام مسلماً ... على المصطفى والآل ما الودق هامل
وأصحابه الأعلام ما هبّت الصبا ... وغنت على غصن الأراك البلابل

وقال سيدي أحمد مادحاً له أيضاً بهذه القصيدة وقد أمره أن يجيز خمسة أبيات قالها صاحب الترجمة وهي صدر القصيدة وبيتين آخرها وهما دونكها وما بعده.

دُونَن التلاقي مهمه فمحلٌ قفرُ ... يجول على من رام يقطعه الذعر
ينا بيته فيه النوى فكأنما ... لأفراحه في كل مخضرة وكر
ينازعني حرصاً على السير سابقي ... به ولصحبي دون مدي به جزر
ولم تثني عنه مقالة مشفق ... عليّ ولمّا لم يكن دونه صبر
تجشمت في سيري به كل فادح ... إلى أن تبدت لي الرُّميلة والقصر
ومن رام لقيا الحِبَ والحُبُّ صادق ... يخوض المنايا طال أو قصر العمر
أقول لصحبي إذ بدت لي ثياب من ... أحب وقد دارت بها الضّمر الشقر
قفوا لي فلي في ذلك الحي دمية ... ولم يثنني عن قصدها البيض والسمر
فسرت إليها والظلام كشعرها ... يظل به في أوضح الطرق السفر
وإن اسبلته يختفي بدر وجهها ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر
فكدت أصل الجدر لولا شميمها الذّكي ولولا الثغر كالبرق يفتر
فبتنا وما غير العفا يضمنا ... إلى أن تبدي مثل غرتها الفجر
فقالت أمَا تخشى قساور معشري ... أمامك فاحذر إنهم معشر غمر

فقلت لها لو كان للخوف صورة   وقابلني ولي وفي قلبه ذعر
بلى أنا أخشى سهم لحظك إنه   لكالموت منه ليس يمنعني الحذر
وإني لمفتون بحبك هائم   وإن لم أهم في ذا الجمال فما العذر
كما هام بالعليا الفتى ابن محمد   حميد المساعي من به يفخر الفخر
شريف حوى الغايات من كل مفخر   وطابت به الأيام وابتسم الدهر
له راحة للسيف والسَّيب قد حوت   ففيها لعمري للورى العسر واليسر
وما هي إلا كالسحاب إذا دجى   على جهة فيه الصواعق والقطر
أنامله عشر تجود مواهباً   فقلنا له في كل أنملة بحر
هو الليث بل ما الليث في حومة الوغى   وما عنتر يوم الطراد وما عمرو
إذا رفعت راياته يوم غارة   يسايره العقبان في الجو والنسر
له عزمة لم تثنه عن عداته   مهول ولو أن العدا الأنجم الزهر
ولو قابل الشم الرواسي بعزمه   لأضحى كمثل السهل من بأسه الوعر
يذيب العِدا منه التوعد فهو لو   توعد صم الصخر لانصدع الصخر
ومع ذا له لفظ أرقّ من الصبا   فما الدر يحكي ما يقول ولا التبر
وإن فاه في علم البيان أراك ما   يقصر عنه الراح في الفعل والسحر
وما الروضة الغنا باكرها الحيا   سحيراً فحاكى الزهر في حسنها الزهر
فقل لِزبيدتِهْ على كل بلدة   محلاً كما تاهت بيوسفها مصر
أيا شرف الإسلام مدحى مقصرٌ   وإني له إحصاء ما لا له حصر
ودونكها عذراً في طي بردها   محجبة ما شانها الضم والهصر
أجل مناها أن تفوز بحظوة   لديك وهذا الفخر ما فوقه فخر
ودُم بحر جود للعفاة وللعدا   دواماً لهذا المدّ منك وذا الجزر

انتهى. وكانت وفاة صاحب الترجمة بالمعترض عن سبع وأربعين سنة. وهذا ما وقفت عليه من سيرته ولم أقف على كمالها ولا على سيرة عمه أبي طالب بن علي بن حيدر غير أنه كان مشهوراً بكمال الشجاعة والإقدام في الحروب والوقائع التي جرت لأخيه الشريف الحسين بن علي بن حيدر القائم بأعباء الولايات من طرف أخيه بِحُسن التدبير والسياسة ونشر العدل مع السيرة الحسنة والمجد والكرم الواسع. وقد امتدحه السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمٰن بن صايم الدهر[1] بقصائد فرائد من جملتها هذه القصيدة:

دمعي من البين لا ينفك ساجمه   وقادح الشوق في الأحشاء صارمه

---

(1) سبقت له ترجمة في الجزء الأول.

فمن لمن قذفت أيدي البعاد به … وخانه الصبر وانحلّت عزائمه
إن رام كتم الهوى شنت مدامعه … فأظهرت لجوى في القلب كائمه
يبيت من ذكر مَن حل الحمى كَلِفاً … ينوح شوقاً كما ناحت حمائمه
يرجو التلافي بهم والدهر يبعده … ولم يقل قد قضى بالجور حاكمه
ولم يجد في الورى عوناً لينقذه … سوى الشريف الذي جلت مكارمه
أعني أبا طالب الفذ الذي فضحت … سحائب القطر بالجدوى براجمه
ومن هو الأسد الضاري إذا شرعت … يوم الوغا السُمر واستلت صَوارمه
نجل الوصي أبي السبطين حيدرةٍ … من لم يكن في العلا شخص يزاحمه
بحر المكارم إنسان الزمان فما … ذاك الزمان ومن في الجود حاتمه
لقد غدا اليمن الميمون مبتهجاً … عن غيره وبه طابت معالمه
وقد زهى الدين من تمكينه طربا … فذاك بالعدل قد شيدت دعائمه
ينبيك عن عدله في الناس سيرته … وعن مناقبه تنبى تراجمه
لو اشتكى أحد جَوْر الزمان لَمَا … راعته في عمره يوماً مظالمه
أو جاءه زائراً يوماً فليس يرى … له نديماً سوى مجدٍ ينادمه
يا ماجداً في الورى قد طاب محتده … إليك نظماً قصير الباع ناظمه
فاقبله وافضل على مُنشيه محتسباً … فقد شكى من صروف الدهر صايمه
واسلم ودُم في سماء المجد مرتقياً … أوج المفاخر صافي العيش دائمه
ثم الصلاة على خير الورى حسباً … ما لاح برق وما شنّت غمائمه
والآل طرا مع التسليم ما رقصت … أغصان بانٍ وما غنت حمائمه

ولمّا توفي رثاه أيضاً بهذه القصيدة:

خلَت منك يا بدر المعالي منازل … وأقوت من المجد الأثيل منازل
وروض الندا أضحى لفقدك ذاويا … فلا غرو أن ناحَت عليه البلابل
وسَهّد جفنَ السيف حزن غدا لَه … ازدحام بصدر الرمح والحزن شاغل
فمن للمعالي والصوارم والقنا … فهن عليك اليوم حقاً ثواكل
لقد جل في الافاق رزء أخي العُلا … أبي طالب حتى اعترتها زَلازل
كريم أتاه الموت للروح سائلا … فأعطى وهل للروح في الناس باذل
وكان لجيد الدهر عقد محاسن … فها هو ذا من ذلك العقد عاطل
على مثله فليبك كل غضنفر … إذا ما التقت عند الهياج الجحافل
لقد كان للإسلام سيفاً مهنداً … يُصان به أوطانه والمعاقل
وحق بأن تبكي الصوارم بالدما … دواما على لَيث الوغَى والمناصل
بخلتَ به يا دهر عنّا ومن يكن … كمثل أخي العليا به الدهر باخل

هنيئاً لقبرٍ حلّ فيه لقد ثوى ... بتربته رأي وحزم ونائل
وقد سامت الأرض السماحين حلها ... وفاخرت الشهب العصي والجنادل
فيا أيها النائي عن العين إنني ... لفقدك مفقود العشاشة ذاهل
ابيت بهمٍّ ناصبٍ رَفَعِ الهنا ... وجرت لي الأحزان منه عوامل
رحلت عن الدنيا الدنيّة فابتهج ... فإنك في أعلا ذرى الخلد نازل
سقى الله ذاك الترب صيّب رحمةٍ ... ولا برحت تهمي عليه الهواطل
فيا شرف الإسلام صبراً لفقده ... يبلغك الرحمن ما أنت آمل
ولا زلتُم يا آل حيدر دولةً ... تُرد بكم عنّا الخطوب النوازل
وتُحمى بكم أقطارنا كل حادث ... وتزهو بكم أوطاننا والمحافل
ونختمها صلّى وسلّم ربّنا ... على المصطفى والآل ما الغصن مائل

ورثاه أيضاً بهذين البيتين وفي ذلك تورية لطيفة ولله دُرّه:

إن صار دمع العين من مقلتي ... شِعباً لفقد الصاحب الذاهب
فذاك دأبي في بني هاشم ... لكن ذا شِعب أبي طالب

وكل من الحسن بن محمد وعمّه أبي طالب بن علي يستحق ترجمةً واسعةً على انفراده، ولكن لبعد الزمن وعدم المُعْتَنِين بذلك اقتصرت على هذا القدر اليسير من ذلك البحر الغزير والله المستعان.

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكُتب والسِيرِ

وكانت وفاة أبي طالب بالحُديدة ودُفن بها وخلّف ولدين: الحسن ومحمداً، والحسن مقيم بِفَرَسان ولا أعرف سيرته لبعد الشقة، وأمّا الحسن بن علي بن حيدر فلم أعرف سيرته وله ولد اسمه يحيى.

الشريف محمد بن حيدر بن محمد وإخوانه، وأولادهم:

وَصْل: وأمّا محمد بن حيدر بن محمد بن أحمد واخوانه يحيى وأحمد والحسن فلم أقف على ترجمة مستقلة لواحدٍ منهم بل انهم ـ على الجملة ـ سادات الناس وسراتهم فضلاً وشجاعة وإقداماً وعزماً وحزماً وأدباً وجُوداً وكرماً واستقامة وصدقاً وعفافاً وحلماً واحتمالاً وعدلاً، فهم قد حازوا جميع صفات الكمال، وامتطوا صهوة المجد وبلغوا أعلا مبالغ الرجال، بهمم جاوزت قمة الجوزاء عالية، وصدق لهجة فوق السماكين ظاهرة سامية.

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم ... شُم الأنوف من الطراز الأول

وقد طرّز القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش مؤلفه «ذيل نفح العود»

بعصائبهم العصرة وحُسن سيرتهم الزاهرة إذ كانوا لمملكة عمهم الشريف حمود بن محمد الأماضين العامرة بحُسن التدبير والسياسة والتقدم في مهمات الأمور والرئاسة، ومن حسنة ما ذكره القاضي حسن في المؤلّف المذكور ـ عند ذكر وفاة محمد بن حيدر ـ قوله: وفي الشهر المحرم من سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف توفي الشريف الكريم، حسنة الأقليم، سيد الطالبين في الخلق والخُلْق، وبدر (١) الذي يستضيء به أهل كل أفق، وأحَد الكرام، رئيس الشِيَم الفخام، زعيم القادة الأشراف، وأجَلّ من امتطى صهوات العِتَاق في عصره من ولد عبد مناف أبو أحمد الشريف محمد بن حيدر بن محمد الحسني.

رضوى إذا طاشت حلو أولي النُهى   وهـو الهَـزَبـر إذا تشـاجـرت القنـا

وكان سبب موته مرض البُحْرَان، وكان موته في الْبَيْضُ القرية التي اختطها جدّه الشريف محمد بن أحمد بأعلا جازان من أعمال أبي عريش وبينها وبين أبـي عريش نحو الفرسخين تزيد قليلاً، وحُمِلَ على أعناق الرجال من الْبَيْضُ إلى أبـي عريش ودُفن في مقبرة الأشْرَاف في الديرة رحمه الله وبرد مضجعه، وقد استوفيت ترجمته وفضائله في وفيات أعيان القرن الثالث عشر. انتهى.

الشريف أحمد بن يحيى صاحب القُفل:

ولهم ذُرِّيَّة مباركة، فمن ذُرِّيَّة محمد بن حيدر: يحيى، ويحيـى له اثنان: محمد وأحمد، فأمّا محمد فله حيدر، لحيدر محمد، وأمّا أحمد ـ وهو صاحب الحصن الكائن في أعلا بلاد الزعلية المُسمّى بالقُفل ـ فكان مولده رحمه الله عام سبعة وثلاثين بعد المائتين والألف بأبـي عريش، ونشأ بها على أحسن الأحوال، وكان ذا شجاعة وإقدام وتولّى مع الشريف الحسين بن علي في بيت الفقيه ابن عجيل وغيرها، وفي آخر الأمر ما زال متولياً ببيت الفقيه حتى انقضت دولة الأشراف ثم رجع إلى بلده وأقام بحصنه المذكور على خير من ربه مَع حُسْن الاستقامة والتواضع وحُسن الأخلاق، ذا دِين رصين وسكينة وتؤدة ووقَار، متحلياً من الآداب النافعة والفضائل الجامعة بما هو له أهل، وكان يحفظ من جيِّد الشعر كثيراً، حسَنَ المحاضرة، سريع الاستحضار، وما زال على الحال المَرْضي حتى توفاه الله في عام أحد عشر بعد الألف وثلاثمائة، ولم أقف على كمال سيرته. وله من الولد ستة عشر ولداً لم أعرف منهم غير محمد وناصر وكلهم ماتوا ولم يُعَقِّبوا غير محمد فإنه ـ عافاه الله ـ موجود الآن وله عَقِب سيأتي ذكرهم، وقد عرفته ولقيته مرات عديدة وبيني وبينه مودة كاملة، فرأيته متحلياً بالأدب يحفظ من جيِّد الأشعار كثيراً وله مسكة من علم البديع، حَسَن

---

(١) بياض بالأصل.

الاستحضار والمحاضرة، ومن لقيَهُ من أهل الفضل ذاكره وأخذ عنه، وله من حُسْن الخُلق والقرب ولُطف الشمائل ما يجلّ عن الوصف مع حُسن الاستقامة والديانة، وهو موجود الآن على خير من ربه[١] وله من الولد أربعة: ناصر وعلي وحيدر وأبو طالب عافاهم الله وبارك فيهم آمين.

فَرْع: وأمّا ناصر بن أحمد بن يحيى فقد عرفته أيضاً فرأيته ذا أخلاق لطيفة وهِمَم عالية شريفة، أديباً حافظاً لكثير من الأشعار ولا سيما المناسبة للمقام فإنه يورد كل شاهد في محله مع أخلاق أرق من النسيم وألطف من الصبا وأحلى من شراب النسيم، وله الحظ الوافر من حُسن الاستقامة، وقد حجّ إلى بيت الله الحرام في آخر عمره وبَعْد قُفوله من الحج أراد الله له الدار الآخرة عقب ذلك؛ فكان حجاً مبروراً، لأنهم فسَّروا الحج المبرور بأنه هو الذي لا يعقبه ذنب رحمه الله تعالى، ولم يعقب.

وَصْل: ومن ذُرِّية يحيى بن حيدر: ولده حسين بن يحيى، ولحسين من الولد أربعة: ناصر ومحمد وحسن ومنصور وهم سُكّان بجيلة موضع بأعلا الوادي مَوْر يُسَمَّى «بجيلة يحيى» به حصن عامر يسكنه المذكورون، ولعل والدهم يحيى هو الذي بناه فَنُسِب إليه[٢]. ولم أعرف أحداً منهم غير ناصر فقد عرفته فرأيته رجلاً صالحاً صاحب ديانة وسكينة وتؤدة ووقار وأخلاق حسنة وسيرة مُستحسنة وتواضع، وهو الآن موجود على الحال المَرْضي. وله من الولد أربعة: محمد وأحمد وحمود ومنصور، عافاهم الله تعالى.

وَصْل: ومن ذُرِّيَّة أحمد بن حيدر بن محمد: أبو طالب سكن مدينة أبي عريش وله ولد اسمه علي، ولعلي محمد سكن الحَمَى[٣].

وَصْل: وأمّا الحسن بن حيدر بن محمد فهو جدّ آل الحسن الساكنين بالمعترض وله أولاد لم أعرفهم.

وهذا آخر ما يسّره الله من الكلام على سيرة ساداتنا الأشْراف آل حَيْدر بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات بقدر الطاقة والإمكان وإلا فكل واحدٍ منهم يستحق ترجمةً بسيطة مستقلّة نفعنا الله بهم آمين.

---

(١) جاء في هامش الأصل: وقد كاتبته بقصيدة امتدحته بها فأجاب عليّ بأخرى بليغة لطيفة عافاه الله.

(٢) بجيلة: قرية كبيرة في شرقي مدينة الزُهرة ومن أعمالها. وقد عُرفت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة بجيلة أحد بطون مَذْحِج من بني سعد العشيرة، ولعل يحيى بن حيدر هو باني الحصن الذي سكنه حفدته وهو ما أشار إليه المؤلف.

(٣) الحِمىٰ: من قرى ضمد، بمقاطعة جازان.

سادة نبدوا لمعانيهم وساموا ... بالعوالي والمرهفات النّاسا

منكبو فتك حدهم وأبيهم ... فأزالوا عن العباد البأسا

الشريف حمود بن محمد بن أحمد:

ثم بعد موت الشريف حيدر بن محمد بن أحمد بقي الأمر بيد رجع وتعطلف من طرف أئمة صنعاء، فتارةً يجتمع أمرهم ورأيهم على تقديم أحوانه وبني أحوانه من طرف أئمة صنعاء، فتارةً يجتمع أمرهم ورأيهم على تقديم أحدهم وتارة يختلف ويحصل بينهم قتال ونزاع إلى أن كان آخر ذلك بين الشريف علي بن حيدر وبين عمه الشريف حمود بن محمد، وكان الأمر حينئذ بيد الشريف علي بن حيدر فقام عليه عمه الشريف حمود بن محمد ينازعه في الأمر، وطال النزاع بينهما حتى طمع في الأمر أهل الشام ونَجْد ودَخلوا البلاد العريشية وما والاها وهمّوا بالغزو إلى اليمن فلم يتم لهم الأمر فعادوا إلى نَجْد، واختلط أمر الناس في تلك المدة ثم أنه حصل الصلح في أثناء المدة بين الشريف علي بن حيدر وبين عمّه الشريف حمود بن محمد، واستقر الأمر والولاية للشريف حمود كما حقق ذلك القاضي العلامة حسن بن أحمد عاكش في «ذيل نفح العود» وعبارته ـ بعد أن ساق ما وقع ـ لفظها: وفي أثناء هذه الفتلة حصل الصلح بين الشريف حمود والشريف علي بن حيدر على أن يتنحّى الشريف علي عن الإمارة والولاية ويتقلّدها ليث الغابة ومن هو في الراية عرابه، فقام بالأمر أتم قيام، ورفع الأشراف والقضاة في ذلك الوقت إلى الإمام وأخبروه باختيار حمود للقيام، فعاد منه الجواب بالإمداد بمرسوم الولاية والحصان والكسوة على وفق المراد، وأطاعه جميع الأشراف ولم يبق من أحد إليه خلاف. انتهى. ثم بعد استقرار الأمر للشريف ما شعر إلا وقد أقبل عبد الوهاب بن عامر ـ أمير السّراة ـ من طرف صاحب الدرعيّة عبد العزيز بن سعود بجيشٍ كالسيل الجرّار، فخرج إليهم الشريف حمود بمن معه من الجيش وهُمْ قليلٍ بالنسبة إلى جيش عبد الوهاب وجعل على الخيّالة علي بن حيدر، فوَقَعت معركةً عظيمةً سالت منها الدماء من الطرفين في أمور يطول شرحها وكانت الغَلَبة لعبد الوهاب؛ قال القاضي العلامة حسن بن أحمد عاكش في الذَّيْل: وكانت الوقعة يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف وانحاز مَنْ نجا مِنْ أهل أبي عريش إلى دَيرة الأشراف، والشريف حمود في هذا اليوم قاتل قتال من يطلب الموت، ويتمنى الذهاب والفوت، فإنه لمّا انهزم قومه كان يركض بجواده في الأزقة ويحمل على صفوف أهل السّراة حتى يخرج من عرض الصف يطعن بالرمح ويضرب بالسيف حتى تفصدت بكفه كم قناة؛ وفلّ بيده كم من سيف لمّا كلّ

شباه[1]. وأخبرني من أثق بخبره عنه أنه قال: ما مضى عليّ يوم الموت أحبّ فيه من الحياة كيوم الجمعة - يعني به هذا اليوم المشهور - وزاد: يقيني بالله بكثرة تعرضي للرصاص ودخولي بين الصفوف لا أطلب إلاّ الموت فلم يصبني شيء قط. اهـ. ثم أنّ الشريف حمود لمّا خشي من امتداد يد الأجناد الوهّابية إليه، مع قلّة الجيش الذي لديه، بسبب ما أصابهم من القتل جنح إلى المسالمة والدخول على عبد الوهاب بن عامر أمير جيش السّراة وذلك بظاهره دون الباطن.

ولـو لـم يكـن إلاّ الأسِنّـة مـركبـاً فـلا رأي للمضطـر إلاّ ركـوبهـا

ثم بعد دخوله عليه استدعى عبد الوهاب بالأشراف من أهل الحل والعقد فعقد الإمارة للشريف حمود بحضورهم واشترط عليه شروطاً من جملتها أنه يباين إمام صنعاء ويحاربه إذا قصده بالحرب فما وسعه إلاّ الامتثال، وفي خلال ذلك أرسل إلى الخليفة المنصور السيّد العلاّمة الحسن بن خالد الحازمي - الآتية ترجمته إن شاء الله تعالى - والشريف يحيى بن علي فارس بن محمد بن أحمد بخطوط تتضمن حكاية الواقع وما آل إليه الأمر ويستحثه على إرسال الجيوش لمناجزة عبد الوهاب، فوصلا إلى الإمام ومَكَثا لديه نحو ستة أشهر ولم تظهر نتيجة، وكان في نفس الشريف أنه إن وصلت الأجناد من طرف الإمام ناجز أهل الشام وإلاّ فقد عقدت له الإمارة من طرفهم، ثم بعد عَقد الإمارة للشريف ارتحل عبد الوهاب وسار بجيشه حتى بلغ السّراة، فحينئذٍ قام الشريف بالأمر في البلاد وأنفذ العمال من طرفه إلي البلدان ومن جُملتهم الشريف علي بن حيدر أرسله إلى اليمن فملك مَوْر واللحيّة والزيدية والحُديدة وبيت الفقيه ابن عُجَيْل وما والاها.

ثم أنّ الشريف حمود أرسل الشريف حسن بن خالد والشريف منصور بن ناصر بن محمد - صاحب صَبْيَا وبيش - والشريف أحمد بن حيدر بن محمد إلى صاحب نَجْد سعود بن عبد العزيز - وكان أبوه عبد العزيز في ذلك الوقت قد توفى - يطلب منه أموراً من جملتها أنه يكون اعتزاؤه إليه بدون واسطة عبد الواهب - صاحب السّراة - فأجابه إلى ذلك وكَتَب سعود إلى عبد الوهاب بذلك، فحينئذٍ استقلّ الشريف حمود بالمُلْك في اليمن ولكنه لم يَسْلَم من الحروب والوقائع العظيمة وفي غالبها تكون له النصر والغَلَبَة، ولم يزل حتى تَملّك بلاد اليمن من أبي عريش إلى حَيْس. هذا حاصل ما ذكره القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش في حروب يطول ذكرها وأمور يجلّ شرحها وحصرها، وقد ألمّ ببعضها القاضي العلاّمة المجتهد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني لمّا ترجم له في «البدر الطالع» فقال ما لفظه:

---

(1) الشبا: الحد.

الشريف حمود بن محمد الحسني صاحب أبي عريش، ولد بعد سنة ١١٦٠ تقريباً ثم استقل بولاية أبي عريش وسائر الولاية الراجعة إلى أبي عريش كَصَبْيَا وضَمَد والمخلاف السليماني، وكان متولياً لذلك من طريق مولانا الإمام المنصور رحمه الله.

ثم حدث ما حدث من قيام صاحب نجد واستيلائه على البلاد التي بينه وبين بلاد أبي عريش فأمر عبد الوهاب بن عامر العسيري - المعروف بأبي نقطة - بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود، فتقدّم في نحو عشرين ألفاً والشريف حمود استقر في أبي عريش لِقِلة جيشه فتقدم عليه أبو نقطة إلى أبي عريش فدخلها في شهر رمضان سنة ١٢١٧ وقُتِلَ من الفريقين فوق الألف ثم استسلم الشريف حمود ودخلَ في العدوة النجدية، ثم خَرَجَ على البلاد الإمامية فاستولى على بندر اللُّحيّة وعلى بندر الحُديدة وعلى زَبِيد وحَيْس وما يرجع إلى هذه الولايات واختط مدينة الزهراء وصار ملكاً مستقلاً، ثم فَسَد ما بينه وبين النجدي فأَمَر أبا نقطة - المذكور - أن يغزوه، فغزاه والتقيا بأطراف البلاد فقُتِلَ أبو نقطة وانهزم جيش الشريف وقُتِلَ منهم نحو الألفين، وكان جيشه من يام وبكيل وقبائل تهامة زهاء سبعة عشر ألفاً، وكان جيش أبي نقطة - كما قيل - نحو مائة ألف لأنه أمده النجدي بجماعةٍ من أمرائه كابن شكبان والمضايفي، ثم أنّ جيش صاحب نَجْد - بَعْد قتل أبي نقطة وهزيمة الشريف - تقدّموا على أبي عريش وجَرَت بينهم ملاحم كبيرة وانحصر الشريف في أبي عريش وشحن سائر بلاد أبي عريش بالمقاتلة، ثم رجع سائر الأمراء النجدية وبقي بقية من الجيش في بلاد أبي عريش والحرب بينهم سجال. وكان هذا الحرب الذي قُتِلَ فيه أبو نقطة في سنة ١٢٢٤. وبالجملة فصاحب الترجمة من الأبطال وقد جرت بينه وبين الأجناد الإمامية - عند استيلائه على البلاد التي قَدّمنا ذكرها - ملاحم عظيمة لا يتسع لها المقام. وفي سنة ١٢٢٤ وَقَع الصلح بينه وبين مولانا الإمام المتوكل على الله قَبِل دعوته وكان ذلك بإطلاعي، وحاصله أن يثبت الشريف على ما قد صار تحت يده من البلاد، ثم بعد هذا انتقض الصلح بينه وبين مولانا الإمام المتوكل ولم يزل الحرب ثائراً بينه وبين الإمام إلى هذا التاريخ وهو سنة ١٢٢٩ وهو مستمر على الانتماء إلى صاحب نَجْد، ثم مات في سنة ١٢٣٣ انتهى.

ثم بعد موته واستيلاء ولده الشريف أحمد بن حمود على ما كانت عليه يد والده من البلاد اليمنية، خرجت الجنود التركية إلى اليمن بأسباب ذَكَر بعضها الإمام الشوكاني في «البدر الطالع» في ترجمة يوسف آغا الرومي، وذكر البعض الآخر القاضي العلامة حسن بن أحمد عاكش في «ذيل نفح العود» وسأسوق بعض ترجمة يوسف لتضمنها ما ذُكر، فأقول أنه قال ما لفظه: وقد وصل الباشا خليل إلى اليمن

لحرب الأشراف واستولى على المملكة التي كانت بيد الشريف حمود وهي بلاد العريشية وما أخذ حمود من البلاد الإمامية وولده أحمد وذلك اللُحيّة والحُديدة وزبيد وبيت الفقيه والزيدية باعانة أصحاب النجدي له. هذه المحلات فإنها ثَبتت عليها يد الشريف حمود وحيس وما هو داخل في مخلافها تاريخه المتقدم، ثم ثَبت عليها ولده أحمد مقدار سنة من سنة ١٢١٧ إلى أن مات في الباشا خليل وانتزعت البلاد من يده من غير ضَرْبَه ولا طعنة. فوصلت الجنود التركية مع ذلك وصل من عنده كتاب على أيدي رُسُل من الترك وفي طيه كتاب من الباشا الكبير باشا مصر محمد علي - وهو المُرسِلُ للباشا خليل إلى اليمن - ولما ثبتت يد الباشا على محمد علي أنه قد جهّز الجنود إلى الأشراف لانتزاع البلاد من تحت أيديهم وفيه الموعد بإرجاع البلاد إلى مولانا الإمام، وكان تاريخ الكتاب قبل استيلاء الجُند عليها، ومضمون كتاب الباشا خليل: الطَلب بوصول رجل مهم من بعثة من إلى عنده ممن يركن عليه ليقع الخوض معه شفاها، فبعث الإمام من جهة الإمام العلاّمة محمد بن أحمد الحرازي بعد المشاورة بيني وبينه في ذلك فنفذ الولد القاضي ونَفَذ صُحْبته جماعةٌ واستقرّ هنالك نحو أسبوع، ثم رجع ومعه جماعة من الأتراك منه صاحب الترجمة - وهو الأمير عليهم - فوصل إلى الحضرة الإمامية ثم وصل إلي فوجدته رجلاً في أعلا درجات الكمال من كل وجه بحيث لا يوجد نظيره في رجال العرب إلا نادراً، وكان حاصل ما وصل به عَبّر عنه بلسانه وما هو مضمون كتاب الباشا أنها تعود تلك البلاد إلى الإمام على شريطة وهي تسليم ما كان عليها فيما مضى، ولم يكن عليها فيما مضى شيء ولكن بعض تجار اليمن الذين يرتحلون إلى مصر كذَب على الباشا محمد علي أنه كان عليها مرجوع إلى السلطنة، فوقع التصميم من الباشا خليل ومن رسوله هذا على أن لا بد من ذلك فأوضحت لهم أنه لم يكن عليها شيء منذ انتزعها أولاد الإمام القاسم إلى الآن زيادة على مئتي سنة. وفي خلال ذلك وصل كتاب من الباشا خليل أنه يقع مقدار من البن في كل عام وهو شيء يسير يصير إلى مطبخ السلطان ويقع تسليم شيء من النقد في حُكم تعيش للجنود الرومية المُنتَزِعة للبلاد من يد الأشراف، فوقعت المساعدة إلى ذلك لكونهم قد بدأونا بالإحسان وتبرّعوا بالجميل، ولم يُصَدّق الناس ذلك ولا خَطَرَ ببال أحدهم صحته وعدوّه مكراً وخداعاً وناصحوني بالرسائل من الجهات البعيدة فضلاً عن الجهات القريبة بما حاصله أن الركون إلى هذا لا يقع من عاقل ولا يدخل فيه من له فطنة، وحذّروني من ذلك غاية التحذير فكنت أُجيب عليهم أن هؤلاء عرضوا علينا المُسالمة والمصالحة ابتداءً فليس لنا أن نردّ ما عرضوه علينا بدون بدء ولا منه سبحانه يقول: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾. ومع هذا فقد أعتقد الخاص والعام

والكبير والصغير أنهم سيطأون جميع البلاد اليمنية بأيسر عمل لأن القلوب قد ارتجفت بعد استيلائهم على صاحب نجد وهو صاحب الجيوش الكثيرة والأموال المتضاعفة حسبما قدمنا في ترجمته، ثم أخذوا ما بيد الأشراف صفواً عفواً. وبهذا السبب كانت جنود اليمن متفاسلة من جميع القبائل متخاذلة مرتجفة بحيث لم يبق همّهم إلاّ بأنفسهم وحريمهم، وكانوا يبذلون الجهاد كذباً وافتراءً فإنها لو خرجت الأتراك على بقية البلاد لم تنشر لهم راية ولا اجتمع لهم جيش بل كان كل قبيلة ستلزم محلها فإذا قرب الأتراك منهم هربوا من أوطانهم كما هرب المتابعون للنجدي من طوائف العرب وهم غالب أهل جزيرة العرب، فأتىٰ الله بأمر لم يكن في حساب وجرت من الألطاف ما لم تقبله العقول. ثم عاد الآغا يوسف ـ صاحب الترجمة ومعه الولد محمد بن أحمد إلى تلك الجهات، ونَفَذ عُمّال الإمام إليها مع كل واحد طائفة من الجُند فخرج مَن في تلك المحلات من الأتراك ودَخلت إليها عُمّال الإمام ورتّبوها من جنود الإمام وتم الأمر بمعونة الرّب سبحانه، وإذا أراد اللّهُ أمراً هيأ أسبابه، وجَعَلَ مولانا الإمام الوالي في البلاد العريشية الشريف علي بن حيدر على حسب القاعدة المستمرة أنّه يتولى تلك البلاد شريف من الأشراف من جهة الأئمة، وعليهم في كل عام شيء يرسلونه إلى الأئمة، وكان من أعظم أسباب تولية الشريف علي بن حيدر أنها وَصَلت إلى مولانا الإمام شفاعةٌ له من الباشا خليل بأن يولّيه الإمام البلاد العريشية كما كان عليه أسلافه مع أسلاف الإمام وعليه ما عليهم، فوَقَت المساعدة إلى ذلك ونَفَذ له عهد الولاية والكسوة والمركوب، وارتحل الباشا خليل وسائر من معه من جنود الروم على البلاد العريشية لمناجزة البلاد العسيرية لأنهم كانوا تابعين للأشْرَاف. وأما الشريف أحمد بن حمود فأدخلوه إلى باشا مصر ولعله يُدخِلهُ إلى السلطان، وهكذا دخلوا جماعة من الأشراف ممن كان من المقربين عند حمود وولده وكان المتكلم في دولة حمود وولده: **الشريف حسن بن خالد الحازمي** وكان من أهل العلم، فكان يتوقف الشريف حمود وولده من بعده في الأمور الشرعية بل وفي جميع الأمور الدولية عليه ولا يُرَدّ له قول، وكان يجمع الجيوش ويغزو بهم إلى الأطراف المجاورة للبلاد التي كانت بيد الأشْرَاف، وكان هو السبب في تفريق كلمة الأشراف وإدخال الشحناء بينهم، وكان ذلك سبباً لفرار الشريف علي بن حيدر إلى الباشا بمكة واستجارته بالأتراك وبقائه لديهم نحو خمس سنين. وكان هذا أحد الأسباب في خروج الأتراك إلى اليمن، والسبب الآخر أن الشريف حسن بن خالد الحازمي جَمع طائفةً من قبائل عسير وغزا بهم إلى قريب الطائف، فارتجف مِنْ ذلك مَنْ في مكة مِنْ الأشراف، هذا وقد كانوا استولوا على النجدي وعلي بلاده وأدخلوه الروم فأعجب من طيش الشريف حسن بن خالد فإنه تسبّب أولاً وثانياً إلى هذه

النازلة التي نزّلت بالأشراف، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكان الشريف حسن بن خالد عند وصول الترك إلى البلاد العريشية في بلاد عسير فتقدم عليه طائفة وجَرت هنالك حروب آخرها قتل الشريف حسن بن خالد، ولله الأمر من قبل ومن بعد. انتهى.

وأمّا السبب الذي ذكره القاضي حسن عاكش في خروج الأجناد التركية إلى اليمن فهو ما تضمّنه قوله في «الذيل»: وفي هذه المدة وقع التجرم على الشريف من الأشراف، ورأوا أنه لم يعاملهم في سيرته بالإنصاف، ولله در القائل:

ولـم تـزل قِلّـة الإنصـاف قـاطعـة　　　بيـن الـرجـال ولـو كـانـوا ذوي رحـم

وعاملهم بما ليسوا له أهلا من الإبعاد، واستمرت الوحشة بينه وبينهم الناشئة عن مكائد الحُسّاد، وهكذا الدهر ممزوجٌ بالأنكاد.

ومـن تفكّـر فـي الـدنيـا ومهجتـه　　　أقَـامـهُ الفكـر بيـن العجـز والتعـب

لا سيما مثل الشريف البطل الهزبر علي بن حيدر وأخيه الماجد الشريف يحيى بن حيدر وابن عمهما الشريف منصور بن ناصر، مع أن هؤلاء ذروة تاج المجد الباذخ، وعصابة دائبة بها مسير الفخر الشامخ، لا غرو فهم فرع تلك الدوحة الحسنية، وشعاع متصل بتلك الهالة الهاشميّة.

من الأولي غير زجر الخيل ما عرفوا　　　إذ يعـرف العـرب زجـر الشـاء والعكـر
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم　　　بعـد الممـات جمـال الكُتـب والسيـر

خصوصاً الشريف علي بن حيدر فهو من أطعم الآساد، وأروى الصعاد، إذا دهمهم سألت الأُسد عن طريقه، وإذا غضب خلع هياكل الطاعة من عنقه.

وصـولٌ إلـى المستصعبـات بـرأيـه　　　فلـو كـان قـرن الشمـس مـاءً لأوْرَدهُ

وله العناية التّامة بالشّريف أيام مناجزته أهل نَجْد، وكان أحد أركان المملكة التي وقع له فيها الحل والعقد، وما زالوا منكرين للجَفا، وهم منه في جميع حالاتهم على شفا، حتى دَخلت سنة ثلاثين بعد الألف والمائتين فأوْدَع الشريف حمود بن أخيه الشريف يحيى بن حيدر دار الإعتقال بمدينة الزهراء آخر يوم من شعبان، فخرَج الشريف علي بن حيدر وفي صحبته الشريف منصور وغيرهم من أولادهم ومن لاذ بهم من الأشرَاف أرباب الكمال مُتَلَهّبين الأنفاس، مُخاطبين نفوسهم بقول أبي فراس:

ومـن كـان غيـر السيـف كـافـل رزقـه　　　فللـذل منـه لا محـالـة جـانـب

فتوجّهوا نحو الشام من أبي عريش بخواطر مكلومة، وقلوب مسمومة، لِمَا

خيرهم من شريف، وكانوا حقيقين بالتكريم والتشريف، وانشد لسان حالهم بقول القائل:

لا تحسبن ذهاب نفسك موتها ... ما الموت إلا أن تعيش مذللا

ورق نكس كنبيف نعمل فإن من ... متنيه ما أخفى القراب واجملا

وكان منتهى سيرهم إلى مكة المُشرّفة واتفقوا هناك بالقائم بتلك الجهة وهو حسن باشا، وهو كما بلغ رجل كامل العقل ذو رأي وتدبير وخبرة تامة بأمور الدولة العثمانية، فتلقاهم بأحسن القبول بعد أن بثوا عليه شكواهم، وطلبوا منه النصرة لِمَا هم بصدده لأجل يبلغون غاية المأمول، فأسعفهم بالمطلوب وبذل لهم من النفائس كل مرغوب، وحسّن لهم الإقامة عنده أو يختارون موضعاً يكون لهم فيه الإقامة والثوى، بينما تخرج الأجناد السلطانية المتأخرة لأهل الدرعية الموجّهة من طريق مخدومه الباشا محمد علي صاحب مصر، وكانت تلك المدة قد توجّهت الأتراك لمحاربتهم وقد صار نجم أهل الدرعيّة في سقوط، وشامخ عِزّهم إلى هبوط، فاختاروا أن يكون في حلي بن يعقوب النزول، وتوجّهوا من عنده مجبوري الخواطر منشرحي الصدور بعد أن قرّر لهم الأموال من طريق عامل القنفذة ما يقوم بكفايتهم وكفاية أتباعهم فطاب لهم الحال وألقوا عن عواتقهم عصي الترحال، وانتظروا ذلك الموعد الذي وقع به بلوغ الآمال. انتهى.

فهذه جملة الأسباب في خروج الترك إلى اليمن، وكان خروجهم بعد أن مكث الشريف علي بن حيدر لديهم نحو خمس سنين كما ذكره الإمام الشوكاني في ترجمة يوسف آغا الرومي. ولنرجع إلى ما كان عليه الشريف حمود آخر المدة تتميماً للفائدة. قال القاضي حسن في «الذيل»: وفي سنة سبع وعشرين بعد المائتين والألف كان اختطاط الشريف لأرض «مختاره»[1] في وادي مَوْر وبنى قلعة مشيدة الأركان على ذلك الجبل وهو الذي سمّاها بهذا الاسم واختار سكناها على سائر بلاده مدة من الزمان، وجعل لها ضربية يتعامل بها الناس وقد كان يتعامل الناس بضربية له عليها رسم أبي عريش وهذا الشريف حمود هو أول من جعل من أهل هذا البيت ضربية يتعامل بها الناس في مملكته، وغيره ممن سلف من أهل بيته لا يتعامل الناس في بلادهم إلا بضربية إمام صنعاء لأنه أول من استقل بمملكة هذه الجهات وغيره ممن سَلَف مملكته مُستفادة من أئمة صنعاء، وجعل أيضاً ضربيةً باسم الزهراء، ولم يزل يقع التعامل بتلك الضربية مدة ثم يجعل غيرها كما هي عادة الملوك في كل زمان ومكان، وجعلَ ولده الشريف أحمد ضربيةً باسم زَبيد أيام عمالتها بها بإذن والده

(١) مختاره: بلدة في جنوب شرق الزهرة، تسكنها قبائل الواعظات.

وجرى التعامل بها في جميع ممالك والده. انتهى

ثم قال: وكان خاتمة الأمر واقعة مختارة وهي في سنة ١٢٢٩ تسعة وعشرين بعد المائتين والألف، وكان من خبرها أن المتوكل جهز جيشاً جراراً من بكيل لمّا بلغه استقرار الشريف بمختاره، ولمّا سمع الشريف بقدوم ذلك الجيش وفيهم الأسود الضّارية من همدان الذين هم صناديد الصدام عند الحرب العوان ما لم يزل بجمع الجنود ويستلحق القبائل من كل مكان وعنده أبطال الأشراف صفوة الصفوة من آل عبد مناف.

قومٌ إذا اقتحموا العجاج رأيتهم شمساً وخِلْت وجوههم اقمارا
وإذا زِناد الحرب أخمد نارها قدحوا بأطراف الأسنّة نارا

وحين بلغه أنهم طرحوا بالمحلات القريبة منه وكان حِسْبانه أنهم لا يستعجلون بالسير، فلم يشعر إلاّ بصوت البنادق فَخَرج في الجيش لها أساليب، يرجف بها قلب شبيب. لا جَرَم، قائدهم داهية في سربال، وقارعة تقوم بها قتامه الأبطال.

أسَد دمُ الأسَد الهزبر خضابُه موت فريصُ الموت منه ترعد

وانقسم أهل الخيل قِسْمِن تقدم فيهم الأسد الهصور والبطل المشهور الشريف علي بن حيدر، وطائفة مع السيد المقدام الغضنفر الذي لا يهاب الحِمام العلاّمة الحسن بن خالد، والشريف في باقي الأجناد، فتقابل الفئتان، وتخالفت بالطعن والضرب الشجعان، وما زالت سعير الحرب حامية وأحوال الفريقين متكافئة إلى أن جادت صولة أصحاب الشريف في ذلك المقام، وخفقت له بريح النصر الأعلام، وأثخن أصحاب الإمام في أصحاب الشريف جراحات، وجُرِحَ هو بنفسه وأُصيب كبار الأشراف بجراحات مآلها السلامة كالشريف علي بن حيدر والشريف حسن بن خالد والشريف حسن بن بشير وغيرهم ولله در القائل:

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وعُقِرَت نحو الأربعين من خيل أصحاب الشريف لأن جُنْد الإمام غالبهم من بكيل وهم أثبَت همدان ولا يكاد رميهم يُخطىء لِمَا هُمْ عليه من ثبات الجنان، وَوَقع في عسكر الإمام عدة مقاتيل من أصحاب الشريف الخيّالة طعناً بالرماح، وضرباً بالصفاح، وقُتِلَ في تلك المعركة السيد الماجد محمد بن خالد الحازمي أخو الشريف حسن بن خالد، وغيره من سائر الأجناد.

نحن بنو الموت فما بالنا نعافُ ما لا بد من شربه

وتراجع بعد ذلك الفئة الإمامية إلى مطرحهم وقد أرخصوا الدما، وحين رأى

الشريف أن شوكة تلك الفئة قوية وأنه ربما يحصل منهم مع معاودة الحرب لشدة بأسهم الأذية، جنح إلى رأي محفوف بالسداد وفيه بلوغ المراد عملاً بقول أبي الطيب:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران

فدسّ عليهم في جنح الليل من يوصل إليهم البراطيل التي كم انتفع بها من عليل، وانتفعَ بها كم من غليل، فلبثوا بعد ذلك جملة من الأيام وقوّضوا من مطرحهم الخيام وأضربوا عمّا توجهوا إليه من جهة الإمام والسلام، وكان ذلك فرجة للشريف، ساعده عليها الحظ المنيف. انتهى.

ثم ساق وقايع وحروباً وقعت للشريف إلى أن قال: وكانت وفاته في هذا العام أي عام ١٢٣٣ ثلاثة وثلاثين بعد المائتين يوم الإثنين رابع عشر شهر ربيع الأول، ودُفن في بقعة من بلاد بني مالك من السَراة تسمّى الملاحة - بميم مفتوحة ولام بعدها ألف وحاء مهملة وهاء تأنيث - وكان موته رِزءاً في الإسلام، وخطباً فادحاً انقصمت له ظهور الأنام، لا سيما على من كان من أعوانه كالسيد العلامة الحسن بن خالد فإنه عَظُم عليه الأمر لانفتاح الفتنة بينه وبين الأتراك، وَهُمْ قد خَلِيَ لهم الوجه من الأشغال فما لهم تَوجُّه إلى غير اليمن. وأمّا الأشراف فغالبهم وقع معه السرور بمصرعه لأنه لم يعاملهم بالرفق ولم يغتفر لهم الزلّة في أدنى مخالفة، وأوْدع بعضهم الحُبوس، وعزّر بعضهم، ومع هذا فهم في غايةٍ من التوسع في الأحوال لأنه يبذل لهم الأموال وقائم بكفايتهم وكفاية من يَعُوْلُون من غير اختلال، وما علموا بما سيقع عليهم من الحوادث في الاستقبال ومن تَقَاصُر الأحوال وانقباض أيديهم عن أكثر الأعمال فشَاهِدُ الحال:

رُبَّ يـوم بكيـتُ منـه فلمّـا ... صـرت فـي غيـره بكيـتُ عليـهِ

ولقد مضى الشريف من هذا العالم الدنيوي وهو في غاية الجلالة والكمال، لم يلحقه ضَيْم، وما عاداه أحد إلاّ ظفر به وأوْرَدَهُ موارد الغربال ولسان حال اللّيالي تنشده:

وبكـل أرضٍ جنـةٌ مـن عـدلـه الـ ... ـصافـي أسال نـداهُ فيهـا كـوثـرا

عدلٌ يبيت الذئب فيه على الطَوى ... غَـرْثـان وهـو يـرى الغـزال الأعفـرا

سيـف صقـال المجـد أخْلـص متنـه ... وأبـان طِيْـب الأصـل فيـهِ الجَـوهـرا

مـا مـدحـهُ بـالمستعـار لـه ولا ... آيـات سـؤدده حـديـثٍ يُفْتَـرا

بيـن الملـوك الغـابـريـن وبينـه ... فـي الفضـل مـا بيـن الثـريـا والثـرا

نَسَخت خلائقه الحميد ما أتى ... في الكُتْب عن كِسرى الملوك وقيصرا
مَلِكٌ إذا خفيت حلوم ذوي النُهى ... في الروع زاد رصانة وتوقرا
نبتُ الجنان يخاف من وَثَباتِه[1] ... وثباته[2] يوم الوغى أسد السرا
يَقِظٌ يكاد يقول عمّا في غدِ ... ببديهة أغنتهُ أن يتفكرا
حِلْمٌ يخف له الحُلوم وراءه ... رأي وعزم يحقرِ الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرماً ... ويصد عن قول الخنا[3] متكبراً
لا تسمعنّ حديث ملك غيره ... يروى فكل الصيد في جوف الفرا

ولقد ناحت عليه بعد موته ـ في جميع البقاع ـ العُلا والمكارم، ولبست الليالي عليه ثياب الحِدَا وكلها ظلمة ومآتم، وعقمت الأيام بأن تلد له نظيراً في المعالي، وقالت المفاخر حين عدلها طوائف الملوك ما لَهُنَّ ومالي.

وقد وقع له من المآثر الدينية والدنيوية ما لم يُتَّفق مثلها لِمَلِكٍ من ملوك هذه الجهة، فأني قد استقصيت على تواريخ مَنْ سَلَف ممن تَملَّك المخلاف السليماني فلم يتفق له ما اتّفق لهذا الشريف، ولم يبلغ أحد مبلغه في ذلك ولا أدناه، فأنّه بَنى العمارات الباذخة والقلاع الشامخة في أبي عريش، وجَعَل سُوراً على دَيْرة الاشراف المشهورة غربي مدينة أبي عريش، وجَعَل به بابين شامي ويماني، وصار أبو عريش ببركات عمارته من أمنع مدن اليمن وهو تحت مملكته ومُسْتَقَرّ جاه من العساكر والجنود ومَنْ وصل إليه مِنْ الأقطار البعيدة من الوفود، فلذلك زَهى على التهائم والنجود، وبَنَى قلعة بندر جَازَان، وبَنى بإذنه السيّد العلاّمة حسن بن خالد الحازمي رحمه الله تعالى قلاعاً عظيمة بقرية ضَمَد، وله في مدينة الزهراء مباني كثيرة وقلعة «مختارة» من أعظم العمائر التي بناها، وسَوَّر على بندر الحُديدة وكان المتولي لذلك السيّد العلاّمة الحسن بن خالد، وسَوّر على مدينة زبيد بمشارفة قاضيها السيّد العلاّمة حسين بن عقيل الحازمي، وما من بلد من بلاد مملكته إلا وتجد له فيه آثاراً تنشد بلسان الاعتبار:

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهذا الشريف ـ حمود بن محمد ـ هو أول من استقلّ بالإمارة من أهل هذا البيت، وكان من سَلَف من آبائه وذويه ولايتهم مُستفادةً من أئمة صنعاء كما سبقت الإشارة إليه، وأمّا هو فَبَايَن أولئك الأئمة وامتدت يده من أطراف مدينة حَيْس إلى جهة السَراة.

---

(١) جمع وثبة.
(٢) من الثّبات.
(٣) الخَنَى: الفحش في الكلام.

وأمّا (المآثر الدينية للشريف حمود بن محمد) فهو بنى الجامع الذي في باطن سور الديرة وبعد ذلك نقضه وترجّح له أن يبنيه بِقُبَبٍ مُحْكَمة العمارة، وتم له بناء المُقدَم من ذلك وحال الأجل دون تمامه وأتم بناه بعد مده الشريف الحسين بن علي بن حيدر بن محمد الحسني رحمه الله تعالى، وبنى مسجداً في بيت الفقيه، وحُفِرَت بأمره آبار متفرقة في المدن والطرقات والقرى، وأوقف من أرضه خمسمائة معاد في مَوْز وفي وادي لَيّه على ثمانية أصناف: العلماء والمتعلمين والفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل وعلى المساجد، وأوقف على الجامع المذكور أوقافاً من الأرض، وأوقف على سور الديرة وقفاً، وخَصّص العلماء والمتعلمين بأوقاف من الأرض تقوم بكفايتهم لأنه كان في زمانه ظهور رئاسة العلم ونفاق تجارته والسبب أنّ السيد العلامة حسن بن خالد معاضده ووزيره وهو من العلماء فأرشده إلى تعظيم العلماء وكان بذلك نَفَاق تجارة العلم في ذلك الزمان وصارت لهم المِزْيَة التي هُمْ أهلٌ لها على كل قاصٍ ودان، وقَصَدَهُ العلماء من كل جهةٍ، ومَنْ وَصَل إليه قابله بالإجلال والتكريم وحلّه في أعلا منازل الرفعة والتعظيم، وأسكن بعضهم في قلاعه المختصة به، وكان في جامعه المذكور جماعةٌ يُدَرِّسُون العلم وصارت القراءة عليهم من الطلبة في كل فن من فنون العلوم فطار بذلك صيت الشريف كل مطار، وسار ذكره حيث مسير الليل والنهار، وغنّى الناس بالثناء عليه في أبعد الأقطار، ووَفَد إليه الأدباء بعضهم من العراق ومن كل جهة، ومدحوه بالقصائد البليغة ولو جُمِـعَ مَا مُدِحَ به من الشعر لجاء في مجلد، وكان يجيز الشعراء الجوائز الواسعة وَمَنْ مَدَحَهُ وَلَو على البُعْد أرْسَل إليه بالجائزة إلى وطنه، وكانت سيرته في الرعايا غالبها جارية على نهج السداد لا سيما في هذه الأزمنة الأخيرة التي غَلَب على أهلها الإعوجاج في الإصدار والإيراد، وانْضَبَطَت أمور الناس في زمانه وجَرت المملكة على قوانينها بالوزراء العظماء والأعوان الذين بهم الكفاية عند حدوث الدهماء، والعُمّال في البلاد من تحت نظرهم نُخْبَة أهلِ العصر لِمَا اتّصفوا به من الأمانة وحُسْن السياسة والكُتّاب الفصحاء الأدباء، ولاحَظَتْهُ مع ذلك السعادة التي يرتفع بها الإنسان إلى عنان السماء. وكان له من العبيد المماليك نحو ألف إنسان وهم ما بين حاملين البنادق وراكبين على ظهور الخيل فصاروا بذلك جُنْداً مُسْتَقِلاً، واجتمع لديه من نجائب الخَيْل ما لم يجتمع عند أحد ممن مَلِك هذه الجهات قديماً وحديثاً. وفي زمانه أمِنت الطُرْقات وذلّ أهل الفساد ولم ينبض لِمُعْتَدٍ عِرْق لِمَا له من السطوة على أهل الفساد، وقد بَلَغ من أمان الطُرُق - في ذلك الزمان - أن الشيء المحمول يعجز صاحبه عن حمله وهو في قَفْر من الأرض فيتركه حتى يرجع إليه. وكان له وقت يجلس فيه لسماع الشكايات وإزالة الظلمات، وأوقاته مرتبة على حسب المقتضيات

لا يكاد يذهب عليه وقت لغير مصلحة على اختلاف المرادات. وكان قد ألقى إلى السيد العلاّمة الحسن بن خالد في البلاد العريشية وجميع ممالكه الزمام، فنعماً مقامه في النقض والإبرام فلم يزل منفذاً فيها الأحكام، ومقررا أحوال المملكة في الإقدام والإحجام. وكما كان أكثرهم عوام وفيهم غفلة عن تعلّم ما يجب من التكاليف الشرعية نَصَّب لهذا الشأن الشريف العلاّمة الحسن بن بشير بن مبارك وألف له رسائل مشتملة على معرفة التوحيد الذي هو حقيقة ما بعث الله تعالى به الرُسُل صلوات الله وسلامه عليهم؛ مِنْ إفرادِ الله سبحانه بالعبودية وترك الاعتقاد بالضر والنفع في سوى خالقهم، ومعرفة معنى لا إله إلا الله التي هي كلمة الإسلام وعليها يدور قطب رحى الأيمان ومعرفة ما يتعين على كل مُكَلَّف معرفته من الصلاة والصيام والزكاة والحج وبيان ما يجوز وما لا يجوز في العبادات، فقام الشريف المذكور بهذا الأمر المهم وكان في صحبته جماعة من أهل العلم يُعَلِّمون الجاهل ويرشدون السائل ويوقظون الغافل، فَمَشى الشريف الحسن بن بشير على جميع ممالك الشريف ونشر فيها لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وَعُمِّرت في القرى المساجد، وحافظ الناس على الجمعة والجماعات في كل مكان من جميع هذه الجهات، وأَنِس الناس بمعرفة معالم الدين، وظَهَرت من شعائر الإسلام الخافي من العلامات، وأقيمت الحدود الشرعية، وأزيلت الأعْرَاف المخالفة للشريعة المحمدية، وكان التذكير لِعَامّة الناس في كل أسبوع والتعليم في كل مسجد وناهيك أن تلك الأيام في جَبْهة الدّهر غرَر وحجول، وصار بها رَبْع الإسلام مأهولاً وأي مأهول، وقد استفاد الشريف وأعوانه بذلك الأجر والأحدوثة الحَسَنة على ممر الدّهر:

وإنمـــا المـــرء حـــديـــث ســـائـــر   فكـــن حـــديثـــاً حَسنـــاً لِمَـــا رُوى

رحم الله أولئك الملأ الكرام وأسكنهم دار السلام. انتهى.

الشريف أحمد بن حمود بن محمد:

فَرْع: وأمّا ولده الشريف أحمد بن حمود فكان شريفاً سَرِيًّا شُجاعاً مقداماً، ذَكَر له القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش جملة وقائع وحروب في مواضع متعددة منها ما تضمنه قوله في «ذيل نفح العود»: وفي شهر شوّال توجه الشريف من مختاره إلى جهة الشام ولم يدخل أبا عريش بل طَرَح في قرية الجِزْبَة وهي قريب من أبي عريش وهي بالجيم المكسورة والراء الساكنة بعده باء موحدة وهاء تأنيث، وكان أهل جَبَل شرقي المدينة العريشية اسمه «سَلاَ» بلفظ الفعل الماضي من السِلُو ضد الحزن، كان قد صَدَر منهم بعض خلاف وتَعَدٍّ على حدود مملكة الشريف والأطراف، فقصدهم بجموعهِ الكثيرة وعساكرِهِ المنصورة وطَرَح تحت ذلك الجبل ونازلهم مقدار

خمسة أشهر ولم يبلغ منهم الأمل لأنه جبل شامخ الذرى لا يهتدي أحد للطلوع إليه لتوعره وضيق مسالكه، وقد كان الشريف قدَّم إلى طلوع ذلك الجبل جماعةً رئيسهم السيِّد ناصر بن حسين الحازمي فلمَّا بلغوا أثناء الجبل بَدَرَهُم مَنْ فيه وأثخنوهم بالرمي بالرصاص والحجارة وولَّوا منهزمين ونشبوا في تلك الشِعَاب، وقُتِل السيِّد ناصر بن الحسين وكثيرٍ من أولئك الجُنْد وصاروا طُعْمَةً للنسور والذياب، فلمَّا وصل الخبر إلى الشريف عَظُم عليه ذلك الأمر ولم يكن عنده غير عساكر غالبهم من أهل تهامة وجماعةً من هَمْدَان، وكان عنده ولده الشريف أحمد في زبيد عساكر يقضي بهم الغرض في هذا الشأن فاستدعاه إلى حضرته. وهو إذ ذاك عاملاً بزبيد، ومع وصوله بمن صحبه من الرجال حُماة الحقائق عَيَّن معه طائفةً من بكيل وأمَرهُ بالتقدم معهم إلى تلك المضائق، فرَقَوْا ذلك الجبل الطويل ولم يعيقهم عائق بعد أن عانوا مِن أولئك الأمر المهيل ولكنهم أصدقوا القتال وحيوهم بما في أجواف البنادق، فما ثَبَتَ أهل الجبل إلاّ ساعةً حتى استولى الشريف أحمد ومن معه على ذلك الجبل، وما فيه من صامت وناطق، وأخربوا بيوتهم وأشجارهم وقتلوا منهم جماعةً وأسَروا ثلةً وباقيهم تفرَّقوا في تلك المواضع.

واضحوا كأنهم ورقٌ جَفَّ فألوَت به الصبا والدبور

ورجع الشريف أحمد إلى مطرح والده وعلى رأسه تباشير الفتوح، والسعادة عن يمانه، وشماله تلوح، فسُرَّ والده عن ذلك وأقبل إليه الشارد من أهل ذلك الجبل وغيرهم، وبَذَل لهم الأمانَ، ودخلوا في سلك الطَّاعة وخلعوا رداء العصيان. انتهى.

ومنها أنّه لمّا خرج الشيخ محمد بن أحمد الرفيدي بعد أن انطوت أيام طاحي بن شعيب وأقيم مقامه وكان من قرابته جَهَّز علي الشريف حمود، قال القاضي حسن - بعد أن ساق صدر القضية - ما لفظه: فلمّا بلغ الشريف ما يريد من إضرام تلك النار اهتم بجمع الأجناد وكان بمدينة أبي عريش واجتَمعت لديه المُقَاتِلة من قبائل البلاد فخرجَ في لقاهم وقد نشر الرايات ودَعَى داعي النصر يا للثارات:

في فيلق من حديد لو قذفت به صرف الزمان لَمَا دارت دوائره

وكان اللقاء قريباً من دَرْبُ بني شُعْبَةَ[1] يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب. وفي ذلك الموضع وقع تخالف الطعن والضرب، فَصفَّ الشريف الأجناد أحسن الصفوف، وجعل على كل طائفةٍ رئيساً له في الشجاعة يومٌ معروف، وتَقَدَّم الشريف في غرّة العساكر بعد أن تسربل الحديد وتقلَّدَ الهندي الباتر. وكان ابنه الشريف

(١) درب بني شعبة: وادٍ فيه قرى، بمنطقة جازان.

أحمد بن حمود - ذلك اليوم - مُقدماً في طائفةٍ من أهل الخيل فأصدق الإقدام على أولئك الأقوام، وفعلَ أفعالاً عنترية وأبان عن شجاعة عليّة دلّ على أن هذا الشبل فرْع ذلك الليْث.

وخاض بالسيف بحر الموت خلفهم | وكان منه إلى الكميين زاجره
فكم دمٍ رُويَت منه أسِنَّة | ومهجة ولغت فيه بواتره

وكان الشريف الغضنفر الحسن بن خالد في خيل عشيرته الحوازمة ومن والاهم، فأقدَم على تلك الصفوف إقدام من لا يهاب الموت وشق تلك المقانب وأرْوَى من دمائهم السمهرية والقواضب، والتحم القتال بين الفريقين وتصادقوا الطِعان وأرسلوا من البنادق ما يصك أصواتها الآذان، واخترط الأبطال السيوف وكان للشمس من عِثْير الخميس كسوف، وانطحنت هناك جماجم واشتد على تلك الظهور المدبرة طعن الردينيات وضرْب الصوارم، فولّى الجُنْد الشرقي الأدْبَار بعد أن انهلت من دمائهم على الأرض أمطار، وبلَغت القَتلىٰ إلى عدد تطيش له الأذهان، مما يقارب ألف إنسان وصارت لحومهم طعاماً للوحوش في فلوات البلدان، وانصرف الشريف بعد الظفَر بهم إلى مُخيّمه تخفق على رأسه الرّايات ولسان السعادة ينشد بعد هذه الواقعيات:

وقد ظللت عقبان راياته ضحى | بعقبان طير في الدماء نواهل
أقامت على الرايات حتى كأنها | من الجيش إلا أنها لم تقاتل

انتهى. ومن ذلك: أن الشريف أرسل لِيَام وجهّزهم صُحْبَة ولده الشريف أحمد بن حمود على قبائل عك من الزّرانيق[1] ومن على حبلهم لأنهم كانوا خرجوا عن الطاعة وخشى أن يكاتبوا عبد الوهاب ويُوَسّعُوا لطائفة من جنده في بلادهم فَتَعْظُم المحنة على الشريف، فأخذهم الشريف أحمدبالجُنْد اليَامي وقَتَل منهم قدراً لا يُحصَى وأحرق بيوتهم وهدم معاقلهم حتى صاروا كأضعف النّاس مما لقيوه من شدة البأس، ثم بَعْد أنْ مَكّنه الله من أخذهم كَتَب إليه والده أن يُبّقِي رجال يام في اليمن ويفرقهم في الثلاثة المخاليف كل مخلاف يكون فيه راية من رايات يام، فعمل على ذلك وجعل زاية مُوَاجِد في مخلاف زَبِيد، وراية جُشَم في مخلاف بيت الفقيه، وراية آل فاطمة في مخلاف الزّيدية. وأمَرهُم بالبقاء حتى يتبين أمر عبد الوهاب وإقباله إلى هذه الرحاب. انتهى.

---

(١) الزّرانيق: قبيلة كبيرة تسكن سهل تهامة ومركز بلادهم مدينة بيت الفقيه. ويقال لمن في جنوبها أهل الطرف اليماني، ولمن في شمالها أهل الطرف الشامي. ومن ديارهم: الطائف وعنيفقة والخوخة الدريهمي وغيرها.

وله وقائع غير ذلك، وأينما توجّه يكون معه النصر غالباً، وكان والده يُقلّده الولايات في بعض الجهات فمنها جهات زبيد، وفي أيام ولايته بها ضَرَب سكةً باسم زبيد ـ بإذن والده ـ وجَرَى التعامل بها في جميع ممالك والده، ولمّا توفي والده ـ في التاريخ المتقدم في ترجمته ـ استقلّ بالمُلك ووضع يده على جميع ما كانت عليه يد والده، فقام بالمُلك سنةً واحدة ثم لمّا وَصَلت الجنود التركية صُحبة الباشا خليل إلى اليمن أخذ المُلك من يده وقُبِض عليه وأُدخِلَ إلى الروم في سنة ١٢٣٥ فمات هناك.

الشريف الحسن بن أحمد بن حمود وأولاده:

فَرْع: وأمّا ولده الشريف الحسن بن أحمد فكان شجاعاً ذا كرم خارق وحزمٍ وعزمٍ وإقدامٍ، وقد تولّى مع الدولة العثمانية مراراً ووقف معهم مواقف الحروب كقضية المِخصَام[1] بالواعظات وقضية مِلْحَان وغيره ذلك. ولم أقف على كمال سيرته إلا أنه كان ـ في الجُملة ـ من رؤساء الأشْرَاف، مُتّصفاً بصفات الكمال ثم قُتِلَ في سنة ١٢٧٥ تقريباً بجبل مِلْحان مع أحمد باشا السليماني أيام قتاله لهم رحمة الله إليه.

فَرْع: وأمّا ولده الشريف علي بن الحسن فقد عرفته فرأيته شريفاً سَرِياً هُماماً مقداماً فاضلاً كريماً عالي الهمّة حَسَن الأخلاق متواضعاً مُطْعِماً للطعام، وكان متولّي مع الدولة العثمانية في مدينة الزهراء وغيرهما فسار في ذلك سيرةً حسنةً وكان يحب الصلاح والتسديد ويثابر على ذلك بكل ممكن لا يألو جُهداً، ولم يَزَل على ذلك إلى أن كان في آخر المدة توجّهَ إلى صنعاء وبعد رجوعه مَرِضَ في الطريق من الجدري فمات منه بعد وصوله إلى بيت الفقيه بالزهرا ودُفن بها رحمه الله، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣١٤، وله أخ اسمه يحيى بن الحسين لا أعرف سيرته. وخلّف صاحب الترجمة ولدين هُما محمد بن علي ـ وهو أكبرهما ـ والحسن بن علي، مات أبوهما وهما في سن الصِبَا فنشئا في حُجر خالهما الشريف علي بن محمد بن يحيى ـ الآتي ذكره إن شاء الله ـ إلى أن شبّا على خيْرٍ من ربهما. وقد عَرَفت منهما محمداً فرأيته على غايةٍ من حُسن الأخلاقِ والتواضعِ والكرم وإطعام الطعام وإكرام الضيفان، لم يزل على ذلك بمدينة الزهرا إلى أن قدّر الله بينهم وبين السّادة النعامية ـ أهل الغزْزة ـ فتنة عظيمة بسبب قَتْل خاله علي بن محمد ـ كما سيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله ـ فوقعت بينهم وقائع ظَهَرت بها شجاعة صاحب الترجمة وإقدامه. ثم أنّهُ

(١) المخصام: قرية في الربع الشرقي من مديرية الزُهرة. وهناك قُرى أخرى تحمل ذات الاسم انظرها في المعجم.

جرت المنازعة بينه وبين النعامية المذكورين في الأرض التي كانوا ساكنين بها المُسَمَّى بالغِزْزَة[1] لكونها مِلكَهُ من مُخلفات جدّه الشريف حمود بن محمد بن أحمد فاستحقها بالوجه الشرعي، فانتقلوا منها إلى محل يُسمى الرافعي[2] وتوطنوه، وما زال بالزهرا إلى أن وَقعت الفتنة بين التُرك على يد رئيسهم علي أفندي وبين القبائل من تلك الجهة بمدينة الزهرا فاتَّهم بمساعدته للقبائل على ذلك فخرج بعائلته إلى الجهة الشاميّة وأخرَبَت التُرك حُصْنَهُ المُسمَّى بالحنش - كاسم الحيوان المعروف - وأخرَقت مساكنه، واتّصلَ بالسيد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي صاحب صنيا فواساه بالمال وأمَّرَهُ في تلك الجهة واستقر ببلاد بني حسن[3] بعائلته وبنى بها بيوتاً واتخذها دار وطن، وهو حال رَقْم هذا موجود هناك في عنفوان الشباب متولياً مع السيّد المشار إليه - عافاه الله - وله من الولد ثلاثة: علي بن محمد والحسن بن محمد وحمود بن محمد.

وقد انتهى هنا - بحمد الله - ذِكْر من تَيسّر ذكره من ذُرِّيّة الشريف حمود بن محمد بن أحمد مع ما تيسّر من تراجم بعضهم.

الشريف أبو طالب بن محمد بن أحمد، وأولاده:

وَصْل: وأمَّا أخوه الشريف أبو طالب بن محمد - وذريته يُسَمَّون الطوالبة - فقد ذكره صاحب «نزهة الظريف» والقاضي حسن[4] في «ذيل نفح العود» فَلْيرجع إلى ذلك من أراده. وله من الولد محمد، ولمحمد: يحيى، ولم أعرفهم ولا سيرتهم لتقدم زمانهم غير أنهم مشهورون بالصفات الحميدة، وليحيى بن محمد من الولد: محمد عرفته في آخر عمره وكان مشهوراً بالشجاعة والسماحة والكرم وحُسْن الأخلاق، بنفسٍ أبيّة، وشهادة علويّة، وكان كثير التولي مع الدولة العثمانية في بلدان شتى بسيرة حسنة وأحوالٍ مُستحسنة وصفاتٍ جميلة يطول تعدادها وتغني شهرتها عن التصريح بمفادها رحمه الله. وله من الولد ثمانية: أحمد وَيُلقَّب بالخلاّف - بفتح الخاء واللام المشددة وآخره فاء - والحسين وعلي ومنصور وحمود وهزّاع وحيدر ويحيى وقد عَرفت أكثرهم وكان علي رئيساً فيهم مُقَدّماً مِقْداماً شجاعاً كريماً ذا خلق حَسَن وتواضع وقُرْب، مُحِبًّا للصلاح، مقارباً مُسَدِّداً بماله ونفسه، ما زال اخوانه وعشيرته في عافية وراحة حتى قدّر الله قَتْلَهُ شهيداً في موضع بين الزهراء

---

(١) الغِزْزَة: بكسر فسكون، بلدة كبيرة في وادي مَوْر عِدَادها من مديرية الزُهرة.

(٢) الرافعي: موضع قريب من الغِزْزَة.

(٣) بني حَسَن: من قرى بَيْشة في بلاد عسير.

(٤) حسن بن أحمد عاكش.

ليالٍ مضين من شهر رمضان في عام أربع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف - ليصلح بين أناس من أهل مَوْر والغِرْزة كعادته الحميدة فقدر الله له الشهاد فحُملَ إلى الزهراء ودفن صباح تلك الليلة. وكان قتلهُ سبباً لفتح الفتن وانتشار الفساد بين أهل الوادي مَوْر، فكَثُرت القتلى بسبب تعدد الوقائع أكثر من مائة قتيل، وقلّ سَيْل الوادي مَوْر - الذي هو ميزاب تهامة الأكبر - نحو سنتين أو أكثر. ثم عَقِبَ الفراغ من دفنه خرج اخوانه المذكورون وعشيرتهم من الأشْرَاف لمناجزة أهل الغرزة بالحرب، وخرج معهم أهل الزهراء ودخلوا لشجاعتهم وإقدامهم إلى الغرزة، والحال أنها كائنة بين أشجار مُلتفة كثيرة يهاب دخولها للحرب الجمّ الغفير فضلاً عن شرذمة قليلين؛ فالتحم القتال بينهم وبين أهل الغِرْزة أولاً وثانياً في يومين متابعين وانكشف القتال عن ستين قتيلاً، وقُتِلَ رؤساؤهم من الجانبين وأُخرِبَت جميع الغِرْزة بعد أن فرّ أهلها منها إلى بلد الزعليّة وغيرها.

ثم أن الأشْرَاف بعد مُدّة خرجوا بعائلاتهم إلى الجهة الشّامية كَحَرَض والصامطة يوم وقوع الفتن بين الدولة والقبائل - السابق ذكرها - بسبب اتهامهم بموالاة القبائل كما سبق في ترجمة الشريف محمد بن علي بن الحسن ثم تفرّقوا في تلك البلاد وسكنوا بها. ووصل الشريف منصور بن محمد بن يحيى إلى السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي فَوَاساه وولاّه بعض تلك البلاد، وهو الآن مُقيم بها على ذلك وله ولدان الحسن وزيد. وخَلَف أحمد الخلاّف بن محمد - وكان قُتِلَ في هذه الفتنة - ولداً واحداً اسمهُ علي، وخلَف الحسن بن محمد - وكان قُتِلَ في هذه الفتنة أيضاً - ولدين هما: علي ومحمد، وخَلَّف علي بن محمد اثنين: يحيى ومحمداً، وأمّا يحيى بن محمد فقُتِلَ في الصامطة[1] ولم يُخلِّف أحداً.

الشريف ظافر بن محمد بن أحمد، وأولاده:

وأمّا الشريف ظافر بن محمد بن أحمد فهو جدّ الأشْرَاف آل ظافر، وقد ترجمه القاضي حسن فقال: الشريف الماجد أحد كُملاء الأشراف ورؤسائهم الذين يُرْجَع إلى رأيه عند الاختلاف الشريف ظافر بن محمد بن أحمد الحسني وكان شريفاً حَسَن السمات واسع المعروف محلّهُ معمور بالضيوف حَسَن الأخلاق بسّاماً في وجوه الرفاق، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٤ ومن ذُرِّيَّتهُ الشريف محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن ظافر، نشأ بأبي عريش محل آبائه وقرأ القرآن وما تيسّر مما يصلح به الدين ثم انتقل بعائلته إلى الزهراء في عام . . . .[2] ومكَث بها إلى أن

---

(١) صامطة: بلدة بمنطقة جازان، وقد تُكتب بالسين سامطة، وتشمل مجموعة قرى.

(٢) فراغ بالأصل.

وقعت قضية علي أفندي مع القبائل يوم حرب الزهراء - المار ذكرها - ورحل بهم إلى ...ـام ونزلَ في صَبْيَا أيام قيام السيِّد محمد بن علي بن إدريس فولاه على بعض تلك الجهات، وهو الآن مقيم بها على خيرٍ من ربه. وكان أبوه يحيى بن محمد فقيهاً فاضلاً قرأ بعض الكتب في مذهب الهدوية، وكذلك جده أبو أبيه محمد بن أحمد كان فاضلاً فقيهاً. وله عم اسمه علي بن محمد بن ظافر كان عالماً فقيهاً فطناً ذكياً وكان فيه لطافة ودُعابة لطيفة؛ مِنْ ذلك أنّهُ كتب إلى الشريف الحسن بن الحسين أبياتاً مزج عربيتها بلغة السواحل - كان يعرف لغتهم - فقال:

مولاي ما في البيت قط مَكَاتِياً ... وَلاَ انْفِيْنَزَا أشْري بهنَّ سَمَاكيا
قالوا لي الأولاد قُم فاشتري لنا ... من انْتِينْدَا انْجِيمَا فقلتُ كُتَاكِيَا
قالوا بِعْ انْفُونْدَا فقلتُ أكُونَا ... وعار عليكم أن أبيع حماريا

فقوله: مَكَاتِيَا معناه الطعام، ومعنى انْفِيْنزَا الدراهم، ومعنى انْتِينْدَا انجيما التمر الطيب، وكتاكيا معناه ما عندي شيء، وانفوندا معناه الحمار، ومعنى أكونا: لا. أي: يا سيدي ما في بيتي طعام ولا دراهم أشتري بها سمكاً وطَلَبت مني الأولاد أن أشتري لهم من التمر الطيّب فقلت لهم ما عندي شيء، قالوا بِعْ الحمار، فقلت لهم لاَ وإذا بعت الحمار في ذلك فهو عار عليكم. ولمّا وَصَلَت الأبيات إلى الشريف ضحك وأجازه بِصِلَةٍ سَنيّة، رحمهم الله آمين.

الشريف علي فارس بن محمد بن أحمد:

وَصْل: وأمّا الشريف علي فارس بن محمد بن أحمد فهو جد آل علي فارس وذُرِّيَّتُهُ في وَغْلاَن[1] وقد ترجمه القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش في «ذيل نفح العود» وقال أنّه كان شريفاً سَرِيًّا ماجداً شهماً أبياً كريماً على الإطلاق، وحَسَن المكارم والأخلاق، صاحب معروف ومروءة وكرم طِباع تَلَقّاها عن ورثة النبوة. كان في الكرم آيةً بَيِّنَة، وفي السيادة والرياسة رفيع الأمكنة، وُلّيَ الأعمال العريشية من تحت الإمام المنصور[2] مراراً متعددة، وَلَبِسَ من ملابس المُلْك أثوابه المتجلدة، وكان مُعَظَّماً في قومه، معروفاً بالبأس للعدو والمعروف للصديق في أمسِهِ ويومه، وكان في آخر عمره قد طَلَع إلى صنعاء فوصلَ إلى حضرة الخليفة فتلقّاه بأحسن التَلَقّي وجعلَ له رأياً في الإقامة ببيت الفقيه وأجرَى عليه واسع الأنعام، فعادَ من

---

(١) وَغْلاَنُ: قرية من أعمال صامطة بمنطقة جازان، وتُنطق بفتح الواو، وهي غير (وِغْلاَن) بكسر الواو الواقعة بوادي ذَبُوب في السراة من بلاد عسير. انظر المعجم الجغرافي للبلاد السعودية.

(٢) الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين الذي حكم ما بين عامي (١٣٠٧ - ١٣٢٢هـ)، وهو والد الإمام المتوكل يحيى حميد الدين.

صنعاء سالكاً طريق اليمن فَمرض في أثناء الطريق ثم توفاه الله سبحانه في بلاد العُدَيْن بقريةِ تُسَمَّى وحَفَات بواو بعدها حاء مهملة مفتوحة بعدها ألف وتاء تأنيث الجمع[1] وكان في صُحبته الشريف الماجد الحسين بن ناصر بن حسن الحسني فتولّى تجهيزه وواراه أحسن الموالاة، وخَلَف أولاداً أنجاباً أجلّهم قَدْراً الشريف يحيى بن علي. ومن الموجودين من ذريته الآن الشريف العلاّمة العابد الورع الزاهد الحسن بن محمد بن علي فارس، ولد بأبي عريش ثم انتقلَ إلى وَغلاَن ـ تثنية وَغل ـ وقرأ القرآن والعلم على يد شيخه القاضي عبد العزيز الشاذلي وتخرّج به، وما زال على ذلك إلى أن انتقل شيخه المذكور إلى الدار الآخرة فبقي على قدمه من العلم والعمل، ولمّا قام السيّد محمد بن علي بن إدريس بالدعوة ولاه العمالة على ناحية بِنْي مروان وما والاها، وَحُمِدَت سيرته مع الرعية مع عدم مبالاته بالظَّلَمَة، وهو الآن موجود على الحال المَرْضِي وعمره نحو السبعين سنة، وهو هدوي المذهب.

الشريف ناصر بن محمد بن أحمد:

وَصْل: وأمّا الشريف ناصر بن محمد بن أحمد فهو جد آل ناصر وذريته في الحسيني شرقي صَبْيَا، وقد ترجمه القاضي حسن بقوله: الشريف الصمصام أوحد السادات في كل مقام، رئيس الأشْرَاف إذا عُدّ الميامين في الأنام ناصر بن محمد بن أحمد الحسني أبو المَلِكِ العادل منصور وأجلّ من حققت عليه البنود في البوادي والحضور، كان حسنةً من حسنات الزمان، ونادرةً من النوادر في عالم الإنسان، أصدق أهل بلدته لهجة وأهداهم إلى الصواب إذا استهمت الحجة، يُدبِّر الأمر بذهن ثاقب ويحكم في الحوادث برأي صائب، كان المرجع لقومه وغيرهم في الحوادث الكبار، والمُعَوَّل عليه إذا حمي الوطيس وثار الغبار. له معرفة بأيام الناس ووقائع العرب وله حفظ لدواوين المولَّدين والمتقدمين، كثير المطالعة جيد الحفظ كثير الإصابة، وبالجملة أنه كان جمال المحاضر والمجالس، ومَلأ الصدور عند كل قاعد وجالس، ولم تتجمل دياره في زمانه بمثله، ولم ينكر أحد من الناس جميل فضله، وقد ذكرناه فيما كتبناه من وفيات أهل القرن الثالث عشر، انتهى.

الشريف يحيى بن محمد بن أحمد:

وَصْل: وأمّا الشريف يحيى بن محمد بن أحمد فهو جد آل يحيى وذريته في محجوبة ـ قرية بوادي ضمد ـ وقد ترجمه القاضي حسن فقال: الشريف الفخيم، والملك المتوّج العظيم رأس العصابة المحمدية وتاج المملكة الأحمدية، عماد

---

(١) وَحَفات: محلة من وادي عَلَن بمديرية حَزْم العُدَيْن وأعمال محافظة إبّ. وهي منطقة ذات هضاب ووديان تنتج الموز والبن والذرة والدخن.

الدولة الذي له في كل هيئة صولة وفي كل معركة جولة ابو محمد يحيى بن محمد بن أحمد الحسني رحمه الله. كان شريفاً سرياً وملكاً ضخماً عبقرياً ملك أعمال المخلاف السليماني مرات متعددة بولاية الإمام المنصور - صاحب صنعاء - فحمد الناس أيامه وشكر العامّة أنعامه، ولبس الأشراف آل خيرات في أيامه أثواب الدعة وخرجوا بنائل جُوده وعطاياه من الضيْق إلى السّعَة. وكان يحب الجُود ويفق الموجود، وكان يحب العفو عن المجرم ويتجاوز عن خطيئات المسلم، عمّر المعاقل الحصينة واختط البقاع المتينة، مدحه جماعةٌ من علماء زمانه بالأشعار الرائقة، وكان أمر الناس بآخرته: إذا أساؤوا أحسن، وإن أحسنوا أجاد عليهم وابل جُوده وأهْتَن. مات رحمه الله عند منصرفه من الحج في شهر محرم من سنة أربعة وعشرين بعد المائتين والألف في بَلَدِهِ قرية البَيْض من أعمال جازان ودُفن بها، وقد استَوفيت ترجمته فيما كتبناه من وفيات أهل القرن الثالث عشر والله ولي الاعانة والتوفيق. انتهى.

الشريف مسعود بن محمد بن أحمد:

وَصْل: وأمّا الشريف مسعود بن محمد بن أحمد فهو جد الأشراف آل مسعود وذريته في البَيْض.

الشريف فوّاز بن محمد بن أحمد:

وأمّا الشريف فوّاز بن محمد بن أحمد فهو جد الأشراف آل فوّاز وذريته في البيْض أيضاً.

الشريف بشير بن محمد بن أحمد:

وأمّا الشريف بشير بن محمد بن أحمد فهو جد الأشراف آل بشير. وكلهم مع ذرية سائر إخوانهم مُقيمون بالجهة الشامية كَحَرض والصامطة وأبي عريش والبَيْض وصَبْيَا وما والاها.

الشريف حوذان بن محمد بن أحمد:

ومن ذرِّيَّة حوذان بن محمد بن خيرات الأشراف المشهورون ببني حوذان وهم كثيرون متفرقون في الجهة الشامية كحرض وغيرها، ومنهم جماعة في بيت الفقيه بن عُجَيْل. ممن سكن منهم مدينة حَرَضْ: القاضي العلاّمة الشريف علي بن أحمد حوذان، له معرفة تامة بالفقه والفرائض وعلم الحديث، وهو هدوي المذهب، وكان متولياً القضاء بحرض ولمّا قام السيّد العلاّمة محمد بن علي بن الإدريسي أقرّهُ على القضاء ثم عزله ثم أعاده، وله أولاد نُجباء، وهو الآن في قيد الحياة بمدينة حرض وعمره نحو الستين سنة، ومنهم في بيت الفقيه بن عجيل: الشريف حسين ويحيى

ابن أحمد حودان، رجلان صالحان ذو شهامة وشجاعة ومروءة يتوليان مع الدولة المتعلقة بإصلاح المعيشة، وحسن قد توفي وبقي الآن يحيى متولياً في بندر الخديدة ويحسن من الولد أربعة حودان ومنصور وحيدر وناصر وكلهم صالحون على خير يتوددون مع الدولة لصلاح المعيشة عافاهم الله وزاد في أهل بيت نبيه كثرة.

اقتصرت على هذا القدر اليسير من تراجم بعضهم إيثاراً للاختصار وإلاّ فكُتُب التواريخ تحشى بسيرتهم الهاشمية طافحة وبفضائلهم ومناقبهم نيّرة واضحة، وشُهرَة شجاعتهم المضرية أشهر من نار على منار وأنقى من الشمس في رابعة النهار، شَهِدَ لهم بذلك المؤالف والمخالف وكان لدولتهم المرضيّة التليد والطارف، فلله دَرّهم لقد فاقوا في ذلك كل جيل وتوارثوه من لدن جدهم رعيلاً بعد رعيل.

قومٌ من الشمّ الأسوف تـوارثـوا مجـد السيـادة كـابـراً عـن كـابـرِ

وهذا آخر ما يسره الله من الكلام على بعض سيرة ساداتنا الأشراف من آل الشريف محمد بن حيرات وذلك قليل من كثير وقطرة من بحر زاخر نمير، والحمد لله على كل حال المتفضل بالطول والأفضال والمتطول بالفضل والنوال، سبحانه لا رَبّ غيره. اللهم كما تفضلت بالتوفيق لهذا - مع اتصافي بالقصور والتقصير - أتمم نعمتك بتيسير ما قصدته والإعانة على إتمام ما أمّلته إنك جواد كريم.

بنـو الجوفـي

الأشـراف بنو الجوفي

وَصَل ومن أشراف الجهة القاطنين بالزهرا من وادي مَوْر الأشراف بنو الجوفي، أول من نزل منهم من بلدهم الجوف إلى تهامه الشريفان حسين وصالح إبنا محمد بن صالح بن صلاح بن محمد بن ناصر، وهو جد أولاد ناصر بالجوف الآن ابن قاسم بن ناصر بن أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن البهّال بن الحسين بن علي بن الإمام القاسم بن الإمام الهادي بن عز الدين بن شمس الدين بن أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة الجواد بن سليمان البرّ التقى بن حمزة بن علي المجاهد بن حمزة الأمير القائم بأمر الله ابن الإمام أبي هاشم الحسن بن الشريف الفاضل عبد الرحمن بن يحيى نجم آل الرسول بن أبي محمد عبد الله العالم بن الحسين الحافظ ابن الإمام ترجمان الدين القاسم الرّسي بن إبراهيم الغمر طَبَاطَبَا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضي المثنى بن الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة بن أمير المؤمنين سيد العرب علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه، صاحب المفاخر والمناصب:

سلسلة من ذهب ونسبة منوطة بالشهب

فمكث المذكوران في تهامه مدةً وملكا أرضاً في جهة الكُديد من أعمال الوادي مور، والكديد بضم الكاف مصغراً غربي مدينة الزهراء. ثم رجع صالح إلى الروضة ـ وهي مدينة قبلي صنعاء بنحو ساعة ـ فتوطنها وملك بها بيتاً شامخ الذرى مشتملاً على بيوت وجعل فيه بستاناً فيه من أنواع الفواكه كالعنب المختلف الأنواع والرُمّان وغيره، ومكث حسين بالزهراء يعمل الأرض التي اقتناها هو واخوه صالح، وحصل لكل منهما ذرية صالحة. وكان سبب نزولهما إلى تهامه أنه وقعت ضغائن بين أبيهما الشرّيف محمد وبين بعض عصبته نشأت عن الاختلاف في إمارة جهة الجوّف فقتلوا الشريف محمد شهيداً في داره من بعض أقاربه بسبب ذلك، ثم أن زوجته الشريفة فاطمة ـ أمهما ـ خافت عليهما من القتل فتوجهت بهما إلى تهامة ونزلت بأبي عريش في صدر ولاية الشريف حمود بن محمد بن أحمد فتلقاهم بالإعزاز والإكرام الجزيل، فنشَئَا في تهامة بمعية الشريف المُشار إليه في الحروب والإمارات، ثم في مدة ولاية الشريف الحسين بن علِي بنِ حيدر توجّها إلى جهة الجوف فأخذا بثار أبيهما وعَمّرَا القصر المشهورِ الان لآل صلاح بقرية العياشيه في ...[1] ولهما أراضي هناك باقيةً في مِلك ذُريتهم هي والبيت إلى الآن. ثم أن المصالحة جرت بينهما وبين قرابتهما؛ فبعد ذلك رجع الشريف صالح إلى روضة صنعاء[2] وسَكَن بها، ورَجَع الشريف حسين إلى جهة وادي ضَمَد ووادي مَوْر إلى أراضيهم، وكان يَتنقّل مع الأشراف في مدة ولايتهم من أبي عريش إلى مَخا وزبيد. وأمّا الشريف صالح ففي مدة مكثه بالروضة حَصَل الاتفاق بينه وبين الإمام الشريف محمد بن يحيى بن المنصور فأجلّهُ وأكْرَمَهُ وأقطعهُ قضاء عَمْرَان[3] على حدوده وكانت أشْرَاف الجوف كلها بنظره وحكمه ولمّا وصل الشريف محمد بن عون ـ شريف مكة ـ هو وتوفيق باشا إلى بندر الحُديدة في عام خمسة وستين وَصلَ الإمام محمد بن يحيى من صنعاء إلى الحُديدة لملاقاتهما فأعطاه شريف مكة مَنْشُوربن بعدم التعرض له والمطاف على أرضه واتباعه ثم رجع بعد ذلك إلى الروضة.

---

(١) فراغ بالأصل.

(٢) الروضة: بلدة مشهورة في شمال صنعاء، أصبحت اليوم. مع التوسع العمراني ـ جزءاً من المدينة، وكانت أكثر أرضها مزارع خصبة تنتج أجود أنواع الأعناب وغير ذلك من الفواكه.

(٣) عَمرَان: مدينة في الغرب الجنوبي من الجوف. تبعد عن صنعاء شمالاً بمسافة (٥٠) كيلاً. وهي اليوم عاصمة محافظة من محافظات الجمهورية.

فرع ومن ذرية حسين حفيده الشريف الفاضل، سلالة الأفاضل وبهجة المحافل علي بن صالح بن حسين الجوفي، وُلِدَ عافاه الله في عام اثنين وثمانين بعد المئتين والألف بمدينة الزهراء ونشأ بها في حُجْر والده وقرأ القرآن وما تيسّر من ما يصلح به الدين في مذهبهم - وهو مذهب الهدوية - وتهذّب وحفظ من لطيف الشعر وشواهد الحال ما صار به: حَسَن المحاضرة لطيف الشمائل مع الذكاء والفطنة وخير الأخلاق والتواضع، وبيني وبينه مودّة أكيدة عافاه الله، وله اقتدار علي إنشاء الشعر قد رأيت له قصائد لم يحضرني وقت كتابة هذا شيء منها، وهو الآن مُقيم بالزهراء على خيرٍ من ربه معيشته من أرضهم التي في الكُديد، وقد مرّت الإشارة إليها وهي أرض طيبة تسقى من الوادي مَوْر تحصل منها ثمرة نافعة، وقد يتولّى في بعض الأوقات مع الدولة العثمانية، وقد امتدحته بهذه القصيدة المتضمنة للجواب عليه بِما يُفهَم منها عن قصيدةٍ من إنشائه أرسلها إلى ابن عمه الشريف عبد الله بن حسن - الآتي ذكره عقب هذا - فطلب مني الجواب عليه على لسانه؛ فأشفعته بذلك وعرّضت فيها بمدح الروضة ووادي مَوْر، وهي هذه:

تجنّت سُحيراً ذات حسن وأنوار ... يَغار سناء البدر من نورها السار
مهفهفة تسبي العقول إذا رنت ... بفاتك لحظ خَلت لامعَ بتّار
وقد أسبلت ليلاً من الفرع حالكاً ... على أسَل يزري بقضبان نُصّارِ
بفيها أقاح أو لآلٍ تنظمت ... يمازجها شهد كجُونة عطّار
إذا بَسمت خلت البروق تنشرت ... وإن خطرت فالغصن قد باء بالعار
بوجنتها وردٌ له الخال حاضر ... وعم يحاميه من الأخذ بالثأر
معوّدة قتل النفوس بقدّها ... وسلبِ عقول العاشقين بأبصار
لها بشرٌ مثل الحرير ومنطق ... قد أزرى بِقسّ في البيان ومهيار
فمرّت على وادي العقيق وسلّمت ... بأعذب نطق بالفصاحة سَحّار
ولا عجبٌ فالسحر في طي لفظها ... كلفظ جمال الدين صفوة أبرار
علي إلى الجوفي يُنمى ابن صالحٍ ... سمى في سَما الآداب أرفع مضمار
فتىً لا يجارى في القريض فصاحةً ... بعارضة تنبي بنشر وأشعار
له شرف يزكو بفخرٍ وهمةٍ ... بأشرف أخلاق وأعظم مقدار
ترقّى به في ذروة العز ناشئاً ... إلى أن علا كهلا لشمسٍ وأقمار
ولا غرو فهو المُنتقى من سلالة ... أولي المجد حقاً سادة الناس أخيار
قريحته جادت بأسنى خريدة ... إلى علم قد صار قدوة أخيار
إمام همام قاسم المجد سيد ... عصاميّ نفس بل بآباء اطهار
بها يشتكي البين المشت وينقي ... بسيف أبي الهيجاء سطوة غدار

ويشكو صديقاً يدعيه معانداً فحاشا وكلاّ ليس بيني ولا دار
وما البين إلاّ من صفات مخالفٍ مودته ما قاربت عُشْر معشار
ولو كان ذا ودٍ طَوَى الأرض سائراً إلى الروضة الغنّاء لتحصيل أوطار
ولكن مضت أوقاته مترسلاً بحسب الأماني والمُنى طبق أفكار
وما ذاك إلاّ من تعلل نفسه ورغبته عن روضة ذات أسوار
بها جنة تزهو بطيب ثمارها فيا حُسن جناتٍ ويا طِيب أنهار
تُسَبِّح فيها الطير لله جهرة وتصدح بالألحان من فوق أشجار
يمر بها سحراً لطيف شَذَا الصَبَا فَتُهدي لهم من نشرها طيب أزهار
فما بالهم صدّوا ملالا وأعرضوا بل اتخذوا سُكْنَى على جُرْفٍ هار
وما شاقهم تلك الجنان وأهلها على رغبةٍ إلاّ مع الأخذ بالثأر
رعَى الله للساقي مروراً بسوحه وأمطر من فضله غيث مدرار
زراعته ما تنقضي وغلاله مباركة ما بين حمرا وازعار
وسكانه في نعمة طول دهرهم ومن تحتهم نهر عظيم لهم جار
وما صار فيه من قتال وفتنة تبدّل أمناً مع سرورٍ من البارِي
إذا كان هذا دأبه وصفاته فما لهُمُ سَموه بالجرف الهارِ
فقد طَلبوا منا النقول بجايشاً أليس عجيباً يطلب الخلد بالنار
فلا اتبدل بالجنان وحسنها وبالروضة الغناء ساحة اضرار
ولكن لحاجات أُرجِّي قضاءها عَسَى ينجز الوعد القديم باء صهار
عساهم لوعدي يذكرون عسَى عسَى فحسن الوفا بالوعد شيمة أخيار
وأنتم خيار الناس من آل هاشم سلالة خير الخلق صفوة أبرار
وصلِ صلاة لا انتهاء لحصرها وسلِّم على خير الورى صفوة الباري
من الآل والأصحاب ما شن عارض بها طل مزن في عِشي وأبكار

فَرْع: ومن ذرية صالح بن محمد: حفيده الشريف المنيف، نزهة المجالس عبد الله بن حسن بن صالح الجوفي، ولد في الروضة محل سكنَى والده وجده فنشأ بها وقرأ القرآن بها مع الاستقامة والمواظبة على وظائف الدين وحُسْن الأخلاق واللّطافة وطِيْب المحاضرة، وله بالروضة مكتسباتٍ من الأراضي والبساتين زيادةً على ما اكتسبه أسلافه، وكذلك أكثر بيوت الروضة فإنها كثيرة البساتين والأنهار لا سيما العِنَبْ فإنه على اختلاف أنواعه بها، وأكثر أهل صنعاء يخرجون إليها في أيام الخريف لقصد التَنَزُّه والأكل من ثمارها الطيبة، وصاحب الترجمة كثير التردد إلى تهامة لقصد زراعة أرضه التي بالكُديد وبيني وبينه مودة أكيدة وكثيراً ما يمكث لدينا بالزبدية متولياً لِنَظَارة أوقاف المساجد التي بالزبدية وما والاها كالضحي وبيت عطا

وغيرها من طرف ناظر أوقاف العموم بصنعاء، وهو الآن موجود على خير من ربه عافاه الله آمين، وله ولد اسمه حسن ولهم قرابة قليلون بالزهرا وأكثر عشيرتهم بالجوف في البلد التي انتقلوا منها إلى تهامة.

الحوازمة

الأشراف الحوازمة:

العلاّمة الإمام حسن بن خالد الحازمي:

وصل: ومن أشراف الجهة الأشراف الحوازمة وهم متفرقون في البلاد العريشية وما والاها، أهل علم وفضل ورئاسة وشجاعة، ومن رؤسائهم السيّد العلاّمة الإمام، علَم الأئمة الأعلام اللّيث الغضنفر الحسن بن خالد الحازمي العريشي. وكان - رحمه الله - له اليد الطولى في جميع العلوم، مبرزاً في منطوقها والمفهوم، شجاعاً بطلاً مقداماً قوى الجنان لا يهاب الحرب العوام ولا يخاف منه إن لاقى الأبطال والشجعان، وكان أحد أركان دولة الشريف حمود بن محمد بن أحمد فإنه - كما قال القاضي العلاّمة الحسن بن أحمد عاكش في «ذَيْل نفح العود» - أنّ الشريف قد ألقَى إليه في البلاد العريشية وجميع ممالكه الزِّمام قائماً مقامه في النقض والإبرام، فلم يزل مُنَفِّذاً فيها الأحكام ومُقَرِّراً أحوال المملكة في الإقدام والإحجام. انتهى.

وقد ترجمه القاضي العلاّمة الإمام المجتهد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني في «البدر الطالع» فقال: الشريف حسن بن خالد الحازمي العريشي، ولد تقريباً بعد سنة ١١٧٠ وقرأ في بلاده على جماعةٍ منهم العلاّمة أحمد بن عبد الله الضمدي - المتقدم ذكره - وصار لمزيد ذكائه وحُسن حفظه وقوّة إدراكه من العلماء الأعلام، ثم لمّا استولى أهل نَجْد على بلاد أبي عريش ودَخَل الشريف حمود في طاعتهم واستعان بهم على أخذ بعض البنادر اليمنية وبعض المدائن التهامية صار - هذا - عنده هو المرجوع إليه في الأمور الشرعية وكان حمود يطيعه ويأتمر به ولا يخالفه، ثم ارتفعت درجته حتى صار يقود الجيوش ويتولى الحروب ويقيم الحدود مستقلاً، وحَمَل الناس على العمل بالسُّنَّة ومَنَعهم عن التدريس في فقه المذاهب بأسرها فَعَظُمَ ذلك على المُقلِّدة، ولم يزل على هذه الطريقة حتى مات الشريف حمود وتولى بعده ابنه أحمد فزادت عند ذلك رُتبة صاحب الترجمة لكثرة ما قد صار لديه من الجُنْد والخيل، واقتدى أحمد بن حمود به في كل ما يورده ويصدره وجَعَلَهُ لنفسه إماماً، ولَمّا أقبلت الجنود التركية واستولت على البلاد التي كانت تحت يد أحمد بن حمود وأسَرُوه وأدخلوه الديار المصرية كان صاحب الترجمة في بلاد عسيرٍ، وما زال يَجْمع الجُنْد وتَقدّمت عليه الجيوش التركية وما زال الحرب بينهم سجالاً حتى قُتِلَ

في المعركة بعد حروب طويلة وكان ذلك في سنة ١٢٣٤، وقد كان تبعه - حال مراكزته للأتراك - كثير من قبائل القبلة ومن فيها من الفقهاء والقضاة وشكروه على ذلك، فَقُتِلَ وسَبَقَ السيف العَذَل. انتهى.

الشريف العلاّمة المحدث محمد بن ناصر الحازمي:

وفي متقدمهم [الحوازمة] أئمةٌ أعلام مشهورون بالعلم والعمل والفضل أشهر من نار على منار لا نُطيل بذكرهم، فمنهم الشريف العلاّمة الإمام المحدث شيخ مشائخنا محمد بن ناصر الحازمي، نَشأ - نفع الله به - ببلده ضَمَد وكان متفنناً مُتقناً مُحققاً في جميع العلوم، جائلاً في ميدان المنطوق منها والمفهوم، تضرب إليه أكباد الإبل من البلاد القريبة والشاسعة في بيانها، إذ كان مُجلياً صَلّى خلفه أئمة العلم في حَلَبة ميدانها لا سيّما في علم الحديث فقد كان له فيه اليد الطولى، أخبرني سيدي وشيخي العلاّمة الإمام السيّد عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي أنّه لمّا وَفَدَ إليهم صاحب الترجمة بمدينة الزيدية - وذلك في عام ثلاثة وسبعين بعد المائتين والألف - قَرَأ عليه في جماعةٍ في أول «صحيح البخاري» فتكلّم على متن الحديث معنًى وإعراباً وغيرَهما، وعلى رجال السّند مولداً ومنشأ ونَسَباً وبَلَداً وتعديلاً وجرحاً وما لكل راوٍ في الصحيح وغيره من رواية، ثم أنّهم أعادوا القراءة عليه في آخر «الصحيح» فتكلّم على المتن والسّند كذلك من غير فرق، فَعُلِمَ بذلك أنه لا يُجارَى في هذا الميدان، ثم أنه كتب لهم إجازة عامة شاملة لهم في كل ما تصح روايته وتَحِقُّ درايته، وَخصّ سيدنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الله الزَوّاك بالسند المُسلسل بالمحمديين، وقد أخِذَت هذه الإجازات مع السند المذكور فيما أُخِذَ يوم «قَضيّة عسير» لمّا نَهَب محمد بن عايض الزيدية، فالله المستعان. انتهى.

وقد ترجمه القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش الضمدي في تاريخه، ولم أقف على التاريخ ولا على حقيقة سائر أحوال المترجم له، وبالجملة فقد كان عديم النظير في وقته نفع الله به آمين، وكانت وفاته سنة ١٢٨٣. وفي الجهة الشامية الآن منهم [الحوازمة] كثير عَرفت منهم - ممن سكن الزهراء - الشريف أحمد بن إبراهيم الحازمي وأخاه الشريف يحيى بن إبراهيم رجلين صالحين، وأحمد من أهل الفضل لا يخلو من المعرفة في مذهب الهدوية، وهما موجودان الآن على خيرٍ من ربهما مع الاستقامة وسلامة الصدر والتواضع. ومنهم ممن سكن الزهراء - أيضاً - الشريف حسين بن علي الحازمي نِعْمَ الرجل الصالح، قارىء للقرآن مواظب على وظائف الدين والتهجد بالليل مع التقوى وحُسْن الاستقامة والإقبال على الشأن وسلامة الصدر وكثرة الصمت، وهو موجود الآن على خير من ربه عافاه الله.

نسب الحوازمة: وينسب الحوازمة يرجع إلى الأشراف الذراوية كما قاله العلاّمة البدر في تاريخه «تحفة الزمن» وعبارته لفظها: واعلم أن أشراف حرض وهم الحوازمة و بنو زكري يرجعون إلى الذراوية أهل صبيا، ومن بني زكري الشريف الصالح الصوفي أحمد بن يحيى المساوى مسكنه حرض وله بها زاوية ودارة محترمة متسعة وهو كثير الأصحاب وللناس فيه حُسن ظن عظيم وكرامات، توفي بجمادي الأول من سنة إحدى وأربعين وثمان مائة. انتهى.

و الذراوية كثيرون معترفون في الجهات الشامية واليمانية كصبيا وأبي عريش وزبيد وما والاها، أهل فضل وكرم وشجاعة ورئاسة وجدّهم الذي ينتسبون إليه هو ذروة بن حسن، قال السيد العلاّمة محمد بن الطاهر البحر في «تحفة الدهر» ما لفظه: ذكر الأمراء الذرويين أهل صبيا ويقال لهم أولاد أبي الطيب، منهم الأمير قاسم بن علي وهو قاسم بن علي بن محمد بن غانم بن ذروة بن حسن بن يحيى بن داود أبي الطيب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داود المحمود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. انتهى.

وقاسم بن علي - هذا - هو ممدوح ابن هتيمل وكان ممدوحاً كريماً يقال أنه هو الذي جاءه رجل قد وعده بعطاء وهو قاعد في بعض مزارعه وله أربعمائة ضِمْد تعمل في فنية له[1] وكانت مائتا ضمد تطلع ومائتا ضمد تنزل فقال ذلك الرجل بيتاً من الشعر هو:

الله أكبـــــر هـــــذا منتهـــــى أملــــي

فقال قاسم بن علي: لك الطالعة. فقال الرجل:

هذا الجريب وهذا قاسم بن علي

فقال: لك النازلة، فأخذ ذلك الرجل ثمانمائة ثور بما عليها من الحديد والآت الحرث والعبيد الذين يعملون عليها ببيت واحد.

بنـو شـرعـان:

بشين معجمة وراء وعين مهملتين آخره نون مثنى شرع، وهم يسكنون مدينة زبيد منهم السيّد العلاّمة محمد بن إسماعيل شرعان، نشأ بزبيد وقرأ بها على مشائخ

(١) تُطلق على السد الحاجز للماء، أو بالأصح على أهم أجزائه.

كثيرين كالشيخ العلاّمة الإمام أحمد بن ناصر وغيره من أضرابه ثم رحل إلى منبسا[1] من بلاد الهند للتداوي من صمم حديث به ثم رحل إلى زبيد وهاجر إلى مكة المكرمة فأقام بها سبع سنين لطلب العلم فقرأ على العلماء الموجودين بها كشيخ الإسلام مفتي مكّة ومدرسها السيد أحمد بن زيني دحلان وغيره، ثم هاجر إلى مصر لتتميم القراءة فأقام بها سنة وقرأ على علماء الجامع الأزهر حتى صار مشاركاً في عدة من الفنون، ثم رجع إلى بلده زبيد فأقام بها مُفيداً مستفيداً وله رسائل قد رأيت بعضها لم يحضرني وقت رَقم هذا شيء منها، وكان رحمه الله على غاية من التواضع وسلامة الصدر والورع وتجنّب الولايات مدة عمره، وقد جمع عدةً نافعةً من كتب العلم، ما زال على حال ذلك حتى توفاه الله في بلده زبيد ودُفن بها وذلك في سنة . . .[2] ومنهم أخوه العلاّمة عبد الله بن إسماعيل شرعان وُلِدَ بزبيد ونشأ بها نشوءاً حسناً، وقرأ على علمائها فصار مشاركاً في عدة فنون وقد رأيت له رسالة في علم القراءات ثم تولى القضاء في عنفوان شبابه بمدينة الزيدية أظنه في عام ثلاثة وتسعين بعد المائتين والألف ثم انفصل بعد مدة وتولى القضاء بمدينة زبيد وصار مولعاً بتولية القضاء وقد رحل إلى اصطنبول مرتين لأجل ذلك، فتولّى في الزيدية ثلاثة مرات وفي زبيد ثلاث مرات وفي رَيْمَة مرّة أو مرتين. وفي أيام قضائه بريمة استكتب كتباً نافعةً واستنسخ مصحفاً بخط عجيب وقلم فصِيح وبين أسطره تفسير كل آية، واقتنى كتباً أُخر كنهاية ابن الأثير وغيرها، وهو الآن موجود بزبيد على خير من ربه مع حُسْن الاستقامة والتواضع وطيب الأخلاق عافاه الله آمين.

ومن متقدميهم[3] السيّد العلاّمة الحُجّة العابد الناسك الشريف:

أحمد بن محمد الضحوي:

كان نفع الله مقيماً ببلده مدينة أبـي عريش، وَسَبب هذه النِسْبَة أن والده محمداً كان قد وصل إلى الضحي قليطة أي مُجَدِّداً لِمَا اندرس من الدين بأن يُعَلِّمهم الطهارة وأنواع العبادات وذلك بأمر الشريف حمود بن محمد بن أحمد متولي مملكة اليمن في ذلك الوقت، فمكث لديهم أياماً يعلمهم ثم قام له بالأذيّة رؤساء تلك البلاد كالأصلع ـ شيخ الجرابح ـ وغيره فخرج إلى أبـي عريش، فثبتت هذه النِسْبَة لولده صاحب الترجمة، وكان مولد صاحب الترجمة بأبـي عريش فنشأ على أحسن الأحوال وحَفَظَ القرآن حفظاً نافعاً واستظهره عن ظهر قلب، ولمّا وَفَد عليهم القاضي العلاّمة

---

(١) بمباي حالياً.
(٢) فراغ بالأصل.
(٣) الضمير عائد إلى: الأشْرَاف الحوازمة.

المجتهد محمد بن علي العمراني الصنعاني من مكة المكرمة باستدعاء الشريف الحسين بن علي بن حيدر بعد أن هاجر بها مدة فأقام بأبي عريش ورتب له الشريف مقرراً شهرياً، قرأ عليه حينئذٍ صاحب الترجمة «فتح الوهاب» للقاضي زكريا وغيره من الفنون معهم ثاقب وجودة حفظ بارع حتى صار إماماً في جميع العلوم، جائلاً في ميدان المنطوق منها والمفهوم، وكان لكثرة حفظه واطلاعه يعرف غالب أحوال الرواة من المولد والممات والمَنْشأ والبلد وغيرها، وكان يحفظ «لامية الأفعال» عن ظهر قلب حفظاً تاماً مع عشرها وتنافر ألفاظها في لسان الناطق بها، وكان كثير العبادة والزهد والورع والقيام بالليل كثير الصدقات جَمَع الله له بين الدين والدنيا فكانت الدنيا في يده فقط، وكان ينفق كل يوم جانباً من المال في وجوه البر ولمّا قرب وقت وفاته توجه إلى بيت الله الحرام فحج وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، فلقيه بالمدينة المنوّرة سيدنا وشيخنا السيِّد العلاّمة الإمام عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي فتوجها معاً من المدينة إلى مكة فأخبرني أنه وجد صاحب الترجمة جبلاً من جبال العلم ورأى من حُسْن سيرته وكثرة صدقاته ما لا يوصف، وكما رجع من مكة إلى بلده مدينة أبي عريش أخَذ في إنفاق أمواله في جهات الخير ووقفَ كتبه، وتوفي عقب ذلك بأبي عريش ودُفن به نفع الله به. وكان شاعراً مفلقاً وبينه وبين السيِّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمٰن صايم الدهر مكاتبات بالأشعار والقصائد الطنانة فمن ذلك ما كتبه صاحب الترجمة مادحاً سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن صايم الدهر وهو هذه القصيدة الفريدة:

ظبـي تملـك للجمـال بـأسـره ... فَغَـدا فـؤادي مـوثقـاً فـي أسـرهِ
واستعـذب التعـذيـب لمّـا إن رأى ... طـول انقيـادي فـي الهـواء لأمـره
أسَـر المنـام وأطلـق العبـرات إذ ... عكـس القضيّـة لـم يـزل مـن مكـره
ريـم رمـىٰ قلبـي بسهـم جفـونـه ... فـأصـابـه جـرح ولَمّـا يبّـره
القلـب منـزلـه ويسعـى جـاهـداً ... لخـراب منـزلـه وهـدم مقـره
صـار الأنـام جميعهـم بـوجـوده ... مستبشـريـن وقـائميـن بشكـره
عَمّـت فـواضلـه لهـم فنهـارهـم ... مـن وجهـه ودجـاهـم مـن شعـره
وإذا رنـا سَـلّ المُهنّـد لحظـه ... فيخـاف كـل مـدجـج مـن غـدره
وإذا تثنّـى قـده مـن لينـه ... فَضَحـت رشـاقتـه ذوابـل سمـره
والـروض فيـه جمعـت أفنـانـه ... منـه بـوجنتـه ومنـه بثغـره
لـم أدرمـاذا طـوّق السـامـي بـه ... أيـد المحـب قـران أم مـن دره
ولقـد رأيـت نهـوده فـي قـربهـا ... كـالفـرقـديـن تقـاربـاً فـي صـدره

إني إذا ما امتخت مشري ردفه فيسومني بالبرد معدم خصره
أمثاله عندي الصواب مديحها وذميمها فاعجب لذا من سحره
صام الفؤاد لدَى محبة غيره فأراد بجعل عبده في نحره
وأراد تفطير الحشا مني كما قد فطر الأعداء صابم دهره
السيد العَلَم الذي جمع العلا والعِلْم حتى صار مفرد عصره
ورَقى إلى نيل العلا بهمة تسمو على هام السماك ونسره
ندب سَمى في كل فخرٍ رتبةً فالكل بقصر عن مراتب فخره
بدرٌ أنار على الجهات ضياؤه لكن فوق البدر طالع قدره
فرعٌ تسلسل من عليٍّ وابنه الحاوين للمجد الأثيل بأسره
نسبٌ يحاكي الشمس في إشراقها والصبح أبداه تَبَسُّمُ فجره
أخلاقه كالروض باكره الحيا فَبدا من الأكمام باسم زهره
يا فاضلاً ابدى لنقص الفاضل الخالي لدى الاسماع سائر ذكره
ومحرراً سحبت ذيول نظامه تيهاً على سحبان أوحد عصره
خذ من نظامي بُردة منسوجةً تَبْقى على طول الزمان ومرّه
واستر وسامح إنها في مجلسٍ واسْلَم لتحبير النظام ونشره

فأجابه بقوله:

وافى وقد أضنى الفؤاد بهجره ودَنَى فأضحى عيد صائم دهره
فشكرت صوم زمان أيام الجفا منه لأن الوصل ليلة قدره
بدرٌ له في القلب مني منزل والطرف بل كُلي غدا في أسرهِ
بالليل اقسَم وهو فرع والضحى فرق لمن أهواه يوسف عصره
ما زال يخطر قده في مهجتي يا من رأى الريان يمرّ بمصره
في منعةٍ من مقلتيه وقدُّه أغنتهُ عن بيض الجلاد وسمره
يا ردفه المثرِي لجارك خصْرهِ حقٌ عليك أمَا ترِق لفقره
ما كنت أدري ما العذيب وبارق حتى تملكني الهيام بثغره
لا تنكرن شغفي بنجدٍ عاذلي والغور فهو لردفه ولخصره
إن شئت تعرف ما الضلاَل وما الهدى فتشاء غرته وفاحم شعره
عجباً لقلبي أسحرتْهُ لحاظه وهو الكريم وما نَجا من سحرِهِ
ما زال منصوراً عليّ مؤيداً بالفتحِ مرسل جفنه مع كسره
ومن العجائب أن در شتيتهِ يُدْعَى اليتيم ولم أزل في قهره
إن ضل قلبي في هواه فإنه بوداد أحمد يهتدي عن سره

بحر المنفـ أحمد بن محمد ... من كل فخر أصله من فخره
م مثل أحمد في الوجود وشاهدي ... تظهر محتد ورفعة قدره
ب سائلاً عن ضب عصره انشق ... إن كنت ذا شم لطيب نشره
و شئت تدري لفظه وعلومه ... حدث عن البحر الخضم ودره
وسل رياض النادبات وزهرها ... عن نظمه السحر الحلال ونثره
لو كان حب الدر من لفظ الورى ... ما كان إلا من زواخر فكره
لو كانت الألفاظ شخصاً كاملاً ... في العالمين لكان صاحب سره
وحوى العلوم فأي من شئت ان ... تقراه ابدَى شرحه من صدره
معنى اللبيب إذا نحاه أصابه ... قَطْر النَدَى ودَنت فواكه بره
ب أحمد البلغاء وافَا نضمك الدر ... النفيس وأنت لُجّة بحره
ما فيه من عيب سوى سلب الحجى ... لا ينثني المُصغي إليه بحجره
واسلَم ودُم فبقاء ذاتك سيدي ... فيها بقاء للوجود بأسره

انتهى. وبينهما مكاتبات فائقة وأشعار رائقة تركتها اختصاراً نفع الله بهما، وكانت وفاة صاحب الترجمة رحمه الله في . . . (١).

ومنهم ممن عرفته، ابن عمه، السيّد العلاّمة الفهامة عبد الله بن يحيى صَبْيَاني، انتقل والده من صَبْيَا إلى الضحى فَثَبتت هذه النسبة على ولده صاحب الترجمة وكان مولده بالضّحي ونشأ بها نشوءاً حسناً وحفظ القرآن عن ظهر قلب ثم قرأ على علمائها كجده ـ أبي أمه ـ السيّد العلاّمة عبد الله عبيد والفقيه العلاّمة عمر بن أحمد يعني والسيّد العلامة محمد بن علي سيْد وكالفقيه العلاّمة الصالح عبد القادر بن إسماعيل يعني وغيرهم حتى صار مشاركاً في عدة من الفنون. وكان يُدَرِّس بالضّجي ونَجَب على يديه كثير من الطلبة، وكان متواضعاً حسن الأخلاق وكان يتعاطا البيع والشرا حتى كثرت لديه الدنيا، وكان كثير الإحسان منها والإنفاق في وجوه الخير، وجَمَع عدة من الكتب نافعة، ما زال على حاله ذلك حتى توفاه الله بالضحي في عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف ولم يُعقِّب.

بنو الأنْبَاري:

ومِن الذراوية الأشراف بنو الأنباري، وهم بيت علم وفضل يسكنون مدينة زَبيد إلى الآن بها جماعة منهم لا أتحققهم لبعد الديار.

---

(١) فراغ بالأصل.

الأشراف النَّعَامِيَة:

وَصْل: ومن أشراف الجهة الأشراف النعامية[1] وهم أهل بيت علم وفضل وصلاح ورئاسة وشجاعة متفرقون في صَبيا ونواحيها كالملحا والعالية والحارة وبيش والذهنا والخبت وأبي عريش ووادي مؤر والزعلية والزيدية والضحي وغيرها من البلدان القريبة والشاسعة، وجدّهم ـ الجامع لهم ولغيرهم من البطون الخمسة المشهورة ـ على بن إدريس كما حقق ذلك السيّد العلاّمة محمد بن الطاهر البحر في «تحفة الدهر» فقال ما لفظه: ذكر الشرفاء العلويين أصحاب وساع آل علي وغيرها من المخلاف وهم خمسة بطون: الفليتيون والعماريون والجعافرة والمثامة والنُعميُون ويجمع هذه البطون الخمسة رجل واحد هو جدهم واسمه علي بن إدريس بن جعفر بن نعمة بن يوسف بن علي بن عبد الله بن داود المحمود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرمه الله وجهه ورضي عنهم أجمعين، انتهى.

ثم أَنَّهُ وصلَ إليّ تحقيق تشجير نسبهم من بعض فضلائهم المُقيمين بِصَبْيَا وهو السيّد العلاّمة محمد بن إبراهيم بن عطيف بعد أن طلبت ذلك منه، وصورة ما كتبه إليّ: هذا نَسَب بني النُعمي آل عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم بن محمد بن سليمان له ثلاثة أولاد: موسى وعيسى وسليمان، ولا عقب لموسى بل ولد سليمان ولدين: عبد الله وكان فقيهاً بمذهبه له طريقة مَرْضِيَّة وكلمةَ مسموعة قُتِلَ ظُلماً فَشُلّت يد قاتله ومرض حتى مات، وأخوه محمد يُعْرَف بحيارش كان أكبر قومه سناً وقدراً وفيه سماحة وحُسن خُلق قَتلُه قومه ظلماً خوفاً من أن يأخذ بثار أخيه، وعيسى بن محمد له ولدان: محمد بن عيسى وأحمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم، وأخوه أحمد بن عيسى العالم المشهور فمن نَسْلِهِ: محمد بن عيسى بن يحيى بن محمد، وليحيى: عبد الرحمٰن بن يحيى وعلي بن يحيى، ومن نسل علي بن يحيى: المكاتله، وحسن بن عبد الرحمٰن له: محمد بن حسن وأحمد بن حسن، ومن أحمد بن حسن: آل العبْسي، ومن نسل محمد بن حسن: عبد الله بن محمد للزراعيه، وحسن بن محمد له من الولد: محمد بن حسن من نسله: آل المحرق، وعلي بن الحسن هو العالم الشهير والبدر المنير هو علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمٰن بن يحيى بن محمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم بن يحيى بن مهنا بن سرور بن نعمه بن

---

(١) واحدهم: نُعْمِي.

عليه بن حسن العابد بن يوسف بن نعمة بن علي بن داود المحمود بن سليمان بن عبد الله الجون بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه. وعلي بن حسن - هذا - جامع لبطون آل علي بن حسن وله أولاد جملة علماء نجباء صالحون إثنا عشر، أعقب منهم ثمانية، وأربعة لا عقب لهم، فمنهم عز الدين وشبير ومحمد والحسين وشمس الدين ويحيى وعبد الرحمن ومحسن أبناء علي بن الحسن، فعبد الرحمن بن علي من ذريته آل المفتي الساكنون ببيت الفقيه، ومحسن بن علي من ذريته السادة أهل المنير بوادي مور، ومحمد بن علي له إبراهيم بن محمد، وإبراهيم له: حسين وعلى ومحمد أبناء إبراهيم، وعز الدين بن علي له: إسماعيل ومهدي وحسين أبناء عز الدين، وشبير بن علي له خمسة: إسماعيل وعلي وإبراهيم وحسن ومحسن أبناء شبير وهم أصول آل محمد بن عيسى، ويحيى بن علي له خمسة أولاد جامعون لبطون السادة أهل الخلا منهم حسين بن يحيى إليه آل يحيى بن حسين وأمحمد بن حسين، ويوسف بن يحيى من ذريته الهدلسية سكنة جُمَيْمَا، وآل يوسف الساكنون بالشام إليه آل الشبيري، وحفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى إليه الحفاظية.

وأمحمد بن حسين له ثلاثة أولاد: علي بن أمحمد إليه الكماشم وآل حسن بن هادي وآل إبراهيم بن حسين ومن في درجتهم، ويحيى بن أمحمد إليه السهلة وآل محسن ومن في درجتهم، ويحيى بن حسين له السيّد العلاّمة محمد بن يحيى، وعلي بن يحيى بن حسين من نسله الإمام العلاّمة يحيى بن يحيى صغير، ومهدي بن علي بن يحيى بن علي إليه آل الأسود وآل أبو الأذان وآل مطهر سكان الحقو، وآل مهدي بن علي بن يحيى بن حسين هم آل مطهر سُكّان السراه وآل الأغلط وآل أبو جنبه وأولاد إبراهيم تصادى الساكن بالدهنا. ومحمد بن يحيى له أولاد جملة السيد هادي بن علي وآل عمر وآل أبو قرن ومن ولده الحسن بن محمد صاحب الرسالة التي بحث أولاده فيها على طلب العلم، قال فيها: أولادي أحثكم على طلب العلم، اسمعوا ما أقول وميِّزوا بين الفاضل والمفضول، ومن أولاده: سعد الدين العالم الشهير والبدر المنير إليه آل أبو النور وهم الشوش وإليهم آل علي بن سهل الساكنون بالمَلْحَا[1] يجمعهم يحيى أبو النور بن سعد الدين بن حسن بن محمد بن يحيى بن حسن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم الجامع، ومن ذُرِّيَّة أبو النور خمسة علماء نبلاء منهم السيّد العلاّمة محمد بن سهيل ولا عقب له، وأخوه يحيى ولا عقب له، وحسين بن علي له محمد بن حسين

---

(١) المَلْحَا: قرية من أعمال صَبْيَا بمنطقة جازان.

ولمحمد ولدان مهدي بن محمد وعلي بن محمد، عالمان مشهوران لا عقب لهم. قُتِل مهدي بن محمد شهيداً بقرية أم الحشب قتلتْهُ الفئة الباغية أهل نجران، ومن أولاد علي بن حسن راقم هذه الأحرف. ومحمد بن سالم هذا من ذريته آل مبقش والحوامضه والقباب وآل مكي وآل صعب وآل طراد وآل حسن أهل العشيرة والشعبره والكماكمة. وأكثر السادة النعميين متفرقون في قُرى بيش. انتهى ما حققه السيد العلاّمة محمد بن إبراهيم عافاه الله.

وقد حقق سيرتهم القاضي العلاّمة الحسن بن أحمد عاكش ولكن سلسلة نسبهم التي ساقها مخالفةً للتي ساقها صاحب «تحفة الدهر» السابق ذكرها قريباً وموافقة لما ساقه صاحب التشجير، ولعل ذلك من تخليط النُسّاخ، وصورة ما حققه القاضي حسن بَعْد كلام: اعْلَم أنَّ الأشْرَاف النُعميين هم أولاد نعمة بن فليته بن الحسين بن يوسف بن نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنه ابن أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه في الجنة، قد تفرّعت بطونهم الكريمة في أقطار اليمن والشام وفي صنعاء وصعدة ووادي مَوْر وغير ذلك من مدن الإسلام ومعظمهم بمخلاف وادي بيش، وتدريج اتصال أنساب خلفهم بأسلافهم محفوظة، والمشجرات بتفريع أفخاذهم وعمائرهم مضبوطة، وفيهم البلغاء المصاقعة والأبطال إذا دعيت نزال، وفيهم الكرماء الأجواد، وقد اشتملت على تراجم أعيانهم تواريخ الجهة كالعقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني للوالد القاضي العلاّمة عبد الله بن علي بن محمد الضمدي رحمه الله تعالى، و «الجواهر الحسان تاريخ أبـي عريش وجازان» للقاضي العلاّمة أحمد بن مقبول الأسدي المشهور بأبـي الفضائل رحمه الله تعالى، و «غربال الزمان» للقاضي العلاّمة يحيى بن أبـي بكر العامري رحمه الله[1]، و «خلاصة السلاّف في تاريخ صَبْيَا والمخلاف» للفقيه العلاّمة الأديب أحمد بن محمد النمازي رحمه الله، و «العقد المفصل» للوالد القاضي العلاّمة علي بن عبد الرحمٰن البهكلي رحمه الله، و «خلاصة العسجد» لوالدنا القاضي خاتمة المحققين عبد الرحمٰن بن حسن البهكلي رحمه الله[2]. وكان أول استقرار أوائلهم بالمخلاف السليماني لأنه وَقَع منهم الاستيلاء عليه في أيام الإمام القاسم بن

(١) «غربال الزمان في وفيات الأعيان» ويُدْعَى «غربال الزمان المُفْتَتَح بسيرة سيد ولد عدنان». انتهى به إلى سنة (٧٥٠هـ). وقد حققه ونشره محمد ناجي زغبـي بأشراف القاضي العلامة عبد الرحمٰن بن يحيـى الأرياني وصدر مطبوعاً عام (١٤٠٥هـ).

(٢) «خلاصة العسجد في أيام وحوادث دولة الشريف محمد بن أحمد» منه نسخة في خزانة الجامع الكبير بصنعاء، وقد عمل عليه دراسة الدكتور هاني زامل لنيل الدكتوراه.

علي العِيَاني رحمه الله تعالى بمعاونته وعنايته وذلك في عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة . وقد كان - قبل هذا التاريخ - أمر المخلاف إلى سليمان بن طرف الحكمي وأولاده وإليه نِسْبَة المخلاف السليماني، ثم إليهم من مبتدأ هذا التاريخ - وإلى العشائر من بني عمهم - إلى سنة أربع وعشرين وستمائة، واستقلّ بالمُلك في اليمنِ من هذا التاريخ عمر بن علي بن رسول الغسّاني واستمرت يده ومن بعده من بني غسّان على المخلاف - مُدة ولايتهم - وقدرها مائتا سنة وأربعة وثلاثون عاماً، وبعد انقراض أيامهم قامت دولة بني طاهر الأمويين في اليمن واستمرت من آخر أيام بني رسول إلى أن دخل الجراكسة اليمن، ومدة أيام الجراكسة إثنان وعشرون سنةً، ومن آخر أيامهم كان مبتدأ دولة آل عثمان سلاطين الإسلام على قُطر اليمن، ومدة أيامهم فيه مائة وثلاثة وعشرون سنة. ومن آخر أيامهم - سنة خمس وأربعين وألف - كان استيلاء الإمام القاسم بن محمد على اليمن بأسره وامتدت أيديهم إلى المخلاف السليماني وصار الحل والعقد في أيامهم في المخلاف للسّادة في الفتاوَى والأحكام والنقض والإبرام. واستمرت أيدي الأشراف آل خيرات على هذا المخلاف من سَنَة إحدى وأربعين بعد المائة والألف إلى هذه الغاية، وما زال السادة بنو النُعْمِي مع هذه الدول في المخلاف السليماني هذه المدة الطائلة وهم طبقة بعد طبقة - في كل زمان ومكان - على الإجلال والإحترام، والإعزاز والإكرام، وواجباتهم من الزكاة وغيرها نَظَرَها إليهم يتولّون صرفها في مستحقها لا يتعلق منهم فيها خطاب، ولا يُفتح عليهم في هذا باب، وهم مع ذلك في هذا المقام الشامخ على العز الباذخ، شفاعتهم عند الملوك مقبولة، وأحوالهم في الفخامة والمجد الأصيل معلومة غير مجهولة، لا يغيِّر لهم أحد من ولاة الأمر فضلاً عن غيرهم حال، ولا يكَدِّر لهم في مطلب من المطالَب بال، وهذا أمر معروف عند من اطّلع على أحوال النّاس لا يُدفع، ومكشوف لكل ذي عقل لا يُقنع. انتهى المقصود من كلامه.

ومنهم الآن السيّد العلاّمة القاضي الورع إبراهم بن علي النُعْمِي ويُلَقَّب بابن عُطيف - بالتصغير - ولد عافاه الله بقريته المُسَمَّاة بالعالية من وادي بيش، ونشأ بها على أحسن الأحوال ثم رحل إلى ضَمَد لطلب العلم فقرأ على علمائها ثم إلى زَبيد ثم إلى صنعاء فأخذ على من بها من العلماء حتى صار مشاركاً في جميع العلوم لا سيّما في مذهبهم مذهب الهدوية، ثم رجع إلى قريته العالية والان هو العين الناظرة في جهة وادي بَيْش وصَبْيا وقد ولاه السيّد العلاّمة محمد بن علي بن إدريس القضاء بمدينة صبيا لورعه وأهليته لذلك لأنه مشهور بالورع وعدم المبالاة بالخَلق لا يخاف في الله لومة لائم لكنه قليل التأني في الأحكام فيصدَع غالباً بالحكم قبل تحرير الدعوى، إلا أن غالب أحكامه مُسدّدة لسلامة قلبه وعدم الركون إلى أحد الخصمين،

ثم ولاه السيّد المشار إليه القضاء بمدينة حوض فأجرى الأحكام على وجهها وفي مدته أقيم الحد على سارقين في تلك الجهة وقطعت أيديهما بعد صدور الحكم منه بذلك، ثم أعيد إلى نيابة القضاء بصبيا وهو الآن على ذلك مع الحال المرضي وعمره في حدود الستين، وله ولدان: محمد وعلي.

فأما محمد فمولده كان ليلة السبت السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣١٠ فنشأ في حُجر والده نُشوءاً حسناً فحفظ القرآن وأتقنه ثم أخذ يتفقه على شيخه السيّد العلاّمة الحجة محمد بن حيدر القبّي فقرأ عليه «متن الأزهار» و «شرح الثلاثين مسألة» في أصول الدين وأخذ عنه في أصول الفقه والفرائض، ثم هاجر إلى ضَحْيَان[1] فقرأ على السيّد العلاّمة الإمام الحسين بن محمد الحوثي[2] في شرح الثلاثين مسألة، وفي الفرائض على السيّد العلاّمة الحجة محمد بن يحيى الصعدي[3]، وفي الفقه والنحو على شيخه العلاّمة علي بن حسن بن أحمد الضمدي، وله مشايخ غير هؤلاء، وممن أخذ عنه والده العلاّمة إبراهيم بن علي في «متن الأزهار» إلى كتاب البيع، وهو الآن مُكب على الطلب زاده الله من فضله

وأمّا أخوه علي فمولده يوم الجمعة وقت السَحَر لثمانية وعشرين ليلة مضت من جمادي الآخرة سنة ١٣١٩ وهو الآن مُكب على طلب العلم برغبة وإقبال، حفظ «ألفية ابن مالك» عن ظهر قلب، وقرأ شرحها لابن عقيل و «شرح الأجرومية» ووقت رَقْم هذا وهو في أثناء قراءة «متن الأزهار» عافاه الله.

ومنهم جدّه ـ أبو أبيه ـ السيّد العلاّمة علي بن إبراهيم بن عطيف، وقد ترجمه شيخ الإسلام حسن بن أحمد عاكش في تاريخه «عقود الدرر» فقال: هو السيّد العلامة العظيم والأديب الذي تلقّي جواهر المعاني بذوق سليم، الناهج في منهج التقوى بسعي قويم. لازمني بالقراءة في الفقه والنحو مدة فجادت يده في العالمين وقرأ عليْ السيّد العلاّمة أحمد بن محمد الضحوي في النحو وغيره وكان لا يفتر عن الدراسة حتى تَرَقّىْ من العلم أرفع المراتب، ونال من المعارف ما طلب. وعانا الأدب، فَنَظَم الفرائد، والتقط من درر الشعر الشوارد، وأملى عليْ كثيراً من «سنن أبي داود» ومن «شفاء الأوام في أحاديث الأحكام» وطَلبَ الإجازة فأجزته لأهليته،

---

(١) ضَحْيَان: بلدة كبيرة مشهورة في الشمال الغربي من مدينة صعدة بمسافة (٢٢) كيلاً.

(٢) حسين بن محمد الحوثي: عالم مبرز في علوم كثيرة، وأصله من آل نهشل أهل مدينة حوث ثم انتقل إلى ضحيان سنة (١٢٩٥هـ) وسكنها إلى أن توفي بها سنة (١٣٢٩هـ).

(٣) محمد بن يحيى الصعدي: عالم محقق في الفقه، له مشاركة في الأدب. وقد توفي سنة (١٣٥١هـ).

وتحر مدته يتقل من أبي عريش إلى قرية العالية - من قرى المخلاف السليماني - وتولى قضاء صبيا ومخلافها، وحُمِدت سيرته، وما زال منكِّراً لنه والجمود ونشكل من إنمائل ويورد عليّ من فوائده فواصل، ومن جملة ذلك هذه يراجعني بما أشكل من إنمائل ويورد عليّ من فوائده فواصل، ومن جُمْلة ذلك هذه القصيدة بعد أن بعهُ عن عتاب عليه في تركه تواتر المعاهدة فأرسل إلى الحقير هذه القصيدة البديعة وهي كبيرة، قال:

أنتم ترياق قلبي والدوا ... ب حلول السمح من كاظمة

فيكم صحة جسمي والقوى ... أنتم روح حياتي أبدا

ما تبقى من تباريح الجوى ... وضياء العين أنتم ولكم

لاتحاد الذات ديناً قد روى ... قد سلكنا في الهوى مذهب من

هو ديني في اعتقادي والهوى ... واعتزالي صحبة من غيركم

وهي طويلة جداً وقد شرحتها شرحاً واسعاً، وأجبت عليه بقصيدة على وزن قصيدته المرسولة إليّ فقلت:

نظمك العالي لِدُرٍّ قد حوى ... وتذكّرنا به عصر اللوا

حيث كنا في اجتماع رائق ... لم نُروَّع بصدودٍ ونَوَى

فعسى نرجع أيام اللقا ... وبها ننشر ما كان انطوى

فهذا ما تحصّل على عجل، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم. انتهى ما ترجمه به القاضي حسن نفع الله بعلومه.

ومنهم السيّد الإمام العلاّمة محسن بن علي بن شبير النُّعْمِي ترجمه القاضي حسن - أيضاً - في «عقود الدرر» فقال: هو من أكابر العلماء ومن ناطح بمعاليه نجوم السماء، طلب العلم ببلده قرية الدَّهْنَا[1] على مشائخ العلم في زمانه وحقق في الفروع الفقهية حتى صارت تشدّ إليه الرواحل من كل قطر للأخذ مما فتح الله عليه من العلوم وهو يلقنهم بفوائد المنطوق والمفهوم وقد تَخرّج به جماعة من أهل المخلاف السليماني فصاروا ببركته فقهاء نحارير، وكان المرجع في الفتوى والأحكام والمُعوَّل عليه في كشف المُشكل في النّقض والإبرام مع ما رُزق من الجلالة والعظمة في صدور الناس، وانتشرَ من صيته وحُسن فضائله في جميع الآفاق ما لا يبلغه غيره من الأقران لا سيما وعصره فيه علماء نحارير وبلغاء هم فخر الزمان على كل تقدير ولكنه كان هو المُشار إليه بالبنان، ومَنْ إليه الحل والعقد فيما عَظم من الأمور وهان. فهو وإن كان من العلماء فهو من الملوك في قبول قوله لا ينازعه في أحكامه وفتاويه أحد

(١) الدّهنا: من قرى العالية بمنطقة جازان.

الأمثال، وله أسئلة إلى شيخ مشائخ الإسلام السيد محمد بن إسماعيل الأمير، من مُذاكرة حسنة. وقد أجاب برسالة أظهر في تلك الجوابات صريح الحق بمُلطف مقالة. وفي آخر مدته جَرَى عليه من الامتحان ما سببه فارق الأوطان وذلك بسبب الفتنة الواقعة بين السادة النعميين وبين أهل المحلة[1] التي عمت وطمت بين الفريقين واستمرت نحو سبع سنين، وسبب ذلك أن بعض السادة أرفق رجلاً من البدو المسلمين بآل عيسى ومضىٰ به إلى قرية المحلة، وكان لأهل القرية ثارات عند البدو المذكورين وقد قتلوا جماعة من أهل المحلة فلمّا شعروا بالبدوي اعترضوه وقتلوه زاعمين أنه لا يتم للسادة عليهم إرفاق، وفرّ السيد إلى عشيرته فلمّا أخبرهم بالواقع عَظُم عليهم الأمر لاعتقادهم أنهم كُبَرَاء المخلاف وأنهم يُجيرون على أهله من غير شقاق ولا خلاف، وقُتِلَ في هذه الفتنة الكثير من الأعيان وحُرقت أكثر القرى التي بالمخلاف، وارتحل السادة النعميون، والمُترجَم له رَحلَ إلى مكة المكرمة وبعد عَوْده من الحج تلقّاته أصحابه بقرية الذَّرْب أو عِتْوَد ودخلوا إلى بني شعبة فحصل التلقّي لهم والوعد بالمظاهرة على عودهم، وفي أثناء ذلك توفي المترجم له بقرية الذَّرْب في السنّة الثالثة بعد المائتين والألف، رحمنا الله وإياه وكافة المسلمين. انتهى ما ترجمه به القاضي حسن. نفع الله بالجميع.

ومنهم السيّد العلاّمة ناصر بن محمد بن علي بن عطيف النُّعمي. وَفَدَ علينا بالمُنيرة في شهر شعبان من عام سبعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف مُهَاجِراً لطلب العلم، فقرأ و «شرح الرحبية» للسبتي في الفرائض و «متن الأجرومية» و «عقيدة ابن مطير» وأملىٰ عليّ حصة من «صحيح الإمام البخاري» وهو الآن في أثناء الإملاء وله فهم وإقبال على الطلب ورغبة زائدة لا يَفْتُر من القراءة والمطالعة وعمره نحو ثلاثين سنة، ثم بعد رَقْم هذا هاجرَ إلى صَبْيَان فأخذَ عن علمائها ثم رجع إلى بلده قرية العالية فلازم شيخه السيّد العلاّمة محمد بن حيدر القَبِي فقرأ عليه في عدة فنون وما زال على ذلك إلى تاريخ هذا وهو سنة ١٣٣٥هـ. وقد رُزِقَ ولدين أحدهما اسمه محمد وُلِدَ سنة ١٣٣٣، والثاني اسمه حسين وُلِدَ يوم الجمعة سنة ١٣٣٤.

ومنهم السيد الأجل الفاضل عبد الرحمن بن ظافر وُلِدَ بالعالية وتَفقّه بالسيد العلاّمة إبراهيم بن يحيى النُّعمي في الفرائض، وحَفَظ «متن الأزهار» عن ظهر قلب حتى نَجَب وصار مشاركاً في عدة فنون، وهو الآن عامل من طرف السيّد العلاّمة محمد بن علي بن إدريس في بعض جهات صَبْيا عافاه الله.

ومنهم السيّد الفاضل الصالح بل الولي الكامل حيدر بن ناصر بن هادي القبي

---

(١) المحلّة: من قرى صَبْيا بمنطقة جازان.

النعمي. كان رحمه الله له من التقشف والمجاهدة والصبر على العبادة والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ما يدل على أنه من أهل الولاية، مع ما كان في يده من كثرة المال وعرض الدنيا ولكنها كانت في يده لا في قلبه. وما زال مقبلاً على الآخرة إلى أن توفاه الله بعلة الجدري ليلة السبت غرة شهر جمادي الثانية سنة ١٣٣٥ رحمه الله ونفع به آمين، عن ستين سنة وثلاثة أشهر، وقد حصلَ له عند موته من الثبات والبشارة ما يدل على أنه من أهل السعادة، ورُوِيَت له بعد موته مرائي صالحة منه، وقد هاجر إلى مكة والمدينة خمسة أشهر وحَجَّ مراراً رحمه الله.

ومنهم ولده السيّد العلاّمة الشهير والبارع المحقق النحرير، بدر الإسلام المنير، القاضي السيّد العلاّمة محمد بن حيدر القبي ولد عافاه الله بقرية الملحا ـ من أعمال وادي بيش ـ في سنه . . .[1] وبها نشأ في حُجر أبيه على أحسن الأحوال ثم شرع في طلب العلوم بذهن وقّاد وذكاء كذكاء الشمس وفهم ثابت لتحصيل العلوم مطاوع منقاد وذلك قبل بلوغه سنّ الحلم، فأخذَ أوّلاً في هجرة القِمْرِيّ ـ من هِجَر ضَمَد ـ على يد القاضي العلاّمة حسن بن أحمد بن علي الضمدي من ذرِّيَّة العالم المشهور صاحب الوُسَيْلَة محمد بن علي بن عمر فقرأ عليه «متن الأزهار» وحفظه عن ظهر قلب وأخذَ عن غيره كالقاضي العلامة ولده علي بن الحسن بن أحمد الضمدي، والعلاّمة عبد الرحمن بن محمد الأساس الكناني، والقاضي العلاّمة محمد بن علي بن يحيى بن عبد الكريم الزكري. ثم أنَّهُ رحلَ إلى أبـي عريش فأخذَ عن القاضي العلاّمة الحُجة الحافظ إسماعيل بن حسن الشهير بعاكش في «متن الرحبية» في الفرائض، وسمع الدرس في «الإحياء» للغزالي بقراءة غيره عليه، وفي خلال تلك المدة رحلَ إلى صعدة فوصل إلى ضَحْيان في عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف فلقي بها علماء جهابذة أرباب العلوم النافعة على اختلاف فنونها فأخذ عنهم في كل فن، فممن أخَذ عنه القاضي العلاّمة مصلح بن درمان الساكن بالغرابين ـ محل بالقرب من ضَحْيَان ـ قرأ عليه في «كنز الرشاد» في علم الباطن للإمام عز الدين بن الحسن تلميذ الحافظ العامري المشهور بِحَرَض، وفي «حقائق المعرفة» للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان[2] المقبور بخولان وفي «متن الأزهار» وشرحه و «الفرائض» و «شرح الأساس» وكانت هذه القراءة في أوان بلوغه سن التكليف، ثم في أثناء هذه

(١) فراغ بالأصل.

(٢) أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن أحمد بن أحمد بن يحيى بن الحسين، الإمام المتوكل على الله، إمام الزيدية، شاعر مشارك في عدة من العلوم، توفي بحيدان سنة (٥٦٦هـ). من تصانيفه: أصول الأحكام.

الم... ـيهم مدة هاجر كرّة أخرى إلى ضحيان فلازَم القراءة بجدٍ واجتهاد على علماء أجلَّة جُمْلة فمنهم السيد العلاّمة الولي المجتهد الحسين بن محمد أمير الدين الحوثي الحَسَني، تخرّج به وانتفع به انتفاعاً عظيماً وأقبلَ عليه إقبالاً كُليّاً وأخذَ عنه في دروس متعددة وله منه إجازة، ولحظوته عنده كان إذا حضر مجلس درسه هو المتولي للقراءة وقد ذكَر في رسالته التي سمّاها «تحفة الناظر وبغية المناظر» الآتي ذكرها إن شاء الله أن شيخه المذكور قد توفي في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول في ضَحْيَان سنة ١٣٢٩ بعد أن أثنى عليه بكثرة العلم والولاية والصلاح. ومن مشائخ صاحب الترجمة السيّد العلاّمة البدر عماد الإسلام يحيى بن حسن بن الطيب الذَرَوي الحَسَني، قرأ عليه «شرح القطر» لابن هشام وحاشية السيد على الكافية وشَرْحَيْ الكافل للسيّد أحمد بن لقمان، والفقيه أحمد بن يحيى حابس وشرح الغاية وغيرها. ومنهم السيّد العلاّمة جمال الإسلام علي بن يحيى العجري المُؤَيّدي قرأ عليه في «الثلاثين المسألة» للسحولي ومؤلّف القاضي العلاّمة حسن بن أحمد عاكش في الأصول المُسمَّى «جواهر القلائد» وقد امتدحَ شيخه المذكور بأنه بلغ رتبة التحقيق، ونَاظَرَ العلماء بالفهم الدقيق، وأنّ له جملة مؤلفات، وأنّ له إقبالاً تاماً عليه وكان يناديه بالحبر. ومنهم السيّد العلاّمة الفهامة المحقق الأصولي الحسن بن يحيى القاسمي قَرأ عليه نحو النصف من «القَطْر» لابن هشام في النحو و «إبطال العناد» لإسحاق العبدي والأصولين والمعاني والبيان والصرف، وأجاز له إجازة عامة، ومنهم السيّد العلاّمة إمام أهل الاستقامة صَفي المِلّة وبرهان الأدلة أحمد بن يحيى العجري المؤيدي لازَمهُ في قراءة الفقه والفرائض خاصة من أول هجرته إلى ضَحْيان إلى أيام رجوعه إلى وطنه وقد أجازه إجازة عامة، ومنهم بالاجازة صنوه العلاّمة المفضال عبد الله بن يحيى العجري المؤيدي، ومنهم السيّد العلاّمة الفهامة فخر الآل الملامتي الحجة الباهرة المتقشف المتشوق إلى الاخرة عبد الله بن عبد الله المؤيدي العنثري، وصنوه العلامة وجيه الإسلام عبد الكريم بن عبد الله المؤيدي العنثري، وقد طالت ملازمته للأول وله مع الثاني ملازمة سيرة ولكنه أثنىٰ عليه بأنه بلغ درجة الاجتهاد وناظَرَ العلماء النقاد وأنّ له مؤلفات في سائر الفنون لا سيمّا علمي المعاني والبيان وعلم المنطق مع أنّ سنه لم تتجاوز العشرين سنة وله منهما إجازة عامة، ومنهم أخوهما السيّد العلاّمة وجيه الإسلام عبد الرحمـٰن بن عبد الله العنثري أخَذَ عنه في المجموع الفقهي الحديثي وعدة الأكياس للسيّد الشّرفي، ومنهم القاضي العلاّمة الحافظ الحجة مرجع الأسانيد في هذا العصر علامة الشيعة وقمر الشريعة شيخ الإسلام محمد بن عبد الله بن علي بن علي بن لطف الله الغالبـي الصنعاني قرأ عليه ولازمه ملازمة جد واجتهاد

وقرأ عليه [illegible] ولا كتب [illegible] منه فوائد اختصه بها دون سائر الطلبة وأجازه إجازة عامة
وقد نعته بأنه [illegible] القصوى في كل فن وأحاط منهما بما تقصر عنه أرباب الإدراكات
القوية [illegible] أحد بأكثرها حتى باللغات الفارسية نفع الله به، ومنهم صنوه القاضي
العلامة المفتي سلطان الآل صارم الإسلام إبراهيم بن عبد الله الغالبي أخذَ عنه
وأجازه إجازة عامة مطولة وقد نعته صاحب الترجمة في رسالته السابق ذكرها بأنه
نادرة زمانه لأنه برز على أقرانه وسُمّي عند أهل عصره بالمحب الطبري وأنه أعلا
درجة في العلم من أخيه السابق، ولصلاح نيته وصدق لهجته بذل مهجته لنصح الأمة
من أهل البلدان الذين صار عندهم الإسلام غريباً كبني مَالك وفَيْفَاء، فهدَى الله على
يديه كثيراً منهم وبنيت فيهم المساجد وتُلِي فيها القرآن وعَبدَ الله جهراً بعد أن كان لا
يقدر أحد أن يجهر بالأذان فيها!! حتى كانت وفاته بها غريباً عن أهله رحمه الله ونفع
به، ومنهم بالإجازة العامة السيّد العلامة أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين
محمد بن عبد الله الوزير أجازه إجازة عازمة في جميع العلوم، ومنهم القاضي العلاّمة
شيخ الإسلام علي بن علي بن أحمد بن علي اليماني اليَدُومي الصنعاني لقيه بمدينة
صنعا عند توجهه إلى حج بيت الله الحرام فأجازه إجازة عامة في سائر العلوم، ومنهم
العلامة الحلاحل البحر الذي ليس له ساحل الولي عبد الله بن أحمد العنثري المؤيدي
قرأ عليه تفريج الكروب في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب وأكثَر
«الاعتصام» وتتمته وأكثَر «شرح التجريد» و«نهج الرشاد» للإمام علي بن الحسين
الشامي اليحبوي و«موازرة الأخوان» و«سلوة العارفين» للموفّق بالله وكتاب «الذِكر»
لمحمد بن منصور المرادي وغيرها وأجاز له.

فهؤلاء من نَمى إلينا خبره من مشائخ صاحب الترجمة وله مشائخ غيرهم، وقد شرّفني الله سبحانه ـ وله الحمد ـ بأن أجَلْت نظري الكليل وأمعنت الفكر بذهن فاتر عليل فيما نَمقَتْهُ أيدي مشائخه الأعلام وحَرَّرته أقلام جهابذة كرام من إجازاتهم له الشاملة للثناء عليه بما دلّ دلالةً واضحة على أنه بلغ القصوى من العلوم ووقفَ بذهنه الوقّاد على حقيقة المنطوق منها والمفهوم. وقد كان مقصودي استيعاب نقل ذلك في هذا المجموع تَشرُّفاً بِما حوته من كل معنى على هام السماك مرفوع، فأحجمت عن ذلك خوف الإطالة لا إعراضاً ولا ملالة، واكتفيت بالوقوف على ساحل ذلك البحر والتقطت منه فرائد يحق لها أن توضع على قمة الاكليل لاَ على النَحْر، وخَاطَبت نفسي متمثلاً بقول الطغرائي من قصيدته المُسَمَّاة بلامية العُجم:

يهم اقتحامكَ لُـجَ البحـر تـركبـه   وأنـت تكفيـك منـه مصـة الـوشـل

وبقوله من القصيدة أيضاً:

فنفحـــة الطيـــب تهـــدينـــا إلـــى الحلـــل

وكانت مدة هجرته إلى ضحيان أحد عشر سنةً تقريباً، وفي خلالها كان يفد إلى بلده لزيارة أبويه وعشيرته وفي مدة الزيارة قرأ غالب «صحيح البخاري» على شيخه القاضي العلّامة إسماعيل بن حسن عاكش، ووافق وصوله في بعض المرّات قدوم السيّد العلّامة الحُجة إمام العصر محمد بن علي بن إدريس من المغرب إلى صَبْيا فقرأ عليه «المصطلح من شرح القسطلاني على البخاري»(١) من الجزء الأول منه من البداية إلى النهاية إلاّ ما ندر، وحديث «إنما الأعمال بالنيّات» من أول البخاري ووريقاتٍ من «القَطْر» لابن هشام في النحو، وأجازه في جميع العلوم معقولاً ومنقولاً أصولاً وفروعاً وغير ذلك، وقد ذكَر أنه أودَع أحوال شيخه المذكور في مؤلفات جَمّة لمن أراد الاستقصاء. ومن مشائخه الذين أخذَ عنهم أيام تردده إلى بلده: الفقيه العلّامة الشيخ سالم بن عبد الرحمٰن الحضرمي الشبامي الشافعي فإنه لازَمهُ وقرأ عليه الجزء الأول من «إحياء علوم الدين» للحجّة الغزالي إلاّ وريقاتٍ منه وأول البخاري إلى حديث «إنما الأعمال بالنيات» والجزء الأول من «رسالة القشيري» المشهورة ثم أجازه إجازة عامة.

ولصاحب الترجمة ـ عافاه الله ـ رسائل جَمّة، فمنها رسالة سمّاها «تحفة الناظر وَبُغية المناظر» ذكَر فيها غالب مشائخه وإجازاته التي جرت له منهم وهي التي نَقلت منها ما حررته في ترجمته هذه، ومما ذكره فيها أنه قد كان له تعلق بكتب الأخبار وأنه قد ألّف فيها رسائل متعددة، منها نسخة في تعداد مشائخه سمّاها «عقود الجمان» وأخرى في تتميم التشاجير وأنّهُ قد عزمَ أن يترجم لأهل العلم وعاقهُ عن ذلك عوائق جَمّة فأحجم، ومن رسائله ما جمعه في سيرة شيخه السيد الإمام محمد بن علي الإدريسي وأحواله، ومن ذلك حاشية على متن الأزهار سمّاها بأسمين أحدهما «عيون الأنهار المتدفقة على حدائق الأزهار» وثانيهما: «مختصر الوشاح من تعليق ابن مفتاح وما انضم إليه من الحواشي الصحاح». هذا ما بلغني من مؤلفاته، وأمّا الرسائل والمكاتبات التي جرت بينه وبين جهابذة العلماء من مشائخه وزملائه في الطّلب من أهل صعدة وغيرهم المشتملة على العلوم واللطائف والأشعار فذلك شيء لا يكاد يُحْصَر تبلغ مجلداً وقد أفاد أنه جَمعها في كتاب مستقلٍ، وقد عثرت من مكاتباته المذكورة على قصيدة فريدة امتدحه بها القاضي العلّامة البليغ علي بن حسن بن أحمد بن علي الضمدي ومُجيباً عليه، فأحببت إثباتها هاهنا وهي

---

(١) اسمه: إرشاد الساري على صحيح البخاري» في نحو عشرة أسفار كبار.

مـ غـردت ورق على الأغصـان ... إلاّ وقلبـــي دائـــم الخفقـــان

شرف بـ..ـى وادي العقيـق وصـالـه ... ونشـامــه وخــزامــه والبـــان

ومفـرح للأنـس حـول كنـاسـه ... ومــلاعـــب الغــادات والغــزلان

أيـام لا واش ينـم بـوصلنـا ... وحــديثنـا مــن حــاسـدٍ أو شـان

والشمـل مجتمـع بمعسـول اللمـا ... خـالي الرضـاب معقـرب الصـدغان

.. مسـرب بمعـرج النـوا ... حيــث التقينــا طلعـــة النســران

والليـل قـد نشـر الطـلا مطـارفـا ... سترت على الصب العميـد الجـاني

والكـل منـا قـد قضـى أوطـاره ... بتعــانــق يشفــي بـــه الــولهــان

وشـدتهـا زنـدي اليسـار مُقبِّـلاً ... ثغـراً حـوى مـا حـل فـي الأدنـان

خمـر ولا خمـر وشهـد بـارد ... ومعتـــق دارت بـــه الأزمـــان

ويـدي اليميـن تعبثـت بسـوالـف ... مـــرت علـــى رُمَّـــانـــة الشـديـان

إن رُمـت نسـأل مـا جرى مـا بيننـا ... كمحــاســب لمــواهــب الــرحمـان

فـي ليلـة قصـرت وكـان مـرامنـا ... مــن طــولهــا نقضــي بهــا شنئـان

والنفـس قـد شغفـت بضـم حبيبهـا ... ومــدامــع المحبــوب كــالغــدران

حتـى تَبـدّى الصبـح طـالـع نـوره ... مــن نــور عــز الـديــن ذي العـرفـان

عـز الهـدى بـدر الـدجى من انجبت ... أمّ لـــه والعـــالـــم الـــربّـــانـــي

محيي المدارس بعد طول خمولها ... ومُجـــدِّداً لمعـــالـــم الأديـــان

يـا بـدر يـا محيـي العلـوم بأسرهـا ... فِقهــاً ونحــواً صَــرْفهــا ومعــان

كلّفتنـي نَظْـم القـريـض ولـم أكـن ... يـــا سيـــدي مـــن أهـــل ذاك الشـــان

ـنـي فكـرة قـد أخْمَـدت نيـرانهـا ... نُـــوَبُ الـــزمـــان وكثـــرةُ الحَـــدَثـــان

لكـن تَكلَّفـت الجـواب ومَقْصَـدي ... سِتــراً لـــه وأنـــا المُســـيء الجـــانـــي

لا زلـت فـي سعـةٍ وأرغـد عيشـةٍ ... وكـــرامـــة مـــن ربنـــا المنّـــان

ثـم الصـلاة علـى النبـي وآلـه ... مـــا غـــردت ورقـــا علـــى الأغصـــان

انتهت ولله در قائلها، وبالجملة فصاحب الترجمة قد تَضلّع من نافع العلوم ما فتح به عليه الحيّ القيّوم فصار نادرة في هذا الزمن الذي قد صار عاقراً عن أن يلد مثل هذا العالِمْ الرباني في قطر اليمن، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء:

حَلَـف الـزمـان ليـأتِيَـنّ بمثلـه ... حَنَثَــت يمينــك يــا زمــان فَكَفِّــرُ

ولا غرو فهو من جيل قد امتطوا صهوة العلوم والمعارف وتَسنّموا ذروة السؤدد والمجد التليد منهم والطارف، فهو عصامي وعظامي، وعلى أقرانه في كل فضل شامخٍ وسامي، فلله دره من عَالِمٍ قد حاز قصب السَّبْق في ميدان عِلْمي المعقولَ

والمنقول، وجلّيَ في حلبة فنَّيْ الفروع والأصول. وقد تطفلت على امتداحه بأبيات ركيكة المَبْنَى صحيحة المعنى، فأحببت إثباتها هنا وهي:

إلى كم أُرَجّي الوصل والفصل حائل ... وكم أرتجي طيب اللقا وأحاول
فمن فُرط أشواقي إلى ساكني الحِمَى ... تضاءل جسمي إذ غدا وهو ناحل
إذا اذكر القلب الوصال تصاعدت ... له زفرات في الحشى تتواصل
يبيت إذا ما الليل جن بلوعةٍ ... قتيل اشتياقٍ هيّجته بلابل
إلى سفح ذيّاك الحِمَى وزروده ... وبان المصلّى ليس يثنيه عاذل
فكم بين أشواقي وبين أحبّتي ... مَهامه تطويها عتاق عوامل
فهل رحموا صبًّا تطاولَ شوقُهُ ... وعاضده وجدٌ وسهد قواتل
رَعَى الله من بالبَيْن مَزّق مهجتي ... فقد فتّ أحشائي جوًى متواصل
وعن لاعج الأشواق تنبي شواهد ... دموع وأسقامٌ وجسمي ذابل
أبيتُ كأنّي ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم قاتل
سأصبر حتى يعلم الصبر أنني ... صبرت ولكن للتواصل آمِل
متى تسعد الأيام بالوصل واللقا ... ببحر علومٍ ما له قط ساحل
هو الحُجة السامي الهمام محمد ... نمته أصول طاهرات أفاضل
أجلّ بني النُعميّ من آل حيدرٍ ... على فضله والله قامت دلائل
إمام علومٍ جلّ وصفاً فما له ... نظيرٌ يحاكيه ولاَ مَنْ يماثل
وقد فاق قَساً في الفصاحة يافعاً ... وها هو في بُرد البلاغة رافل
تَفنّن في علم الشريعة لابساً ... دروعَ التُقَى للذَّب عنها يناضل
وأحيا دروس العلم بعد دروسه ... فنارت به والجهل كالليل سادل
وزادت به الملحاء حُسْناً ونضرةً ... فمعالمها فوق المجرّة نازل
خِضمٌ من العرفان ليس لقعره ... مقر وللدار النفائس باذل
إذا عُدَّ أهل العلم قيل محمدٌ ... وإن عُدّ أهل الفضل من ذا يُفاضِل
إليكم أسيْر الود وأهدى ركيكةً ... هو الوشلي من جيّد الشعر عاطل
ومن حُسن ظني بالقبول بعثتها ... فستراً جميلاً فالمقصّر آمل
وعطفاً وإن شط المزار فأنني ... لكم ذو ودادٍ للرسائل سائل
ولا بأس بالأشباح إن ما تباعدت ... إذا صح بالأرواح منها التواصل
ولا شك فالأرواح جُندٌ مجنّد ... تَعارفَ منها ما قتضاه التقابل
فلا زلت مرفوعاً وذكرك في الورى ... رفيعاً على هام السماكين طائل
ودُمْ ناشراً في الخلق شِرعة أحمدٍ ... وسنتهُ تتلو البكور اصائل
وصلِ على خير الأنام محمدٍ ... مع الآل والأصحاب ما جاد وابل

بليـــلٍ وصـــحٍ أو تغيّـــب آفـــلِ

وسلــه عنبــه كلمـــا ذرّ شـــارقٌ

انتهت. وهو الآن موجود وعمره نحو الثلاثين سنة مُلازم للتدريس والإفادة والاستفادة في تلك الجهات الشامية مع القيام بوظيفة القضاء من طرف السيّد الإمام العلامة الحُجّة محمد بن علي بن إدريس بسيرة حسنةٍ مع النزاهة والعفة والورع عافاه الله ونفع به وكثّر من أمثاله آمين.

ومنهم أخو صاحب الترجمة شقيقه السيّد العلاّمة الناسك المتأله ناصر بن حيدر القبي النُعمي طالب راغب نجيب قرأ على أخيه صاحب الترجمة وغيره من علماء الجهة وله إقبال تام على الطلب ورغبة زائدة بصفاء ذهن وفهم ثاقب، وله إقبال على مولاه مع أنه في ابتداء سن الشبيبة لم يتجاوز عمره عشرين سنة وما ذاك إلا من علامة السعادة وفي الحديث «عجِب ربك من شاب ليس له صَبْوَة» وفي الحديث الآخر في «السبعة الذين يُظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ما لفظه: وشاب نشأ في عبادة الله انتهى. ثم بعد أن رَقمت هذا بلغني أنه رحلَ إلى الأهْنُوم والمَدَان وضَحْيَان لطلب العلم فأخذ عن علمائها بذهنٍ وقّاد، ولشدة ذكائه أدركَ في مُدّةٍ يسيرة ما لم يدركه غيره في مدة طويلة، وهو هدوي المذهب فمما قرأهُ في أصول الفقه على العلاّمة لطف بن محمد شاكر «شرح الكافل» ثلاث مرّات، وشَرَع في غيب «الغاية» إلى أثناء المقاصد، ومما قرأهُ عليه في النحو «شرح الأجرومية» على سنن الطالبي و «شرح البحرق» أعادهُ ثلاث مرّات و «قَطْر ابن هشام» بشرحه أعَادَهُ ثلاث مرّات و «الفاكهي» وحاشيته، بعد أن حفظ «الحاجبية» عن ظهرِ قلب، ومات شيخه المذكور قبل إتمام قراءة الحاشية والفاكهي فأكملهما على العلاّمة محمد بن أحمد بن حميد الدين والعلامة أحمد بن عبد الله الكبسي وقرأ عليهما ايساغوجيّ وجوّد من كتاب الله الكريم شطراً، وقرأ «مجموع زيد بن علي» على السيّد أحمد بن عبد الله الكبسي، وله مقروءات على مشائخه أهل هجرة ضَحْيَان وغالب قراءته في الفقه والفرائض على أخيه السيّد العلاّمة محمد بن حيدر، ولم يزل مهاجراً لطلب العلم حتى أراد الله له الدار الآخرة فتوفي بالمدان[1] لثلاث مَضَيْن من شهر ربيع الآخر عصر يوم الأحد ـ بداء الجدري ـ من عام أربع وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف عن اثنين وعشرين سنة، وقد رثاه يوم موته جماعة منْ مشائخه وغيرهم فممن رثاه أخوه السيد العلامة محمد بن حيدر القبي بهذه القصيدة البليغة:

لقد فَتّ جسمي من رزيات لم تَرعَا حقوقاً لأهل الفضل بل فَرّقت جَمْعا

---

(١) المَدَان: بفتح الميم والدال، مدينة في جبل الأهنوم شمال مدينة حَجّة، بالقرب من شهارة بها مركز مديرية المدان التابعة إدارياً ـ اليوم ـ لمحافظة عمْرَان.

وشنّت مـن الغـارات فـي كـل بـاكـر ... بجيشٍ من الأحزان ما أحسنت صنعا
وسلّت سيوف القهر في كل موكبٍ ... وقامت تسوم الناس تصفعهم صفعا
فصارى بنـي الأيـام إن يُحسنـوا بهـا ... ظنوناً وحاشا طبعهم يألف الطبعا
فمـن قـاطـن الـدنيـا وسـاكـن أهلهـا ... جـديرٌ بـه خـوف المـآبة والـرجعـا
هـي الـدار لـم تـرعـا مقـام نبـوةٍ ... ولا ملـك بـل صـابهـا مـلأ الجـرعـا
وطـاف حِمـام المـوت مـن بعـد آدم ... علـى أمـم لـم يستطيعـوا لـه دفعـا
فهـذا مُـراد الله فـي كـل نـاطـقٍ ... بحكمـة لا تخفـى وفـوق الجـزا نفعـا
ولـو كـان مـن رزء الحمـام مسلـم ... لكـان رسـول الله حـرمتـه تـرعـا
فكـل مصـابٍ بعـده غيـر كـارث ... وحسبك مَنْ لـولاه مـا بشـر يُـنْعَـا
ومـا همنـي رزء الحمـام لنـاصـرٍ ... لكـن فـرّق الـدهـر صـدّعنـي صـدعـا
أبيـت كـأنـي سـاورتنـي ضئيلـةٌ ... مـن الـرقـش فـي أنيـابهـا سمهـا أفعـا
على الدهر لا عتب مع فوْت ناصرٍ ... كـريـم نَجـار طـاب أصـلاً كـذا فـرعـا
أخـي وشقيقـي وابـنِ أمـي ووالـدي ... ودرعي إذا ضاقت بأهل الورى ذرعا
هـو العـالِـم العـلاّمـة الحَبْـر إنـه ... لا ورعٍ في جدبٍ وإن أخصب المرعى
نشا في طِلاَبِ العلم في خير هجرةٍ ... بِضَخيـان حيّـا رَبْعَهُـم حَيّـهُ رَبْعَـا
تـردد فـي قصـد العلـوم وهمّـهُ ... مـزاحمـة الجـوزاء بـل تـاقهـا رفعـا
وَثَنّـى إلـى الأهنـوم عـزمـاً وهمـةً ... وخـالـف قـول العـاذل المبتغـي طبعـا
ولـم يـرعـوي بـل كـان لله طـائعـاً ... مع البرِ والتقوى ولم يُصغِيَ السّمْعا
أنـاصـر يـا ابـن الطهـر يـا ابـن محمـد ... فقدناك يا مولاي هل نرتجي رَجْعَا
أنـاصـر لـو تنظـر إلينـا بنظـرةٍ ... رثيت لنـا مـن حـزن انجعنـي نجعـا
لقـد كنـت فينـا حُجـةً وابـن حُجّـةٍ ... هلى مذهب الهادي المقرر في صنعا

انتهت. وقد اطّلعت على بعض المراثي فتركتها اختصاراً، رحمهُ الله ونفعنا به.

وقد كان رحمه الله حَسَن الأخلاق قريباً متواضعاً سَلِسْ القياد ذا طَبع مُنقاد ووجه وسيم وكَرَم عميم ومَشْيٍ على الصراط المستقيم، نفع الله به آمين.

ومنهم السيّد الصالح العابد الزاهد المتقشف ناصر بن عقيل بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن حسن بن هادي بن محمد بن المساوَى القبي النعمي الحسني، كان رحمه الله عابداً زاهداً خطيباً فصيحاً بليغاً واعظاً، للقلوب إقبال على وعظه وتأثر، وقد رأى النبي ﷺ فرأى بمنامه صالحات ثلاث مرات على أحسن الصفات فدعا له بالمغفرة والبركات، وله وقفة مع الخَضِر عليه السلام. وكان مقبلاً على الله مُعْرِضاً عمّا سواه، يتلو القرآن آناء الليل والنهار، وله كرامات دوّنها السيّد العلاّمة محمد بن حيدر القبي في تاريخه المُسمّى «الجواهر اللّطاف في أخبار ضَبْيَا

والف في عام خمسة وثلاثين بعد ثلاثمائة والف وكانت وفاته يوم عيد الأكبر في عام خمسة وثلاثين بعد ثلاثمائة والف بمخلاف وحضر جنازته وصلى عليه أكثر من ألف نفس، وقد بقرية المحد من أعمال صنبا، وحضر جنازته وصلى عليه أكثر من ألف نفس، وقد عظم المصاب بموته للمسلمين رحمه الله آمين.

فصل ومـمن سكن منهم مدينة الزهراء - من أعمال الوادي مور - السيّد العلاّمة يحيى بن حمدو النُّعمي كان رحمه الله متفنناً في جميع العلوم النحوية، رحل إلى صعداء ثم إلى صعدة لطلب العلم فأدرك كثيراً من في مذهب الهدوية، وقد حفظ برع وفهم ثاقب حتى برَع، وكان يعد نفسه ممن تأهل القوى شعر وقد وحفظ المعروفة لديهم فيمن يستحق بها أن يتولّى الإمامة، وكان للإمامة الجامعي للشروط المعروفة لديهم فيمن يستحق بها أن يتولّى الإمامة، وكان له معرفة تامة بعلم الفرائض، وحفظ امتن الأزهار، عن ظهر قلب، وتولّى القضاء بمدينة الزهراء مرات، وله بجهة الوادي مور أرض واسعة كان يتعانى الزراعة فيها ثم انتقل من الزهراء إلى قرية الغرزة وما زال بها إلى أن توفي رحمه الله ودُفن بها.
وخلف من الأولاد محمداً والرشيد، فأمّا محمد فكان فاضلاً فيه مجد وكرم لا يخلو من المعرفة بما يصلح به الدين ثم توفي رحمه الله بالغرزة، وأمّا الرشيد فهو موجود الآن على خير يعاني الزراعة في الوادي.

ومنهم السيّد العلاّمة أحمد بن هادي النُّعمي كان فاضلاً يتولّى القضاء بالزهراء ولم أتحقق كمال سيرته.

ومنهم السيّد الجليل الفاضل النبيل عبد اللطيف بن علي بن حسن النُّعمي كان رحمه الله عالماً عارفاً له معرفة تامة بعلم الحساب والفلك وله فهم ثاقب وذهن وقّاد أدرك به دقائق الحساب في الفلك، ولم أقف على كمال سيرته.

ومنهم السيّد الجليل الصالح العابد الناسك إسماعيل بن محسن النُّعمي له عدة الله من العبادة والتنسك والتقوى والورع ما فاق به غيره، وله إقبال في البيع والشراء يتصدق منه صدقات خفيّة، وبنى مسجداً بالغِرْزَة بالحجر بجانب بيته وقام بكفاية المسجد ومحتاجاته وكفاية المهاجرين فيه وإن كثروا، وهو الآن موجود على الحال المرضي عافاه الله آمين.

فصل ومـمن سكن منهم[1]:

بنو القَبْقَب

أصل خروجهم من القباب - قرية من أعمال بيش - وأول من انتقل منهم إلى الزعلية عمر بن علي الآتي ذكره إن شاء الله، ثم توطّنها واختلط قريتهم الساكنين بها

(١) يقصد: الملحية.

الآن المسماة باللمنة(1) وانتشرت منهم الذرية المباركة وصار منهم العلماء الأعلام والأولياء المشهورون ذوو الفضائل، وشهروا بالصلاح والفلاح وقصود للحكمة وفي الشفاعات عند أهل الزعلية وتلك الجهات، مع الإجلال والإكرام والاحترام [illegible] مناصبهم ومحل معتقدهم. وقد حقق السيد العلامة الحجة محمد بن عبد الله الوزير سيرتهم وأحوالهم وانتسابهم إلى الأشراف النعميين نقلاً ذلك عن العلماء - منهم - الأعلام العارفين بذلك من أهل هذا البيت الكرام وصاحب البيت أدرى بالذي فيه. ولتثبت ذلك برمّته لاشتماله على تحقيق أحوالهم نفع الله بهم. وصورة ما حرره في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده تشمل آله وحزبه وصحابته وجنده، وبعد فإن حفظ الأنساب مما يُعتنى به وقد أمر به الشارع لمواصلة الأرحام، وينبني عليه من الشريعة الغرا كثير من الأحكام، لا سيما النسبة الشريفة المتصلة به عليه أفضل الصلاة والسلام فإنها قد أُختصّت بكثير من الأحكام. يعرف هذا من له بالشرع إلمام، وأنّ ما دار فيه الكلام في هذه المدة: نسب السادة الأشراف الكرام المُلقّبين بني القبقب سكنة الزعلية المُعتقَدين في تلك الجهات العاملين بالإجلال والاحترام، وفي شهرتهم واستفاضة القول بنسبهم مع السلامة من الطعن ممن يُعتدّ به كفاية أيّ كفاية في الانتماء إلى النسب الشريف والدخول في عدهم والانتظام، ولكن لقلة السلامة من الضد سيّما في هذا الزمن الذي كثُر فيه الحَسد، وطالت فيه ألسُن الجهلة الطغام، حَسُن إظهار ذلك وإشاعته كما قيل:

أسَاميا لم تزوده معرفة ... وإنما لذة ذكرناها

فمما يُستند إليه ويحق أن يُعتَمد عليه، تحقيق السادة القادة الثقات العلماء الأعلام نسب السادة بني القبقب المذكورين، ونَصّ ما كتبه السيد العلامة الحجة النَسابة عماد الإسلام يحيى بن حمود النُعمي: وبعد فإن الأخ السيد العلامة أحمد بن هادي النُعمِي طلَبَ مني معرفة نَسب السادة بني القبقب فالذي أخبرني به لي السيدان الأعلمان الفاضلان المُطّلعان: السيد النَسّابة علي بن حسين النُعمي والسيد العلاّمة النَسّابة إبراهيم بن محمد النُعمي بأن السادة بني القبقب الساكنين بلاد الزعلية أنه يرجعون إلى السادة الفضلاء المُلقّبين بالقبقب الساكنين بيش ببلد يقال له اللقة. وهم يُنْسَبون إلى السيّد العلاّمة نعمة الله بن علي بن داود بن سليمان الجواد بن عبد الله البرّ بن الإمام موسى بن الإمام عبد الله الكامل بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي رضوان الله عليهم أجمعين فهذا ما عندي

(1) اللمنة: قرية عِدادها من مديرية النحيّة.

علي بن علي بن حسن النعمي ما أول من سكن ببلاد الزعليّة السيد عمر بن وأحدث به عنهما. هذا آخر تحقيقه وقال أنّ

وصورة ما كتبه السيد الفاضل النسّابة عبد اللطيف بن علي بن حسن النعمي ما لفظه: نسب السادة بني القبقب الساكنين بجهة الزعليّة هم فرع من فروع السادة النعامية يُقال لهم سادة الخلا، أصل خروجهم من القُبّة قرية أسفل الدّهنا وهي مشهورة إلى حال التاريخ، نَسَبُهُم مشهور، وفضلهم مذكور، وعلمهم منشور، وهم أشهر من نار على عَلَم يعرفهم الخاص والعام وقُطر اليمن والشام بأنهم أولاد السيّد يحيى بن حسين بن محمد بن عيسى بن سالم بن يحيى بن سرور بن مهنا بن نعمة الله بن فليتة بن حسين بن يوسف بن نعمة الله بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في الجنة. فهذه نسبة السلسلة الهاشمية والعصابة الذهبية التي لا ينعطف عندها لسان ولا يختلف فيها اثنان، وحسبنا من خلق الإنسان والجان، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. انتهى. فالتحقيقان قد اتفقا في نعمة الله بن علي، وزاد الآخر التدريج من يحيى بن الحسين إلى نعمة بن علي وهو ثقة فيما زاده، وكلاهما متفقان على ثبوت نَسَب السادة المذكورين إلى سادة القباب المُنتسبين إلى القبة من تلك الديار وأنهم منتسبون إلى النُعميين فرع مُتصَّل بهم، وهذا القدر فيه الكفايةِ في ثبوت نسب السادة المذكورين إلى الشرف من غير مِرْيَة؛ ولا يَمْتَرى في هذا إلاّ جاهل معاند فلا عبرة به في هذا المضمار، ولا يُعدّ في عداد من عليه الكلام يُدَار، أو له مقال مردود عليه تريد أن يسير به ضوء النهار، لأن هذا القدر في الانتماء إلى الشجرة النُعمِيّة فيه مُتَمَسّك قوي عليه يُعْتَمد ومُسْتَنَد أي مُسْتَند.

وشُهرة هذا البطن ـ الّذين هم النُعمِيُّون ـ من الشَرف بمكان، وأطبق النَسّابُون على ذكرهم في الأشْرَاف الساكنين بالمخلاف السليماني وأنهم بطن من خمسة بطون: الفليتيون والعماريون والجعافرة والمثامة والنعميون، ويَجْمَع هذه البطون الخمسة: علي بن إدريس بن جعفر بن نعمة، ذَكَر ذلك السيّد البحر وساق نسب نعمة الله بن علي إلى آخر النّسب الشريف:

سلسلـــــة مـــــن ذهـــــب منـــــوطـــــة بـــــالشهـــــب
ونسبـــــة تـــــرددت بيـــــن وصـــــيّ ونبـــــي

فبهذا أثبت وتقرّر نسب السادة بني القبقب إلى بطون الأشراف النعامية واتصالهم بالنّسب الشريف العلوي وأنهم حسنيون ثابتوا الانتساب إلى السلسلة الطاهرة، ومن خصائصه ﷺ أنّ أولاد بناته يُنسبون إليه وليس في الوجود مِنْ أولاد بناته إلاّ أولاد

الزهراء البتول، فتجبُ الرعاية والاحترام للمذكورين ولا تجوز اذيتهم بشيء ولا التعرّض بما يُنكِّد خواطرهم ومَنْ اجترأ على أحدٍ منهم استحق العقوبة دنيا وأخرى وقد ذَكَر العلاّمة الأشخَر في مؤلّفهِ «كشف الغَين» ما لفظه: خاتمة، ينبغي لكل أحدٍ أن يعرف لكل أحدٍ من أهلِ البيت النبوي حقهم وأن ينزلهم منزلتهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[1] وقوله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ـ فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال ـ وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» أخرجه أحمد وعبد بن حميد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه. انتهى. وكما يجب على غيرهم احترامهم يجب على بعضهم احترام بعض لأن الخطاب والتكليف شامل للجميع، جعلنا الله سبحانه وتعالى من أهل المحبة لآل الرسول ونفعَنا بذلك في هذه الدار وفي الدار الآخرة التي إليها الكل يؤول، وبلغنا الجميع نهاية السول، إنه كريم لا يرد سؤول، وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ وصحبه وسلم، حُرِّر في ربيع الأول سنة ١٣٠٩ محمد بن عبد الله الزَوّاك غفر الله له]. انتهى ما كتبه في حق السادة المذكورين وفيه الكفاية.

الولي الكبير السيد أبكر قبقب:

فَرْع: ومن ذُرِّيَّة السيّد عمر بن علي ـ المار ذكره ـ السيّد الأجلّ الولي الأكمل ذو الإشارات الصادقة، المُكَاشَف بكثير من المُغَيَّبات أبكر بن قاسم بن أبكر بن قاسم بن إبراهيم بن عمر بن علي، كان نفع الله به كثير المكاشفات، مُجاب الدعوة لا سيّما على من آذاه فإنه يُعَاقب عاجلاً، وله الجاه الواسع والكلمة النافذة في بلاد الزعليّة وغيرها، مُعْتَقداً فيهم لا تُرد له شفاعة عند الأمراء فمَن دونهم، باذلاً نفسه للمصالحة بينهم، محلّه مفتوح للوارد والصادر، قائماً بكفاية المسافرين وعمارة الأوقات بأنواع العبادات. وله كرامات لا تحصى نذكر بعضها على وجه التبرك.

فمنها: أنّه لمّا زار النبي ﷺ وقَرُبَ من المدينة بنحو ثلاثة أيام أضلّ رَحِلَهُ ورفقته وبينما هو يطلب ذلك إذ عَرَضَ له صاحبُ مطيّة لا يعرفه فأناخها وقال له أركب، فركب، وأردفه وقت نصف الليل فما طلع الفجر في تلك الليلة إلاّ وقد نزلَ بالمدينة ووصلَ رِفقتهُ بعد ثلاثة أيام.

ومنها: أنّ شخصاً له ولد ضاعَ مُدةً طويلةً فجائَهُ والتزمه في رد ولده إليه، فاعتذره فلم يقْبَل، فأشار له إلى محل بنحو ربع ساعة عن قريته وقال لأبي الولد:

---

(١) سورة الحج، الآية: (٣٠).

مستنقه هناك، فخرجَ الرجل مسرعاً ولمّا بَلَغَ ذلك الموضع وَجَدَ ولده يمشي في الطريق وحده وجاء به إلى المُتَرْجَم له وهو قاعد في ذلك المجلس.

ومنها: أنّه وصلَ إلى المدينة المنوّرة وكان رجل يُسمَّى عبد الله شرف من بلد المترجم له ولكن ما قد عرفه لكونه وصل إليها غريباً من اليمن بالقرب، ووصل عبد الله شرف إلى المدينة أيضاً وحاول أن يفتح الشباك ليدخل فَبَذل دراهم فلم يُسْعَف بذلك فقعدَ حزيناً كئيباً وبينما هو كذلك إذ أقبل شخص متنكر هو صاحب الترجمة وأشار له بيده ليتبعه فقام وتبعه فإذا باب الشباك قد انفتح بدون واسطة فدخل وتبعه عبد الله شرف وانغلق الباب وَرَاءهُما فَركعا ركعتين ولمّا أرادا الخروج انفتح الباب بدون واسطة فعجب الخدّامون من ذلك وبهرهم الأمر فأمسكوا صاحب الترجمة ليتبرّكوا به وفرّقوا ثيابه التي عليه متبرّكين بها قطعةً قطعة وخرجَ إلى محله الذي هو نازل به وتبعه عبد الله شرف فلبس ثيابه المعتادة ثم توجّها جميعاً إلى بلدهم وسكنَ معه بالزعليّة إلى الآن، وأولاد عبد الله شرف بعضهم بِدَيْر الأخْرَش وبعضهم بالمُنيرة وأصلهم من الهند.

ومنها: أنه لمّا وصلَ إلى الضّحِي للقراءة مكث مدةً طويلة لا ينام الليل ولا يُعْرَف من أين يأكل بل كان يأكل من أطراف المَرْخ والشجر ويكتفي به.

ومنها: أنّهُ غَرَّ به بعض أهل الزعليّة على عبد الله محافظ - وكان عاملاً من طرف الدولة العثمانية - بأنه ما يسلّم الخراج في أرضه، فخرج عبد الله محافظ إليه ولمّا وصلَ إليه أكرمه هو ومن معه وفي نفس عبد الله محافظ إضمار الأذية له فأخذ الابريق وخرج ليستنجي فإذا آلته قد تحوّلت كآلة النساء فرجع مسرعاً وألقى نفسه تائباً مما أضمره بين يدي صاحب الترجمة، فأمرهُ أن يستنجي ثانياً فإذا آلته الأصلية قد رجعت إليه فخرجَ من عنده وعَاقَب من غرّ عليه بذلك. وله غير ذلك كرامات كثيرة وإشارات باهرة شهيرة، والحاصل أنه كان من أولياء الله الكرام وأصفيائه أهل الفضل والاحترام، نفعنا الله به آمين. وكانت وفاته في يوم الإثنين غرة شهر صفر من عام اثنين وتسعين بعد المائتين والألف ودُفن غربي قريتهم الدِّمْنَة بنحو ربع ساعة، وقد زرته فرأيت على قبره أنواراً ظاهره.

وله من الولد تسعة: محمد والحسن وأحمد وعلي وأحمد ويوسف وإبراهيم وقاسم ومحمد. ولم أعرف منهم إلاّ الحسن ومحمد الأخير الموجود الآن، غير أنه مشهورون بالفضل والصلاح والفلاح والتُقَى والزُهد والورع وحُسْن السيرة والتواضع وسلامة القلب، نفع الله بهم.

فأمّا الحسن فقد عرفته فرأيته على غاية من الإقبال على مولاه والإعراض عَمّا

سواه، مُديماً للأذكار لا يفترّ ملازماً للمسجد، يطيل الصلاة مع خشوع وحضور
قلب، وقد صلّيت معه مرةً صلاة المغرب في قريتهم الدمنة فصلّى فيها بسورتي يس
والمرسلات، وكان يُحْيي معظم الليل بل جميعه بالصلاة والعبادة وأكثر النهار
بالأذكار، وكان يكرر الدعوات ويطيلها لا سيّما بصلاح أمور المسلمين ورفع الظلم
والحرج عنهم والتكاليف الشاقة، وكان طويلاً جسيماً تام الخلقة حسنها عظيم اللحية
مَنْ رآه ذَكَر الله.

إذا رُؤي ذَكَــر المــولــى لــرؤيتــه وفــاز بــالسعــد والتقــريــب رائيــه

وله كرامات ومكاشفات وإشارات صادقة لم يحضرني الآن منها شيء، وكان قليل المخالطة للناس، قليل كلام الدنيا جداً لا يتكلم إلا جواباً، وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً نافعاً، وكان قد صَاحَب - في أول أمره - السيّد الصالح الولي الكامل فتح الدين الهندي وانتفع به انتفاعاً عظيماً، وهو رجل وفَد عليهم من الهند من خُراسان من كبار الأولياء والعلماء وكان حافظاً لتفسير كتاب الله تعالى وأكثر تفسيره له بالإشارة. وكان دائم الذِكر كثير المجاهدة في ذلك، وكان إذا جاءه قوم للزيارة يُملي عليهم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا﴾ فما يزال يذكر قائماً ويذكرون قياماً إلى أن يملّوا ثم يُمْلِي عليهم قوله تعالى: ﴿ وَقُعُودًا﴾ فيقعد ويقعدون يذكرون الله كذلك، فيقول: ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ فيضطجع ويضطجعون يذكرون الله. وهكذا كان حاله، ثم انه مكث عندهم وتزوج امرأة من الزعلية وَلَد له أولاد، وكان يتردد إلى مكة والمدينة ويرجع إليهم فقال له شخص: لِمَ رضيت الإقامة هنا ومكة والمدينة أحسن؟ فقال قد وصلت مكة والمدينة فما رأيت وجه المصطفى إلاّ عند السيد أبكر قبقب، يريد والد صاحب الترجمة، ثم توجّه في آخر عمره إلى صَبْيَا وتوفي بها رحمه الله. وأحواله وكراماته مشهورة وسيرته الحسنة مذكورة مأثورة نفع الله به. وكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر رمضان الكريم سنة ١٣٢٥ ودُفن في تربة والده رحمه الله ونفع به آمين.

وأمّا محمد فكان عالماً فاضلاً رزقه الله عِلْماً لَدنياً بِدعوة السيّد العلاّمة ولي الله تعالى عبد الله بن إبراهيم الأهدل صاحب المُنيرة، وكان على غاية من الاستقامة والتواضع وحُسن الأخلاق.

وأمّا علي فكان مَن عباد الله الصالحين كثير العبادة والصبر لا يترك قيام الليل، قارئاً للقرآن مُديماً للأذكار لا يفترّ.

وأمَّا يوسف فكان ورعاً زاهداً عفيفاً عارفاً بالله تعالى، ذا عبادة ومُكَاشَفة وهيبة، مَنْ رآه هابه لا يقدر أحد على مواجهته من هيبته، ثم قُتِلَ في بيته مظلوماً فمات شهيداً

موفقاً حميداً نفع الله به.

وأما إبراهيم فكان صالحاً مكاشفاً بأسرار الغيوب، تولّى المَنصب بعد والده فقام بالزاوية أتم قيام، وكان له معرفة بالطب والمداواة بدون تعلم، بركةً من الله، قَلّ أن يداوي مريضاً إلا شفاه الله.

وأما قاسم فكان رجلاً فاضلاً مقبلاً على شأنه مشتغلاً بالزراعة في أرضٍ له مع الاستقامة التامة.

وأما أحمد فكان فاضلاً صالحاً، صحب السيد فتح الدين ـ سابق الذكر ـ إلى جزيرة فرسان ثم توفي بها، وقبره مشهور يُزار ويتبرك به.

وأما محمد فهو القائم بزاويتهم الآن. تولّى ذلك في حياة أخيه حسن ـ سابق الذكر ـ مع صغر سنه عنه باختيارهم له لذلك لصلاحيته فقام بالزاوية أتم قيام من إطعام الطعام للواردين والمسافرين مع الإكرام التام لأنه ذو إكرام وإحسان خارق لا يكاد يمسك شيئاً، قائماً بالمصالحة بين الناس بصدق نية وصلاح طوية قلّما يسعى في مادة بالإصلاح إلا يتمّها الله على يديه على غاية من حُسْن الأخلاق، كثير الصمت والقرب والتواضع لا يُقابل أحداً بما يكره، مع المواظبة والقيام بوظائف الدين وتلاوة القرآن. وهو الآن موجود في سن الشبيبة قائم بذلك مُوْفٍ بما هنالك عافاه الله آمين.

ولكلٍ من المذكورين أولاد مباركون تابعون سُنن آبائهم الكرام يقرأون القرآن وما لا بد لهم منه مما يصلح به الدين، مُتَّصفون بصفات الكمال، مُعَامَلون من الدولة والقبائل بالاحترام والإكرام والإجلال، لا يُغيَّر لهم حال، ولا يُكَدَّر لهم بال، ولهم الحظ الوافر من التواضع وحسن الخُلق والقُرب. وبعض ذريتهم الآن يطلبون العلم على يد سيدنا شيخ الإسلام السيّد العلاّمة شيخنا عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُدَيْمي مع الرغبة والإقبال وحُسن الفهم، منهم: يوسف بن أبـي الغيث، وعلي فتح الدين بن امحمد، ويوسف بن عبد الله، فتح الله لنا ولهم باب العلم النافع آمين.

وقد عرفت من ذُرّية أمحمد بن أبكر أولاده السادة الفضلاء: **أبا الغيث، ومحمد الملقب جَوحان** ـ بفتح الجيم وبعدها واو وحاء وآخره نون ـ **ومحمد الملقب شَبِير** ـ بشين مفتوحة ـ وباء مكسورة بعدها مُثنّاة تحتية وآخره راء ـ **وعليًّا المُلَقَّب قوزي** أبناء أمحمد بن أبكر قبقب، فرأيتهم على غاية من حُسْن الاستقامة والصلاح والفلاح والتواضع والورع والعفة والمواظبة على وظائف الدين. وقد حج أبو الغيث مرتين أو ثلاثاً وحج محمد شبير مرتين ومات قافلاً من الحج رحمه الله ونفعنا بالجميع آمين.

ومن بني القبقب جماعة يسكنون قرية اسمها الشرقية وأخرى اسمها المُقَسِّية ـ بميم مضمومة وقاف مفتوحة وسين مشددة مكسورة وياء مُثَنّاة تحتية وآخره هاء ـ

وفي قريةٍ اسمها الهبية - بهاء مضمومة وموحدة مكسورة وباء مثناة تحتية وآخره هاء - ومنهم جماعة في الجامعي(١)، عافاهم الله وزاد في أهل بيته كثرة آمين.

ومن النُعَامِيَة - ممن سكن منهم مدينة الزيدية - السيد الصالح الزيد بن يحيى النُعمي رجل صالح مواظب علي الوظائف الدينية من صلاةٍ وصيام وحج، مقبل على شأنه، يتعاني الزراعة. وهو الآن موجود على خير من ربه وعمره ما بين السبعين إلى الثمانين مُمتَّع بسمعه وبصره وحواسه، وله أولاد على خير من ربهم.

وَصْل: وممن سكن منهم الضَحِي: السيد العلاّمة الفاضل القاضي علي بن الحسن النعمي وقد سكن قبله أوائله بها ولم أعرف كمال سيرته، غير أنهم مشهورون بالعمل والفضل والصلاح وحسن الاستقامة والرئاسة في تلك الجهة. يتولّون نيابة القضاء بمدينة الضحي ولهم الكلمة النافذة عند قبائل تلك البلاد مع الإكرام والإجلال والاحترام. وكانت ولادة صاحب الترجمة في عام سبعة وسبعين بعد المائتين والألف تقريباً بمدينة الضحي فنشأ في حجر والده نشوءاً حسناً وقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، ثم تفقه على يد السيّد العلاّمة عبد الله بن يحيى صبياني والفقيه العلاّمة الصالح عبد الرحمـٰن بن إسماعيل يعني وغيرهما من علماء الضحي حتى صار له في كل علم مسكة يتوصل بها إلي غيره، وقد تولّى القضاء بمدينة باجل مرتين وبمدينة الزيدية نحو أربعِ مرات، والآن هو متول بها القضاء وعمره نحو اثنين وخمسين سنة تقريباً عافاه الله آمين.

وأخوه محمد بن الحسن متولِ القضاء بمدينة الضحي، ولهم عشيرة هناك صالحون على خيرٍ من ربهم بارك الله فيهم.

بنـو جلالـة:

ومن النعامية: الأشراف بنو جلالة الساكنون بأطراف بلاد العطاوية. وهم جماعة صالحون أكثرهم قارؤون للقرآن مواظبون على الوظائف الدينية، ملازمون لمروءة مثلهم، مُطْعِمون للطعام ولهم صدقات من ثمرة زراعتهم لأن غالب معيشتهم منها. وقد حقّق انتسابهم إلى النعامية السيّد العلاّمة النسّابة شيخنا عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُديمي، فأحببت أن أثبت ما حققه هنا لاشتماله على بيان حالهم وسيرتهم، وصورة ذلك: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رتب على معرفة الأنساب أحكاماً، وجعلَ ذلك صلة يصل بها العارف أرحاماً، ويؤدي ما أوجب الله عليه لأهل الاحترام

---

(١) جميع القرى المذكورة من أعمال مديرية اللُحيّة. وقد جاءت قرية المقسبة في المصادر التي بين أيدينا باسم «زبني قَشَه».

مودة واحترام. وبعد فقد وقع في هذا الزمان التساهل باحترام أهل البيت وتركوا ذلك حتى صار مهجوراً كأن لم يكن، مع أنه قد حث الله عليه في كتابه فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾[١]، والأحاديث في موالاتهم واحترامهم كثيرة شهيرة. إذا عرفت هذا فاعلم أن من الأشراف الحسنيين أي المنتسبين إلى سيدنا الحسن السبط الساكنين بهذا المخلاف أطراف بلاد العطاوية وهم الأشراف بنو المعروف والآن قد ظهر لهم لقب فَسُمُّوا به وهو بنو جلالة واشتهرَ وشاع ذلك، فكونهم بني المعروف معروفة. وممن ذكرهم السيّد العلاّمة الولي محمد بن الطاهر البحر في كتابه «تحفة الدهر» التي ذَكَر فيها انتساب السادة بني البحر ومن إليهم من سائر القديميين، وذيّل بذكر السادة الأهدليين ومن بالجهة من الحسنيين بني هريرة ومن إليهم وبني النعمي والذراوية. وذَكَر أن من بطون بني النعمي الجعافرة، ولفظ ما ذكره في بني المعروف - بالخصوص - قوله: ذِكْر السادة الأشراف بني المعروف، نَسبهم يرجع إلى الجعافرة وهو بيت من بيوت الحسنيين بنواحي صَبْيا ونسبهم يتصل بمحمود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه.

بنو البزار:

ويدانيهم في هذا البيت بنو البزار الساكنون بزبيد[٢]، والشريف أبو القاسم بن علي الولي المشهور صاحب الضحي، ولا أعرف اتصال كل منهما إلا أنهم يرجعون إليهم حقيقة. اهـ كلام البحر. ففيما ذكره حُجّة واضحة على شرف السادة المذكورين ووجوب احترامهم وثبوت نسبهم فلا يجوز الطعن في أنسابهم للحديث: «خصلتان في أمتي هُمْ بها كُفر: النياحة والطعن في الأنساب» والحديث أيضاً: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وَالِ من والاه وعَادِ من عاداه». وقد قال العلاّمة الإمام الأشخر في خاتمة كتابه «كشف الغين عمّن بوادي سردد من ذرية السبطين» ما لفظه: خاتمه، ينبغي لكل واحد أن يعرف لأهل البيت النبوي حقهم وأن ينزلهم منازلهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ وقوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين؛ أولهما: كتاب الله - فحث على كتاب الله ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي» أخرجه أحمد وعبد بن حميد عن زيد بن أرقم

---

(١) سورة الشورى، الآية: (٢٣).

(٢) أي أنهم يرجعون إلى النعامية.

رضي الله عنه. انتهي. ففيما حررناه كفاية لصحة شرف السادة بني جلالة والاستفاضة بشرفهم على السنة الكافة بُرهان وأي برهان. فلا يجوز لأحد أن يتعرض لهم بما يخدش في نسبهم بل لهم الرعاية والاحترام ولا يتجاسر بأذيتهم بذلك إلا ظالم حسود وعدو منكود، وفي هذا الحديث الصحيح: «من أهان قريشاً كبّهُ الله على وجهه في النار» كفانا وإياهم شر الأشرار وكيد الفجّار، وحشر الجميع تحت ظل لواء سيد الأطهار صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأخيار وصحابته الأبرار. والله أعلم. كتبه عبد الرحمـٰن بن عبد الله القديمي.

هذا ما حققه في حق السادة المذكورين وفيه كفاية جزاه الله خيراً.

أشراف وادي البطيح:

وَصْل: ومنهم[1] أشراف وادي البطيح - بموحدة مضمومة وطاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وآخره حاء مهملة - وهم جماعة يسكنون أسفل بلد الزعلية، الغالب عليهم الصلاح ونسبهم يتصل بالأشراف النعامية في: نعمة بن علي بن داود وقد وَجَدت ذلك بخط السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل ناقلاً له عن خط من نَقَل عن الفقيه العلاّمة المسَاوَى بن إبراهيم الحُشَيبري، وصورة ذلك بتاريخ ١٢٦٦ من هجرته ﷺ: الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد فهذا نسب السادة الأجلاء الأشراف أهل وادي البطيح من نواحي الزعلية وشهرتهم ومسكنهم بالبير الحُجْلانية والبقعة التي فيها البئر، ونسبهم من الأشراف بني الرُّدَيْني ومنهم السيّد المسَاوَى بن عثمان بن المسَاوَى بن أحمد، وكان أحمد ساكناً في مَوْز ثم انتقل إلى رحمة الله ودُفن في مقبرتهم، ثم كان خروج السيّد أحمد بن الطيب بن عثمان بن أحمد من قرية.....[2] وأبو أحمد هو محمد الرديني - السابق ذكره - في الشجرة، هكذا وجدته في الأم، فأولهم الشريف أمحمد بن أبكر بن المسَاوَى بن أبكر بن السيد المساوَى بن عثمان بن المساوى بن أحمد بن الطيب بن عثمان بن أحمد بن محمد الرُّدَيْني بن عبد الله بن حسين بن أبي الليث بن نافع بن علي بن محمد بن علي بن إدريس بن جعفر بن عبد الله الكامل بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بن علي بن أبـي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، كمل النسب الأفخم الذي ساد العرب والعجم، نُقل من «الأم» في الأنساب المجموعة التي بيد الفقيه العالم القطب الشهير المساوَى بن إبراهيم حُشَيْبِر نفعنا الله بهم. كَتَبهُ الفقير إلى الله تعالى حسن بن علي

---

(١) آل النُعمي.

(٢) فراغ بالأصل.

مة الحضرمي عفى الله عنهما. انتهى. قلت قد نقلته حرفاً بحرف عن خط المذكور
والفقير إلى الله عمر بن … وكذا محمد بن يحيى الأهدل عفى الله عنهما، بتاريخ
شهر محرم الحرام سنة ١٣١٨. انتهى. ووجدته بخط المذكورين في نسب الأشراف
نعم والذي المصحح للمشهورين

الأشراف بنو الجبلي المعروفون باللحية

وممن يتصل نسبه بالمنصية الأشراف بنو الجبلي الساكنون باللُحيّة، وقد عرفت منهم السيد الأخ النوبي الأكمل إبراهيم بن حسن جبلي ووَجَدت نسبهُ مرفوعاً إلى عمه بن علي بن داود بخط السيد العلامة الحُجّة محمد بن عبد الله الزَوّاك، وصورة ذلك: بسم الله الرحمن الرحيم إبراهيم بن حسن بن علي بن إبراهيم بن أحمد وهو المُلقب بالجبلي الواصل إلى اللحيّة ومات بها، وهو جد آل الجبلي الساكنين باللحية، فهو أحمد بن حسن بن راجح، وراجح هذا هو المدفون بصبير من جزيرة فرسان(1) حسبما حررهُ الثقات المختبرون بهذا الشأن، وله ذُرّية هناك مشهورون. وهو ابن علي بن محمد بن عقيل بن أبي بكر الجبلي بن علي أبو شامة ـ المدفون بالقرب من جبل بارق ـ بن أحمد بن حسن بن علي بن أبي بكر بن حسن بن وهاس بن أحمد بن حويط بن وهاس بن علي بن أحمد بن محمد بن المحسن بن أبو الليل بن رافع بن علي بن أحمد بن علي بن إدريس بن جعفر بن يوسف بن سليمان بن قريش بن نعمة بن علي بن علي بن داود بن سلمان بن عبد الله الكامل بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. هذا ما نقلته مما وجدته مَعزوًّا إلى خط الشيخ العلامة محمد بن عبد الهادي البكري العجيلي المعروف بالحفظي الساكن بمدينة رُجال المتصلة بالحجار في تقرير نسب السادة آل الجبلي الساكنين بحر ابن سكينة وبيان اتصال الساكنين منهم ببندر اللحيّة الموجودين الآن وهم: السيّد إبراهيم بن حسن وبنو عمه وأقاربهم يجمعهم أحمد الجبلي المدفون باللحيّة كما هو مُحَقّق هناك وبالله التوفيق. انتهى. ووجدت عقبهُ تقارير العلماء الأعلام عليه كالقاضي العلاّمة محمد بن عبد القادر بن علي العواجي والقاضي العلاّمة عبد الكريم بن محمد العواجي قال في أثناء تقريره أنهم سادات أهل تلك الجهة ـ أي الجهة التي انتقلوا منها إلى البندر ـ وهي بحر بن سكينة، ومعتمدهم في التوجه بهم إلى الله تعالى في شفاء مريض أو دفع بلاء ورفعه، ثم قال: ولمّا بنو الجبلي الساكنون بقرية مَوْر فهم حرب وأصلهم من الجبل، ولقول أن أصلهم من جبل نَمِرَة. انتهى.

---

(1) فرسان: جزائر في منطقة جازان.

ثم قال السيد محمد بن عبد الله الزوّاك ـ المذكور ـ عقب هذا ما لفظه. ومن هؤلاء السادة الآن بيت في جزيرة فَرَسان بقرية الحسينين بقرب صبير وهم جماعة مشهورون هنالك يجمع نسبهم السيد الجليل أحمد بن راجح الملقب شريف واتصالهم معلوم وهم من الشهرة والاستفاضة بمكان والله أعلم انتهى.

وقد كان المُتَرْجَم له السيد إبراهيم بن حسن على جانب عظيم من العبادة ذا ولاية تامة وأسرار وإشارات وأنفاس صادقة لا تفتر من قيام الليل. وله اليد الطولى في علم الطب وقلّ ما داوى أحد إلاّ برأ ببركته، وكان سيداً كريماً مُنفقداً في بندر اللحية وما والاها، متواضعاً حَسن الأخلاق حسَن السيرة طيب السريرة، وكان كثير الزيارة لسيدي الخال العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك بالزهدية وبينهما مودة أكيدة. وقد عرفته أيام زيارته له فرأيته على غايةٍ من حُسْن الاستقامة وسلامة القلب والقُرْب ولين الجانب والمراقبة لمولاه والإعراض عما سواه، وما زال على حاله هذا حتى توفاه الله ببندر اللّحية سنة ١٣٠٨ ودُفن بتربة سيدي أحمد بن عمر الزيلعي. وكان له عدة أولاد عَرَفت منهم حَسَناً وعليًّا وعبد الله، فأمّا حسن فكان عالماً فاضلاً له مشاركة في كثير من الفنون وكان فيه حِدّة زائدة بحيث أنه إذا جرت بينه وبين غيره من العلماء مَذاكرة ولم يَتّفقا على المسألة أدّى به ذلك إلى المقاومة والمضاربة، وكُفّ بصرهُ في آخر عمره فصَبر صَبْراً جميلاً حتى توفاه الله. وأمّا علي: فهو موجود الآن على كمال الاستقامة وحُسن الخلق والتواضع والإقبال على شأنه على خير من ربه، ثم توفي في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٠ رحمه الله. وأمّا عبد الله: فتوفي قديماً في حياة والده وكان فاضلاً فطناً شديد الفطنة والذكاء بحيث أنه أدرك حِكْمة سَيْر الإبرة المعروف الآن بالساعة ومعرفة آلة التلغراف وكان يُصَلّح ذلك إذا وَقعَ فيه خلل مع أنه لا يدرك ذلك إلاّ كبار مَهَرة هذا الشأن رحمه الله. ولهم ذُرّية موجودون لا أعرف أحداً منهم عافاهم الله آمين.

الأدريسيون

العلاّمة الرباني السيد أحمد بن إدريس المغربي:

وَصْل: وَمِنْ أشراف الجهة السيد الإمام العلاّمة الربّاني أحمد بن إدريس المغربي الحسني، كان خروجه ـ نفع الله به ـ من بلده المغرب إلى صعيد مصر فأقام هناك وتزوج وولد له أولاد سيأتي ذِكر بعضهم إن شاء الله تعالى، ثم خرج إلى مكة ثم إلى اليمن ناظراً ما منحه الله من العلوم اللدنية والمعارف والمواهب الربّانية وتفسير القرآن العظيم على طريق أهل الإشارة من حفظه كأنما يُمْلِي من كتاب. وقد حَكَى الثقات أنه كان إذا ارتجّ عليه ـ وقت الإملاء ـ نَظَر في كَفِّهِ فيندفع اندفاع السيل، ثم

نفيت الشريف الصالح الثقة حمود بن علي بن محمد الحسني فأخبرني بأن بعض عشيرته من الأشراف نمت إليه هذه الحكاية فكأنه خامر قلبه عدم وقوع ذلك؛ فتحيّن صاحب الترجمة وهو يُحدِّث الحاضرين عنده وأحياناً ينظر في كَفِّه، فقام وراءه ينظر صحة ذلك فكشف الله له فرأى المسألة التي توقف فيها السيد مَكْتُوبةً بعينها في كَفِّه بَطْناً وظهراً، فزاح ما في نفسه وصَدَّقهُ. انتهى.

وقد ترجمه جهابذة من علماء عصره كتلميذه السيِّد العلاَّمة الإمام عبد الرحمن بن سليمان الأهدل في «النفس اليماني» وأحببت أن ألَخِّص ذلك هنا على سبل التبرك ولتتم الفائدة وتعود إن شاء الله العائدة، قَالَ نفع الله به: ومنهم شيخنا السيد الإمام ذو المعارف الربّانية والمواهب الرحمانية صفي الإسلام أحمد بن إدريس المغربي الحسني، وَفَدَ المذكور إلى مدينة زَبِيد سنة ١٢٤٤ ناشراً فيها ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسُنَّة، كاشفاً من إشاراتهما الباهرة ولطائفهما الزاهرة بعبارته الجليّة المُشْرق عليها نور الأذن الربّاني، واللائح عليها أثر القبول الرحماني كما قال ابن عطا الله: من أذِنَ له في التعبير فُهِمَت في مسامع الخلق عبارته وَجُلِيَت إليهم إشارته. وقد أملى عافاه الله من تلك الرقائق والحقائق ما استنارت به قلوب سليمة، وتَداوت من جراحات غفلاتها قلوب أليمة، وازدحم الخاص والعام على الاستفادة من تلك العلوم، والاقتباس من نور مشكاة تلك الفهوم، فَتلقّى كل أحد من تلك اللّطائف على قدر الإستعداد، وعلى قدره من سوق فيض الإمداد.

على قدرك الصهباء تعطيك نشوةً   وليست على قدر السلاف تصاب

وهذا السيّد الجليل طريقته السالك لها والداعي إليها الإقبال بالكُلّية على تدبر لطائف معاني كتاب الله وإطالة التفكر في استجلاب أسرار معانيه، ولقد ذَكَر لي - عافاه الله - أنه مكث عدة سنين لا شُغل له إلا تلاوة كتاب الله والتعرّض لنفحات أسرار علومه ولطائف رقائقه وفهومه، حتى منح الله بما منح، وفتَح بما فتح. ونَزَل نفَع الله به على العبد الحقير، وكان نزوله كنزول العافية على السقيم، والشفاء للجِراح الأليم، فالحمد لله على ذلك نسأله التوفيق بدوام الشكر على ما هنالك. وكان مدة إقامته أولاً عشرين يوماً ثم بَدَا له التوجه إلى جهة بندر المَخا ثم جهة مَوْزَع[1]، فلمّا وصل إلى تلك الجهات ازدحم عليه الخاص والعام، وانتفعوا به في أمر دينهم انتفاعاً عظيماً لأن السيّد المذكور هدية في عباداته، وعاداته الهَدْي النبوي سيّما الصلاة فإنه - نفع الله به - يقيمها ويحسنها على الوجه التام الذي وردت به

---

(١) مَوْزَع: صقع متسع جنوب شرق ميناء المخا. وكلاهما يشكلان في أعمالهما مديريتان من مديريات محافظة تعز - انظر: المعجم.

الأحاديث الصحاح والحسان من مُعَلِّم الشريعة ﷺ، لا يلتزم في إقامتها ولا إقامة غيرها مذهباً من المذاهب بل مذهبه، ما صح به الحديث كما هي طريقة خلائق من العلماء والأعلام.

ومـذهبـي مـا صـح الحـديثُ بـه ... ولا أبـالـي بـلاحٍ فيـه أوزار

ولمّا وصل إلى تلك الجهة أتىٰ منه كتاب إلى الحقير وسائر الأخوان، فتولى الجواب بهذه القصيدة الفريدة الأخ العلاّمة الأديب الفهامة عبد الكريم بن حسين العُتمي(١) رحمه الله تعالى.

مـن المَخـا يـا نفحـة المنـدَل ... شـربـت مـن مـربعنـا الأول
عبـرت فـاستعبـرتِ طـرفـاً جَـرِي ... فـاجَـل الـوسمـي منـه الـولـي
اذكـرتنـي الشِعْـبَ وجيـرانـه ... وطيـبَ عيـش بهـمُ مـرّ لـي
أضـرمـتِ نـار الشـوق هـل تعلمـي ... شتّـان مـا بيـن الشجـي والخـي
يـا غـايبـاً عـن نـاظـري لا سـوَى ... غيـركـم فـي القلـب لـم يحلـل
شجـونـه فيكـم وبـرهـانـه ... أن شجـونـاً صـاحـب المنـزل
نَـزَلـت فـي مهجتنـا سـابقـاً ... قبـل نـزول السفـح مـن جـرول
الستـم يـوم السبـت الأولـى ... عـرفتكـم ثـم بنـصٍ جلـي
وَافَـا إلينـا وهـو عَيْـن الـوفـا ... كتـابكـم والفضـل للمفضـي
خَبّـرنـا أنّـا علـى بـالكـم ... فـالشكـر لله الكـريـم العلـي
فـلاحظـوا مـن أنتـم أهلـه ... بلحظـه واستنهضـوا مـن بلـي
قـولكـم الطـائـر مـع ريشـه ... حـرّك أعطـاف أولـي المحفـل
إشـارة أرسلتمـوهـا لنـا ... شـاهـدة بـالفضـل للمـرسَـل
عسـى بكـم يبلـغ مـا رامـه ... راج ويحظـى بمقـام علـيّ
بقيـتَ يـا غـوثـاً لنـا منهـلا ... وشـربنـا مـن ركـد المنهـل
صـلاة مَـن نـزّل فـرقـانـه ... علـى نَبِـي فـائـقٍ مُـرْسَـل
والآل والأصحـاب مـع تـابـع ... ومـن تـلاهـم سـالكـاً مـن يلـي

ثم بعد إقامته مدةً في تلك الجهات عاد إلى مدينة زَبيد، والعَوْد كما يُقَال في

---

(١) عبد الكريم العُتمي الزّبيدي: فقيه، أديب، مولده سنة (١١٩٤هـ) بمدينة زبيد وأخذ عن علمائها وخالط علماء صنعاء ونَظَم الشعر وكاتب الأعيان ومدح الشريف أحمد بن حمود الحسني أيام ولايته على زبيد فاستفاد منه، وتولّى في آخر أيامه عمالة زبيد من جهة المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد، ثم تفرغ للعلم والتدريس بمدينة زبيد إلى أن توفي سنة (١٢٤٦هـ)، وله أشعار كثيرة وله ترجمة وافية في هذا الجزء.

المثل السائر أحمد، فأقبل عليه الخاص والعام أشد من الإقبال الاول، ولم تزل الأيام والليالي زاهرة، رياضها بلطائف العلوم ورقائق الفهوم، معمورة أوقاتها بالعبادات، والأقلام تكتب من إملاء السيد المذكور من الفوائد العوائد، النوادر الشوارد، مَا ملئت منه الدفاتر، ورحم الله السيد العارف بالله حاتم الأهدل حيث يقول:

تموت الخبايا في الزوايا وما لها ... من الناس بين الناس للناس ذاكر
تموت كمالات الرجال شواردا ... إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

وفي هذه المدة وقعت إجازات من السيّد المذكور لكل من طلب ذلك منه بل أجاز أهل زبيد خصوصاً وأهل اليمن عموماً، كما وقعَ نظير ذلك للحافظ ابن حُجَر العسقلاني عند قدومه زبيد. وبعد مقامه لدينا نحو تسعة أشهر تحركت همته إلى العود إلى الشام فوقع مع الخاص والعام الأمر العظيم من مشقة مسيره لِمَا سيفوت بسبب ذلك من الفوائد والعوائد، والأمر كله لله ولسان الحال ينشد:

قد كان حالي بكم ... لكنها العين أصابت فحال
فلذة العين وقد بتم ... عن نَظَر المشتاق عَيْن المحال

ولمّا أُزِف الوداع اجتمعَ خَلْقٌ كثير لتشييعه وأنشد المنشد هذه القصيدة الفريدة للأخ العلامة الوجيه عبد الكريم بن حسين العُتْمي فكَثُرَ عند إنشادها البكاء العظيم من الخاص والعام، ووقع إن شاء الله في ضمن ذلك الفضل الربّاني الشامل العام.

أما آن أن يتوقف الركب مُنْشِدُ ... ويُنْجِد ملهوفَ الشكاية مُنْجِدُ
على رُسْلكم لا تعملوها فإنما ... مواطؤها أحشاء قومٍ وأكْبُدُ
خذوا من ثرى آثارها قبضةً لنا(١) ... فَطِيبُ ثراها للنواظر أثمد
ألم تعلموا أن العقيق تشعّبت ... مجاريه في خد الحزين تخدد
دخرت دموع العين قبل فراقكم ... لمَا بعده فاليوم للأمس مسعد
ألا فاذكروا طول الله عمركم ... فقد قال مخدوم الصبا غاب هدهدُ
على أننا لا نعرف الخبأ إنما ... بِنا ما بنا مما يقيم ويقعد
قصورٌ تُدانِي شامخات بلملم ... وعجز عليه شاهدُ الحال يشهد
ونحن وإن كُنا شيوخاً فإنما ... لأحلامنا مهد الأصاغر يمهد
وقد رَضعت من حافل الفيض عنكم ... لبان هدىً يروى الغليل ويرشد
وقد تَعْلَمُوا أن الرضاع لمدة ... وما كَمُلت فاستكملوها واسعد
أبى الله أن ينأى بِنا طلب العلا ... على كيف ما كنا وأحمد أحْمَدُ

(١) إشارة إلى قصة السامري.

نزلتم بنا لا بل نزلنا لأننا وردنا حياضاً لم تكن قبل تُورَدُ
كأنك حوض المُزن طاطا رأسه فيا حبذا منكم شهود ومشهد
وأنك ظل الله مد رواقه تفياءُ منّا قريب ومبعد
وأني للشاني فعارة مُشفق عليه لئلا يُشبهن بيومه الغدُ
وصل بصلات الله طيب سلامه على من علاه دائماً يتجدد
محمّدَ المحمود ذاتاً وعنصراً مع الآل والأصحاب ما الله يُعبد

وكان توجهه إلى بندر الحُديدة فتلقّاه أهلها بالإعزاز والإكرام ووقع فيها من تلك المحاسن الرائقة الفائقة ما انتفع بها - بفضل الله - الخاص والعام، وامتدحه أدباء البندربعدة قصائد، ثم سار إلى صَبْيَا وتلقّاه أهلها بالإعزاز والإكرام، وهو باقٍ فيها إلى هذا العام - ١٢٤٨ - يذكر الله وَيُذَكِّرُ بأيام الله، وعلا من علوم السُّنّة والكتاب ما يفيد ذوي العقول والألباب، أمتع الله للمسلمين في حياته وبارك لنا ولهم في أوقاته.

ولله در سيدي السيّد الإمام محسن بن عبد الكريم حيث يقول في كتابٍ كَتَبهُ إليه:

شَرُفَت صَبْيَا بكم فَغَدت موروداً للعلم والنُّزُل
ليت شعري ما الذي فعلت فَعلَيتَ قَدْراً على زُحَلِ

وامتدحه أهل تلك الجهات بعدة قصائد فرائد، ومما كتبهُ إليه القاضي العلاّمة المحقق الفهّامة الوجيه عبد الرحمٰن بن أحمد البهكلي قاضي بيت الفقيه عافاه الله بهذه القصيدة الفريدة:

عَلِمت شوقنا إليها فَزَارت وأشارت أن ثَمّ ود صحيح
راعها إذ رأت جفوناً فأغظت وكذا يفعل المحب الصفوح
نزلت خير منزلٍ في رُبانا ولها عن كناية تصريح
عَبَرت في السَرَا على حي ليلى ولها في الهوى بهم تبريح
فاستعارت أنفاسهم وهي تسرى فعراها منهم أريجٌ مريح
عطّرت كل منزلٍ نَزَلَتْهُ فهي تسعَى وكل نَدٍ يفوح
عَلّمتنا بلطفها كيف نأتي دارها وهي عن رُبَانا تريح
وأرَتنا قرب المنازل لمّا رَقّت الحُجْب فالديار تلوحُ
فتراءت ديار أهل المصلى للمُحبّين والدموع سفوح
سال عن نحوها الخطا وأناخوا فاستراحوا بوصلها وأريحوا
شَاهَد العفو والرضا وتَعافا قلب صبٍ بهم محب جريح
عاينوا حين عاينوا صفوة الله فيوضاً فيها لهم ترويح
حضرة القانت الإمام المُفدّى من على كل قانت له الترجيح

حضـرةٌ تحضـر المـلائـك فيهـا ... ولهـم فـي مجـالهـا تسبيـح

خلـق الـذكـر والعبـادة لله ... وروح للمصطفـى ورَوْحُ

فهـو الأرواح أفضـل جنـد الله ... ربـي تغتـدي وتـروح

بـا امـر نـت النبـي دعـوة راحِ ... هـو فـي ودكـم لـه تصـريـح

فـتمغنـوه بمـا يكـون بـه فـي ... جنـة الخلـد داره البحبـوح

وكان سبب ذلك حين خرجَ السيِّد العلاّمة من زَبيد متوجهاً إلى جهة صَبْيَا وجاء على طريق الساحل وكان القاضي العلاّمة عبد الرحمٰن بن أحمد متشوقاً للإتفاق به ولم يأذن الله بذلك. وقد اعتنى بترجمة حافلة في كراريس للسيّد المذكور السيّد الجليل النبيل العلاّمة محمد بن محمد الديلمي قاضي زبيد ـ عافاه الله ـ استوفى فيها أكثر ما قيل فيه من المدائح وشرَح كثير من أحواله الشريفة، نَظَمَنا الله عزّ وجل في ديوان أحبابه وأحْسَن الحَال والمآل فضلاً منه عزّ وجلّ وكَرَماً إنه أكْرمُ الأكرمين أرْحمُ الراحمين آمين. انتهى ما قصدت تلخيصه من ترجمة صاحب الترجمة للسيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل نفع الله بالجميع آمين.

قلت ومن المدائح التي امتدحهُ بها أدباء البندر هذه القصيدة الفريدة للسيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمن صايم الدهر:

أبَعْدَكُـم يصفـو لصبكـم الشـربُ ... لعَمري لا يصفو وقد رحل السِّربُ

لحـى الله قلبـاً لـم يـذب لفـراقكـم ... لقد قُدَّ من صم الصفا ذلك القلب

وعيـاً إذا لـم تجـرِ أدمُعُهـا دَمـا ... وإلاّ فـلا كـانـت عيـون ولا لـب

أفي الناس من يسلو هواكم وحقكم ... إذا كـان هـذا فهـو مَـنْ ذَمَّـه الـرب

تكنفنـي ضـدان بعـد فـرقكـم ... ففي مهجتي نار وفي مقلتي سحب

تمثـل عينـي أرضكـم وكـأنهـا ... تشيـر بهـذا أن مـدمعهـا الغـرب

وصلتـم فـأوجـزتـم فللقلـب والنهـي ... من البعد والإيجاز من وصلكم سلب

فبين الحشا والحزن سِلْمٌ لبعدكم ... وبين الكَرى والعين من نأيكم حرب

أبيت أراعى في الدُّجى برق أرضكم ... وقصدي منه يـامنّى الهـائـم القلـب

رحلتـم بـأرواح الأحيـاء فَخلفـت ... جُسوماً لها في كل جارحةٍ نَحَبُ

لقـد سَعِدت روحٌ ثـوَت حيث كنتم ... وجلت وهل تشقى وأنتم لها صَحْبُ

وأظلـم ربـعٌ عـن رُبـاه رحلتـم ... ولِمْ لاَ وعنهُ قد نأى البدر والشهبُ

ولكـن بهـا مـن ذِكـرِكُـم طيـب الشـذا ... وذكـركـم لـم يحكـه المنـدل الـرَطْبُ

فيـا أيهـا النـاؤون رِفقـاً بِمُغـرَم ... تـرحّل عنه الصفـو إذ أزمـع الـركـبُ

ماضلعه والدار أقوَت فما درَى　　أمن أضلعي او اربع رحل الحب
مُوجوا علَى مُضنَى الفؤاد عليله　　ففي قربكم منه ولو لمحة طب
ولي فيكم بدر تساما وإنما　　منازله من جسمي الطرف والقلب
هو الشمس قد وَافى من الغرب نحونا　　ومن عجب شمس مطالعها الغرب
أتانا وليل الجهل أسود حالك　　فجلا بما يعنوا له الحجر الصلب
هو السيد البدر الذي عمّ نورهُ　　جميع الملا هل جاحد انه القطب
أفاض علوماً بعضها يملأ الدنا　　وفي صدره ما لا تحيط به الكتب
لِسُنَّة خَيْر الرُسْل أضحَى مؤيَّداً　　فذا الفخر لا ما صار يملأنهْ القضْبُ
لَه لسن كالسيف إن فاه واعظاً　　فما غِمده إلا الحشاشة واللب
لقد أجدبت أرض القلوب من الهوَى　　فلمّا أتَانا كان من لفظه الخصْبُ
هنيئاً لنا فزنا برؤية أحمدٍ　　وأنّا له إن شاء خالقُنا حزبُ
وصلى الهي كل لمحة ناظر　　على المصطفى والآل ما شنت السحب

وقالَ أيضاً سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن يمدحه، وأرسلها إليه بصَبْيَا نفع الله بهما.

لا غرْو إن زَادت به أشجانه　　وتخددت من دمعه أوجانه
وغدا يحاكي الطيف سقماً إنما　　من فارق الأحباب هذا شأنه
صبٌّ إذا ما رام كِتْمَان الهوَى　　جَرَت الدموع فلم يَعُدْ كتمانه
وإذا جُرَى ذِكْر العُذَيب تزايدت　　أشواقه وتكاثرت أحزانه
ما ذاك وجداً بالعُذَيب ولوعةً　　إن المُنَى كل المُنَى سكّانه
وإذا سْرى من نحو صَبْيَا بارقٌ　　باعت لطيب منامه أجفانُهُ
ما ذاك بَرْقٌ من هنالك إنما　　نُورٌ تلألأ موهنا لمعاته
لِمَ لاَ وفيها حلّ قُطْب زمانه　　فبمثلهِ لم يأتِ قط زمانهْ
هو أحمد الغوث بن إدريس الذي　　هو سيف دِيْن المُصطفي وسنانه
السيّد البَرّ الذي ما حدّثتْ　　بسِوى الذي يَرضى الإلّه لسانُه
بحرٌ خِضَم في المعارف لفظه　　حَلْى العقول لآلئه وجُمَانهْ
نجم الهُدى فَكَم اهتدى بسَناه من　　ليل الضّلالة والغَوَى جيرانه
وحَوَى علوماً من لدن رب السما　　وبها تساما عن سواه مكانه
هذا هو العِلْم الذي ما ناله　　من لم يوافق سِرّه إعلانه
حاوي الطريقة والحقيقة فهو في　　هذا الزمان بما حوى إنسانه
بل حاز شأواً خلفه رُتَب الاولَى　　فهو الإمام وإن تأخرَ آنه
سلطان جيش الأولياء الأتقياء　　طَرّا وَيَشْهَد لي بذا عِرفانه

في كفه سر عظيم لبس بـذربه سوى الباري تعالى شانه
فلذاك إن يسأل تأملها فيأتي بالذي يشفي الفؤاد بيانه
إن كان هذا ما حواه كفه … كيف الذي استولى عليه جَنانه
ذو لهجةٍ ما مجها قلبٌ سوى … قلب امرىءٍ كَثُرَت به ادرانُه
فإذا وعى ما قاله قلب فقد … لقِيَ الرشاد وزال عنه رانه
طوبى لمتبع طريقة أحمد … فلذاك عبدٌ صادقٌ إيمانُه
يا قاصداً ذاك الحبيب أتيت من … ظَفِرت بما يولي النجا ضِيفانه
عفّر بذاك الترب خدك والثمنْ … كَفّاً تبادى الهاطلات بنانه
واذكر هنالك مُغرَماً عَبَثت به … أشواقه وتزايدت أحزانه
صَبّ بذاك الحي أما روحُه … فهناك حَل وفي الربا جثمانه
كَلِفٌ بحب أولئك القوم الذين جليسهم دار البقاء أوطانه
يا أيها القوم الكرام ومن بهم … يمحى لمن والاهم عصيانه
هل تذكروا الصب الذي بهواكم … عانَى الفؤاد كليمه وَلهانه
أم قد نبئتم من إليكم شوقه … متكاثر وبكم غدا وجدانه
والقصد منكم شربةً من كأسكم … فلديكم حاناته ودنانه
شرفتم عنا برؤية أحمد … وسموتم إذ أنتم أخدانه
كونوا اذكرونا في مواقفهِ التي … من جاءها فقد انتفت أحزانه
ثم اطلبوا منه الدعاء بما يقربنا إلى من عَمّنا إحسانه
وبكشف ما غم الأنام فأحمد … غوثٌ لمن في عصره وأمانه
وإليكم در النظام وإنما … بمديح مولانا غلت أثمانه
وبمدح أحمدِ لا يفاخرني امرؤ … إلا سموت لأنني حَسّانه
أسنَى السَلام عليه يتبعه مِنَ المولَى الأجلّ مَدَى المدى رضوانه
وعلى جميع من احتواهُ مقامه … ووعت لطيف خطابه آذانه
ثم الصلاة من السلام على الذي … قد أشرقت بوجودهِ أكوانه
طَه حبيب الله خِيرتهُ ومَنْ … بعِلّو رُتبَته أتَى قرآنه
والآل والصحب الكرام مُسَلِّماً … ما مال من روض الحِمَى أغصانه

انتهى. وللمُتَرجَم له ـ نَفَع الله به ـ كرامات كثيرة من أعظمها ما أشار إليه سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن في قوله من هذه القصيدة (في كَفّهِ سرٌ عظيم . . . الخ) فإنه نَفَع الله به كان إذا تكلم على آيات القرآن العظيم وأبان عن أسراره على طريق أهل الإشارة أو على شيء من علوم المعارف الربّانية وارتجَ عليه في بعض المواضع نَظَر في كَفّه فيتكلم بأسرار عظيمة وفوائد نافعة جسيمة، وقد مَرّت الإشارة إلى ذلك في

أول ترجمته، نفعنا الله به وبأسراره.

وعند خروجه من بندر الحُديدة متوجهاً إلى مدينة صَبْيا مرّ بمدينة الزيدية وكان نزوله بها على السيّد العلاّمة الإمام عبد الرحمٰن بن عبد الله الأهدل فأقام لديه أياماً ثم ارتحل وجاءت طريقه على دوغان - بدال مهملة مفتوحة وغين معجمة بينهما واو وآخره نون - قرية من قرى حازة صلّيل بها المشائخ بنو الكلفود[1]، فصادف وصوله لديهم وفاة رئيسهم الشيخ إبراهيم بن علي كلفود فأكرمه الله بصلاته عليه واجتمع معه في ذلك الوقت علماء جهابذ لعلّهم خرجوا مُشيّعين له كالسيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن عبد الله الأهدل - سابق الذكر آنفاً - والسيّد العلاّمة إبراهيم بن أبكر القُديمي والسيّد العلاّمة أحمد بن عبد الباري الأهدل صاحب المراوعة، فصلوا كلهم ثم سار إلى صَبْيا ولمّا وصل إليها اتخذها دار إقامة وطاب له بها المقام.

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

وكانت صَبْيَا في مدة إقامته بها زاهرةً، وبالشريعة الغراء عامرة، وقد أُمتحن بالإعتراض عليه من بعض علماء عسير وهو ناصر الكبيبي فناضره فلُحِضت حُجّة الكبيبي، ومناضرته معه مشهورة متداولة بأيدي الناس، وقد أساء الخطاب في بعضها مع صاحب الترجمة ولهذا يُرْوَى أنّه لمّا فارقه عقب المنظارة دَعى عليه صاحب الترجمة بقوله: اللهم اكفني فيه بما شئت وكيفَ شئت، فعند خروجه من عنده تعرّض له شخص وطعنه طعنةً كان بها أجله. وما زال صاحب الترجمة بصَبْيا ناشراً ما منحه باريه من العلوم الوَهبيّة والأسرار الربّانية مُعلّماً للجاهلين ومُرشداً للحائرين إلى أن توفاه الله في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر رجب الحرام أحد شهور سنة ثلاثة وخمسين ومائتين وألف بمدينة صَبْيَا، وَقبرهُ بها مشهور يُزّار ويتبرك به، فمدة اقامته باليمن ثمان سنين، وخَلّف أولاداً مباركين منهم محمد وعبد المتعال.

محمد بن أحمد بن إدريس:

فأمّا محمد فَلاَزم والده إلى أن توفي وكان معه بالحرمين والريف واليمن أيام مكثه بزبيد ونواحيها، وأقام معه بصبيا وقد انتفعَ به انتفاعاً عظيماً وأخذ عنه علوماً شتى وأسراراً لا تُحصر، وَحكَى عن نفسه أنه قرأ عليه خمسمائة كتاب كما سمعه منه الشيخ العلاّمة سالم بن عبد الرحمٰن بَاصِهي كما حققهُ السيّد العلاّمة الإمام حفيده محمد بن علي الإدريسي حيث قال بَعْد أن حَكَى ذلك عن شيخه سالم المذكور ما

---

(١) دوغان: قرية من أعمال مديرية القناوص.

لفظه: أخبرنا بذلك شارحاً لنا ما رأى من علومه الزاخرة وشاهد من استغراقه في شهود عين الوحدة. وقد ترجم له القاضي العلاّمة حسن بن أحمد في كتابه «عقود الدرر» ولا شك أن هذه من بركات والده، وقد أفاد والده بأن ابنه هذا «بَدْرِي» إشارةً إلى قول ابن الفارض:

هم أهل بدرٍ فلا يخشون من حرجٍ... الخ.

وكان والده مشغولاً به في صغره لتربيته فرأى الرسول ﷺ في الشهود وهو يقول ابني محمد تربيته إلينا، ولله در السيِّد العلاّمة الولي أحمد بن عبد الرحمٰن صايم الدهر القُديمي حيث قال في القصيدة التي رثى بها والده عند آخرها.

وأقـام الشـريـف مبـدنـا عـز الهـدى العـارف الكـريـم الأيـادي

المُـقـفـى محمـدٌ فهـو حـاوٍ مـا حـواه أبـوه بـالانفـرادِ

نـوره فيـه ظـاهـرٌ مـن قـديـم وعليـه سـرّ الخـلافـة بـادي

انتهى. ثم أنه توجّه إلى بندر الحُديدة وأقام به مدة مديدة مع الخمول والصلاح والإقبال على الله بالكلية. ما زال على ذلك إلى أن قرب أجله فسار إلى صَبْيَا مسرعاً من طريق البحر قبل موته بثمانية أيام، وكان قبل ذلك إذا خوطب بالرجوع إلى صَبْيَا يقول أمّا الآن فلا إذن في ذلك وأمّا الموت فَبَشَّرني الوالد لو بلغ مني إلى الحلقوم لم أمت إلاّ عنده، فلمّا دنى وقت وفاته توجه إلى صَبْيَا مُخبِراً بحصول الأذن، فوصل إليها يوم الثلاثاء في شهر رجب لعله السابع عشر منه من عام ستة بعد ثلاثمائة وألف، وعقب وصوله صبيا بستة أيام توفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب. وكان في اليوم الذي قبله أخبرَ بأنه مسافر غداً وطلبَ كَفَناً وبات ليلة الوفاة يذكر الله وفي بعض الأحيان يسأل عَمّا مر من الليلة من الساعات فلمّا طلع الفجر أمرَ بأضجاعه ولم تمض لحظات حتى لقي ربه رضي الله عنه ونفعنا به آمين، ودُفن بصبيا، وخَلَّف ولداً اسمهُ علي وُلِدَ في حُجْر جدّه وكان لجده به العناية التامة وهو الذي سمّاه بهذا الاسم وأشار إلى ما سيصير إليه أمره من خلافته بعده، ثم بعد وفاة جده لازَم والده إلى أن ختم القرآن بتعليم الشيخ الأنور عبد السلام الشهير أحد أجلاء تلامذة جده، ولازم جملة من أصحاب جده كالشيخ عبد الواحد من أكابر أهل الشهود المحمدي، ولمّا بلغ أشده وشاهد أصحاب جدّه سواطع أنوار الوراثة تلوح عليه ألْقَوا إليه مقاليد رئاسة الطريق، وعوّلوا عليه في سلوك طريق التحقيق، وكَاتَبهُ جهابذتهم بألقاب الثناء، وبَشَّروه بما سيصير إليه حاله من مراتب الرجال. قال ولده السيّد العلاّمة الإمام الحُجّة محمد بن علي الإدريسي ـ بَعْد أن ساق ما ذكرته هنا في حق والده ما لفظه: فمنهم ـ أي ممن كاتبه وبَشَّره ـ والده وشيخه رَأيت في مكتوب له إليه ما نصه:

إلى الحضرة التي تَشرُف بوجودها الملوان وازدحم على مؤردها العذب قاصي البريّة والدان، وسَطَع نورها في الأكوان فأضاء الخافقان، قرة العيون وفرحة الفؤاد المحزون. ومنهم العلاّمة النحرير القاضي حسن بن أحمد عاكش قال في كتاب إليه مخاطباً: فلله درك من عارفٍ نجيب، ومن بليغ أديب زادك الله فما أولاك. وإني لأرجو أنّ سِر شيخنا قد سَرَا في ذاتك الشريفة وأنت خليفته في مقام الولاية. ثم قال: وجاءتنا البشارة بما ستناله من المعارف الحقّه الموصلة إلى جناب الحق. وقال في موضع: ولقد بشرني - يعني سيدي أحمد بن إدريس - عنكم ببشارة أرجو الله تعالى أن تبلغ بها مرتبة في علوم أهل الله عليه وحكمك ترى الفتح فيها عن قريب إن شاء الله.

وقد كان المترجم له في أيام الطلب يلازم القاضي العلاّمة عبد الرحمن السبعي وقرأ عليه «مُلحة الإعراب» و «شرح القَطْر» شرح للمصنف و «مختصر بافضل» و «فتح الوهاب» شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا. وكان مشغوفاً بطلب العلم ومتحيراً في أمره كيفَ يصنع فبينما هو ذات ليلة قد بات خالياً مُسَجّى بثوبه إذ أحس بشخص يوقظه فانتبه وجلس وإذا بالرجال معهم إبريق وطست فأمَرهُ أن يتوضأ فتوضأ وما تساقط من وضوئه كان في ذلك الإناء، وبعد ذلك أمره بشرب ما في الإناء من الماء المتساقط من غسل أعضاء الوضوء فشربه وأخبَر عن نفسه أنه عندئذٍ فتح الله عليه ونَشَر الله فيه المعرفة بحقائق الأمور حتى أصبح وهو يستحي من لقاء الناس لأنه يعرف حال الشخص وما عليه من الخواطر. وكان يَفهَم المسائل بمجرد النّظر. وإذا حضرَ مجلس ذلك الفقيه عَرَف المسألة قبلهُ، ومن عَرَف ذاك الإمام وما تَجُول به المذاكرة فيه من علم الشريعة والحقيقة وظاهر المُلك وباطن الملكوت عَرَف أن قدره فوق ذلك. انتهى ما أفاد به ولده الإمام نفع الله بالجميع.

وقد أقام صاحب الترجمة بصبيا مع إرادة الخمول والعبادة والصيام والقيام، وكان في بدايته قليل المخالطة للناس جداً، يختفي في بيته نحو سنتين لا يراه أحد ثم يظهر للناس نحو شهر ثم يختفي، وكان هذا حاله عند قرب وفاته وكان يقول: مِنْ عَلامَة الإفلاس الاستئناس بالناس، ولكن جرت عادة الله أن من أراد إظهارهُ مِن أوليته أقْبَل بقلوب الناس عليه، فلهذا كان لصاحب الترجمة الشهرة التامة حتى بلغ ذلك الأمصار البعيدة وقصده الناس من كل فج خصوصاً أهل جهته فقد كان إليه مرجع أمورهم وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المُنكَر ويُذَكِّرهم بأيام الله ولا يألو جهداً في إصلاح ذات بينهم، يستغرق في ذلك كثيراً من الأوقات ومع ذلك ملازم لما يعتاده من الذِكر والعبادة والإختفاء تارة وتارة إلى أن توفاه الله ليلة الخميس سابع عشر ذي الحجّة الحرام عام أربعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، ودفن بتربة جده

أحمد بن إدريس بمدينة صَبْيا رحمه الله ونفعنا به، وخلّف من الولد ثلاثة: أحمد والحسن ومحمد، فأمّا الأولان فهما عالمان فاضلان مقيمان بمدينة صَبْيَا ملازمان للعبادة والقيام والزهد والورع وحُسْن السَمْت والسكينة والوَقَار ومداومة الأذكار وإيثار الخمول وقلّة المخالطة للناس لا يخرجان إلاّ للصلاة جماعة، ولم أقف على كمال سيرتهما لبعد الديار، وأمّا محمد فكانت ولادته في ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وتسعين بعد المائتين والألف بمدينة صَبْيَا ونشأ بها في حُجْر والده على أحسن الأحوال ثم قرَأَ القرآن وحفظه عن ظهر قلب ثم أخذ في فنون العلم على شيخه العلاّمة إمام عصره الشيخ سالم بن عبد الرحمٰن باصِهي الحضرمي في مدينة صَبْيَا، ثم خرج إلى مدينة أبي عريش فقرأ بها على القاضي العلاّمة إسماعيل بن حسن عاكش وتزوج هناك ثم رجع إلى صبيا ومكث بها مدة ثم رحل إلى الديار المصرية قاصداً التوسع في فنون العلم فمكث بالجامع الأزهر مدة طويلة مجتهداً في تحصيل العلوم حتى برع وتضلّع من منطوقها والمفهوم وتزوج هناك فولد له في مدة إقامته بمصر. وقد اطّلعت على ثَبَته الذي جَمَع فيه ما مَنّ الله به عليه فرأيته حاوياً لفنون شتّى من الفروع والأصول والآلات وعلوم الحديث والتفسير والشريعة والحقيقة، جامعاً لإجازات له من مشائخ جُلّة من علماء الغرب والجامع الأزهر من الديار المصرية وبعض علماء اليمن، وقد أخذت ذلك الثبت عنه بطريق الإجازة بالمكاتبة لكوني ـ وقت رَقْم هذا ـ لم يتفق لي لقيه وسعفني بنقله بعضه بخطه الشريف وبعضه نَسخَهُ غيره بأمره ثم أرسله إلي وهو حينئذٍ بِمَرْسَى مِيْدِي، فحصل لي بحمد الله الاتصال إلى أولئك المشائخ من طريقه فجزاه الله خيراً ونفعني به وبهم آمين، وكان في مدة إقامته بمصر له شأن عظيم وكان شيوخه يجلونه ويكرمونه ولا يفتحون الدرس حتى يحضر وإذا تأخر ـ لعارض مَرَض ونحوه ـ وصلوا إلى محله مع سائر الطلبة لعيادته. ثم أنّه توجه إلى بلد آبائه بالمغرب ومكث بها نحو ثلاث سنوات، ولمّا أراد الله طلوع شمسه من صبيا حيث كان مسقط رأسه ساقته العناية الربّانية إليها لأمور يريدها الله فوصلَ إليها، وبعد نحو ستة أشهر من وصوله توفي والده السيّد علي بن محمد ـ سابق الذكر ـ وكان وصوله وقد مُلِئَت تلك الجهات من الجَوْر والظلم والفساد على اختلاف أنواعه من قتل ونهب وسَرْق وزنا وحُكْم بالطاغوت وذهاب الشريعة المُطهّرة بالكلية بترك الصلاة والصيام والزكاة والحدود وغير ذلك، وفشىَ ذلك من أقصى اليمن إلى مكة وما والاها إلى غيرها، وانطمست معالم الشريعة الغرّا وعاد الزمن يشبه زمن الجاهلية، وظهر مصداق قوله ﷺ: «لتتبعن سُنن مَن قبلكم من الأمم شِبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبّ لسلكتموه» أو كما قال. ولمّا استقر صاحب الترجمة بصبيا قام يدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى وإلى إقامة شريعة

رسول الله ﷺ ولصلاح نيته وصدق قصده جَذَب الله قلوب الخلق، فانجذبت إليه انجذاب الحديد إلى المغناطيس من كل بلد قريب وسحيق، وجاءوه رجالاً وعلى كل ضامرٍ من كل فجٍ عميق. ولم يكن قصده هذا لأنه كان يريد أن يُذكِّر الناس بأيام الله كما كان أسلافه من غير دخول في شؤونهم، فما شعر إلاّ والناس من كل فج منطرحون على بابه تائبون مما كان مستسلمون لأحكام الشريعة، يرضونه أن يحكم بها فيهم كيفَ شاء، فما وسعهُ إلاّ اسعافهم بذلك كيفَ لا وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١). وقد كان شيخه إمام عصره الشيخ العلاّمة سالم بن عبد الرحمٰن باصهي يُحرّضه على القيام بذلك ويُثبّته ويقول له: هذه الدعوة ليس إليك منها شيء لأنه تحقق في نظر أهل الله بأن هذه رحمة من الله أخرَجها لهذه الأمة كَرامةً لهم، وقَلّ ما يوجد ولي أو مَنْ له أدْنَى صلاح إلاّ وهو مُقْبِل عليها متوجه بالهِمّة إليها، ولا يتعرّض لها أحد بسوء إلاّ هَلَك وآذنه الله بالحرب. ولقد صَدَق شيخه المذكور ـ نفع الله به ـ فقد شُوهد من حُسْن الألطاف والرعاية وعجائب القدرة في الحفظ له والكفاية ما لا يُحصَى ويُقدَّر، فما قصده العدو وهو في كَثْرة عدد وعدة إلاّ رجعَ خائباً مخذولاً، وكان صاحب الترجمة منصوراً غالباً محفوظاً. ومما أُخبَر به الثقات ممن وصلَ إليه أنه كان يرد إليه كل يوم في أول الدعوة نحو أربعة أو خمسة آلاف نفر ثم إذا صلّوا معه صلاة المغرب والعِشا قعدَ معهم في محل واسع وما يزال يعظهم ويُذَكّرهم ويُعَلّمهم الأمور الدينية من صلاةٍ وزكاةٍ وغيرها إلى أن يمضي من الليل أكثره، ومَنْ لم يكن يعرف ذلك لكون الجهل قد غلب عليهم وبعضهم ليس معه من الإسلام ألا اسمه بَعَث معهم من يُعَلّمهم في بلدهم، وكفاية هؤلاء الوافدين عليه وإن كَثروا، ولا يلتفت إلى ما يَصلون به من الصِلات ولاَ مِنْ زكاة أموالهم وإن كَثُرَ بل يقبضه وكُلاء مِنْ طرفه يكْفُون به الأضْياف وما زاد عليه سَلّمهُ من عنده. وقد دخلَ في طاعته وقت رَقْم هذا أكثر من مائة ألف وأخذَ عليهم العهد على إقامة شرائع الدين، ونَفَذت أوامره إلى أكثر تلك الجهات والبلدان بالسّمع والطاعة، وفرّق فيها العُمّال من طرفه واستفاض عليها من حدود بلاد عسير إلى حدود صعده إلى حدود وادي مور من غير طَعْنَة ولا ضَرْبَة، بل وصلوا إليه طائعين منقادين بدون طلب. ومما أظهرهُ من معالم الشريعة التي قد انطمست إقامة الحدود على القاتلين والسارقين بقطع الرؤوس والأيدي والأرجل فانتشر بسبب ذلك الأمان في هذا القطر، وذلك سِرّ قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ

(١) سورة الأنعام، الآية: (٥٢).

وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾(١) وقوله ﷺ: «القتل أنفى للقتل»(٢).

ونزلت الأمطار العظيمة وعمّت البادين والحُضار وسالت الأودية وبلغت البحار، ومن ذلك أنه قطع الحُكم بالطاغوت وقد كان في تلك الجهات فاشياً لا يحكمون بغيره. ومن المُنكَر الذي أزاله ما يفعله أهل تلك الجهات من الختَان المخالف للسنة وهي أنهم كانوا يتركون الصبي بغير ختَان إلى أن يبلُغ أو يُقاربَ البلوغ ثم يسلخون الجلده من تحت السرة إلى قُرب الدُبُر وما بينهما وأكثرَ من يُصنَع به هذا الصُنع يموت، فقطعه وأمرهم بقطع ساتر الكمرة فقط الموافق للسُنَّة المُطهرة. ومن المُنكَر الذي أزاله اختلاط النساء بالرجال الذي عمّت به البلْوَى في الأسواق ومجامع الفرح والترح، فيحصل من ذلك الفساد العام.

وأمّا الكرامات والإشارات التي ظهرَت على يديه فذلك شيء لا يُحصَى، وأمّا هَديه وصلاته وحُسن سيرته وتواضعه وقُربه وطيب أخلاقه فَحدِّث عن البحر ولا حرَج، وله غاية المحبة للعلماء وأهل الفضل فمَن وصَلَ إليه منهم أكرمه وأجلَّهُ وقرَّبهُ وواساه وأنزله منزلة القُرب مع الإفادة والاستفادة وولّاه القضاء إن أراد.

وكان تاريخ ظهور دعوته في شهر محرم الحرام عام سبع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، وأمّا مبدئها فكان ليلة الأربعاء ـ لعلّها الثلاثون من ذي القعدة عام ستة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف ـ وهو الآن في شهر جمادي الأولى عام تسع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف باق على ما هو عليه يتردد من صَبْيَا إلى الحُسَيْنيَّة وهي بلدة شرقي صَبْيَا في قبليّة(٣) يَجْمَع الذخائر والعدة فيها لمّا أُنْذرَ بتجهيز الدَولة العثمانية عليه وهذه البلدة محيطة بها الجبال من كل جانب قصد التَحصن بها لما بلغه ذلك. فسيرته مشهورة، وأحواله مذكورة، وأخلاقه نبويّة مأثورة، وخلقته عظيمة تامّ الخلقة طويل القامة جسيم طيِّب الرائحة يشم الطيْب من جسده مَنْ صافحه شَمّ رائحة الطِّيب في يده بقيَة النهار، وقد امتدحهُ الفقيه العَلّامة محمد بن إبراهيم الحُشَيْبري بقصائد جمّة

(١) سورة البقرة، الآية: (١٨٩).

(٢) ليس حديثاً بدليل عدم إيراده في الصحيحين، ولم أجده في مجلدات كتاب «سلسلة أحاديث الرسول» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ولمّا كانت ابنتي ندى وهي أستاذة تحفيظ القرآن تقرأ كتاب «صفوة التفاسير» للأستاذ محمد علي الصابوني فقد وجدت المؤلف أورده على أنه مثل متداول. قال في ص (١٢٠) المجلد الأول: اتفق علماء البيان على أن هذه الآية: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ بالغة أعلى درجات البلاغة، ونُقل عن العرب في هذا المعنى قولهم: القتل أنفى للقتل، ولكن لورود الحكمة في القرآن فضل من ناحية حُسن البيان.

(٣) الحسينية: من قرى صَبْيَا بمنطقة جازان.

وامتدحهُ غيره أيضاً فمما امتدحهُ به الفقيه محمد المذكور هذه القصيدة الفريدة.

سرَى برق نجْد فاستضاءت سواحله ... ومن نحو صنْعا قد بدرن زواجله
فأعجب له من ضاحكٍ قد بكت له ... سواكب مُزنٍ قد هطلن هواطله
فحرك شوقي لاعجاً في جوانحي ... وهيّم قلباً هيّجتهُ بلا بله
لنَجْل عليْ صبح ليل أهلَ عصرنا ... به قد أزيحا غيّهُ وبواطله
فأعني بِذا المُومَى إليه محمداً ... ومَنْ جدّه أومت إليه دلائله
بنص حديثٍ والكتاب مفصلاً ... له شملت رمزاً إليه فواصله
له قد غدا خضر خليلاً مُرَبّياً ... وقد نال منه كل ما هو نائله
فشكراً لمن أسدى وأوْلَى ولاءه ... لنا عمنا بالعدل والجود نائله
فنحنُ به نعلوا على الغير مجملا ... فما انجملت آياته وجمائله
كفصل خطاب شيمة نبوية ... لقد عَسُلَت أخلاقه وشمائله
فأحيا منار الدين من بعد موته ... وإن كان قُدما قد نَدبن حلائله
وضاعت حدود الله والبغي قد فَشا ... وغاض ذووا رأيٍ كما فاض جاهله
فصارَ به الإيمان والأمن عائداً ... قوياً متيناً واستتبت قبائله
ودمّر طاغوتٌ وابليس بائسٌ ... طنابيرهُ قد كُسّرت وجلاجله
وغُلّت يداه بعدما جال هادراً ... شقائقه قد مُزّقت وجحافله
فَمن يتفرّس ذا فأهل بصيرةٍ ... أواخرهُ تُنبيك عنها أوائله
سيأتي بالأخبار من لم تُعدّه ... وتُبدي لك الأيام ما أنت جاهله
فمن كان لا يدري سيعلم في غدٍ ... حقيقة هذا حيث سمت مناهله
أقولُ ولم أنظره قبل منافقٍ ... منافيه من تخشى عليه غوائله
فيا فوز من قد شاهد الوجه وارتوى ... من النور أو شُدّت إليهِ رواحله
وسُحقاً لمن لا يستظل بِظِلّهِ ... وأضحى يعاديه وصارَ يقاتله
فيَا قُل لِمَن قد شكّ أو أنكر الهُدَى ... تعال إلينا إننا سباهِله
وإن عاف قوم هَدْيَه لِضَلالةٍ ... فقُل إن تعافُوا العدل نار قواتله
فيا رَبّنا اتمم لنا نورنا على ... صراطٍ مُبينٍ لا شكوك تداخله
فياليت شعري هل أزورَ محمداً ... وقد زيح عن قلبي المعنّى شواغله
فيا رب بلّغني زيارة جدّهِ ... عليه صلاتي بالسلام تواصله
كذا آله الأطهار والصّحب ماشدا ... على الأيك طيراً وتغنّت بلا بله

انتهت. ثم أنّهُ أرسلها إلى الحقير - جامع هذا - ولمّا وَصلت إليّ تبِعتهُ مادحاً صاحب الترجمة وإن كنت لست من أهل هذا الشأن ولا ممن يُحدِّث نفسه بالركض في ذلك الميدان فقلت:

جدت روائحه
لا في حدائق البهي تقف أنسى مكمت
كيد حور [illegible] النسيم ولطفه
وقد [illegible] نشر [illegible] والنرجس
حدائق تمت تمنحه [illegible] ترشف
هب أيها [illegible] المجد شفها
بيت سحر [illegible] سهري
تذكرت عهداً بالحمى ومواقعاً
ليت شعري هل تنتهي فرقته
نرى تسعف الأيام بالوصل والتقا
فوالله لم أنل وصلاً فؤادي معرّج
ولم [illegible] يكن إلا معرّج ساعة
سلالة خير الخلق من آل هاشم
حسام عسوم إن طمى متموجاً
له كرم يزري بمعن وحاتم
فمن لم يكن في كفه غير [illegible]
يمينه قد طاولت به المجد والعُلا
ودز عمود الحق بعد لقوله
إمام لشرع الله قد جاء ناصراً
وكانت ظلام الجهل تسود حالكاً
وحكم طاغوت وإبليس والهوى
ففرقها واستأصل الغي والردى
فأصبح وجه الشرع أبيض مشرقاً
فطوبى لمن أمضى له الشرع منهجاً
وإن تكن الأخرى فتأتيه عاجلاً
هنيئاً لأقوام تولوا لنصره
متى تجمع الأيام بيني وبينه
وتروى أحاديث الوِصال لجمعنا

مرفقاً بمغنىً لم تفده زوامله
وأنس منه نار وجدٍ تقابله
إلى نفحات للصبا ومناهله
حمامات بان المنحني وبلابله
بحبٍ له جسم من البَيْن ناحله
وقد بليت بالزمهرير غلائله
فهل عودةٌ هيهات حالت فواصله
لم اختار عمداً للقطيعة فاعله
فإني على قطع المودة آمله
إلى بحر علم ليس يُعرف ساحله
قليلاً فإني نافعٌ لي قلائلُه
مقاصده من هديهِ وشمائله
فلُجّتُهُ العِرفان والجُود نائله
ويخجل وَبل المُزن إن جاد وابله
لجاد بها فليتق الله سائله
وقامت قناة الدِّين واشتدّ كاهله
فها هو في بُرد من العزّ رافله
وقد طُمِسَت أحكامهُ ودلائله
ومِن غُربة الإسلام يبكيه ثاكله
ومُدّت لهم أشراكه وحبائله
وجرّد سيف العزم من ذا يقابله
معالمه قد وطُدت ومعاقله
يقاتل عنه من بغَى ويناضله
ذويهبةٌ تصغر منها أنامله
وإني على بُعد المسافة سائله[1]
فمدمعَ عيني فوق خدّي سائِله[2]
وتُطوى أحاديث النوى ووسائله[3]

---

(1) من السؤال.
(2) من السيلان.
(3) جمع وسيلة.

وصلّ على طه الشفيع وآله　　واصحابه تتلو البكور أصائله

انتهى. وهو وقت تحرير هذا ـ عام تسعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف ـ موجود على ما ذكرنا من سيرته الحميدة وعمره ستة وثلاثون سنةً، واستيفاء ترجمته يحتمل كراريس وهذا القدر أنموذج يدل على الباقي عافاه الله ونفعنا به آمين.

عبد المتعال بن أحمد بن إدريس:

وَصْل: وأما عبد المتعال بن أحمد بن إدريس فقد كان من العلماء الأفاضل جامعاً لمحاسن الفضائل والفواصل، وبعد أن توفي والده بمدة ـ بلغ فيها الحلم ـ خرج من صَبْيَا إلى مكة المكرمة فلقي بها شيخه العلاّمة الشيخ محمد السنوسي فمكث بها مدة ملازماً له ثم سارَا معاً إلى بلاد الغرب فمكثا هناك نحو أربعة عشر عاماً، وتوفي السنوسي بالمغرب ثم بعد وفاته خرجَ عبد المتعال إلى الصعيد بمصر وأقام به مدة، ثم بعد ذلك رأى بعض الصالحين مناماً يدعوه إلى جهة السودان فتوجّه ومرّ في طريقه لزيارة سيّدي أبـي الحسن الشاذلي فتلقّاه خادم المشهد من مسافة بعيدة، يَذْكُر أن ذلك بإشارة من سيدي أبـي الحسن، وبعد أن زار تلك المآثر الشريفة توجّه تلقاء دنقلا فوصلها وقابله أهلها بالإكرام والتبجيل وأقام بها أياماً، وكان مدة بقائه بها وأيام سفره الماضية يداوم هو وأتباعه على تلاوة القرآن مع التدبر والبكاء الشديد إلى أن لقي ربه، وكان ذلك يوم الجمعة بعد أن صلّى العصر واضطجع لحظات، وتولّى تجهيزه ولي الله الشهير الشيخ مصطفى التنقساوي، وأخبَر أنه عند الفجر قبل أن يصَلّى عليه أخذَتهُ سِنَةٌ من النوم فرأي كأنّه ﷺ جاءَ من المدينة وصلّى على الجنازة وَجاء معه ﷺ أمم من الأرواح المُقدِمة للصلاة على الجنازة وتعزية الرسول ﷺ فيها، ودُفن بدنقلا وقبره بها مشهور نفع الله به آمين، وخلّف أولاد ثمانية منهم: المأمون ومصطفى ومحمد السنوسي سمّاه بشيخه، وكلهم من جلّة العلماء ولم أقف على سِيَرهم ولا على سيرة والدهم لبعد الديار، وقد وصل المأمون ومصطفى من مصر إلى الديار اليمنية لقصد زيارة الأحياء والأموات من عشيرتهم بصبيا، فنزلوا ببندر الحُديدة في شهر رجب الحرام عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف ثم ساروا منها ـ بَعْد أن مكثوا بها مُدةً ـ فوصلوا إلى مدينة الزَّبيدية وكان نزولهم بها عند شيخنا السيّد العلاّمة الإمام عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي فأنزلهم منزلة القُرب وأحسن قراهم، ومكثوا لديه ثلاثة أيام فأخبرني أنه جَرت بينه وبينهم مذاكرة علمية فوجدهم علماء متفننين، ثم توجّهوا إلى صَبْيَا فوصلوا إلى ابن عمهم السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي ـ المار ذكره ـ فأقاموا لديه نحو شهر ثم ارتحلوا إلى الديار المصرية ووصلوا إلى الصعيد محل إقامتهم.

العلامة موسى نور بن عبد الحي المومني الحسني المغربي:

وَصَل: ومن الإدريسيين أهل الغرب السيّد العلامة الفهامة موسى نور بن عبد الحي المؤمني الحسني المغربي، خرجَ من بلده المغرب بعد أن قرأ بها مختصرات في الفقه والنحو وقرأ منهاج الإمام النووي فوصل إلى مكة المكرمة وهاجرَ بها عاماً كاملاً ثم سافر إلى المدينة المنوّرة وأقام بها عاماً آخر وقرأ على علمائها، ثم سافر من المدينة إلى زبيد وأخذ على علمائها كالسيّد العلاّمة داود بن عبد الرحمن حَجَر القديمي وغيره، ثم وَفَد إلى المراوعة وبندر الحديدة فأخذَ على علمائها كالسيّد العلاّمة محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل والفقيه العلاّمة يحيى بن محمد مُكَرَم وغيرهما، ولازم الفقيه العلاّمة علي بن عبد الله الشامي كثيراً وانتفعَ به حتى صار مشاركاً في عدة من الفنون لا سيّما الفقه والفرائض والأصول، ثم وَفَد إلى جبل أذرع(١) فتأهل به واتخذه دار إقامة مع حسن الاستقامة، وانتفع به أهل تلك البلاد الجبالية في القضاء والإفتاء والمصالحة، وهو الآن موجود بها على الحال المَرَضِي عافاه الله آمين.

سلالة الرُدَيني

العلامة محمد المنوّر:

وَصَل: ومن أشراف الجهة السيد العلامة العارف الغارف من بحار العلوم والمعارف محمد المنوّر المغربي الحسني، خَرَج والده بعائلته من الجزائر من بلد الغرب - لحادث فتنة - إلى دمشق الشام وأقام بها على أحسن الأحوال حتى توفاه الله بها. فخرج صاحب الترجمة إلى الديار اليمنية على قدم السياحة وتَرَكَ عائلته بدمشق حتى وصلَ إلى الجبال التعِزّية فأقام بجبل صَبِرْ(٢) ناشراً فيها العلوم، ذاكراً الله، مُذكراً بأيام الله، مُديماً للأذكار آناء الليل والنهار مع أنواع العبادات والتهجّد بالأسحار، واهتدى على يديه هناك خَلْق كثير وله بها تلاميذ كثيرون. وقد كان علامةً مُتَفنناً في علوم شتّى لا سيّما علم التصوف على جانب عظيم من الولاية التامة وحُسْن الاستقامة ذا مكاشفات ظاهرة وإشارات باهرة، وهو مالكي المذهب لكن له اطّلاع ومعرفة بكتب الشافعية كالتحفة شرح المنهاج لابن حجر وغيرها، وقد لقيه السيّد العلاّمة الإمام محمد بن عبد الله الزَوّاك ببندر الحُديدة وجَرت بينهما مذاكرات وفوائد في علوم شتى عُرِفَ بها فضل صاحب الترجمة وكثرة إطّلاعه وجَوْدة حفظه وفهمه،

---

(١) جبل أذرع: من بلاد المحويت.

(٢) صَبِرْ: بفتح فكسر، جبل مشهور تقوم في سفح منحدرة الشمالي مدينة تَعِز - انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

سمعته وهو يُحدِّث عنه وينعته يقول: هُوَ هو فلا يختلف في ولايته ودرايته اثنان، كما أن صاحب الترجمة لمّا سُئِل عن الزوّاك - المُشار إليه - قال: يعرف المؤلفين والمؤلفات.

وما زال بجبل صَبِر وقد مَلَك به عقاراً وأشجاراً من شجر البن والقات حتى وَقَعت له قضية كانت سبب خروجه منه، وذلك أنه قَتَل يهودياً بسبب اقتضى قتله فخافَ وقوع محذور عليه، فخَرَج متخفيًا متوجهاً إلى الجهة الشامية حتى وصل إلى مدينة حَرَض فَبَنى بيتاً في محل شرقيّ حَرَض يُسمى زهب أبو حجر، وكان كثير التردد والمكث في جبل النَّضِير[1]، وهو جبل كائن شرقي أبي عريش هواؤه بارد كثير الأنهار والأشجار والفواكه، وكان كثير التردد إلى مدينة الزهراء من وادي مور فأقام بهذه البلدان يُعَلِّم الجاهلين ويرشد الحائرين ويذكر الله ويتفكّر في آلاء الله، وقد تاب على يديه خَلق كثير متضمخين بالمعاصي فقادهم إلى طُرُق الرشاد بالنواصي، وقد عَرفت بعضهم كان منغمساً في البطالات، مرتباً في ظلمات الخزي والجهالات، فَحَسُنت توبته، ومُحِيَت ببركته حوبته، وأشرقت على ظاهره الأنوار، وتحلّى باطنه بِطيب الأسرار، وأناب إلى الله العزيز الغفّار، وقد وضع الله له كمال المحبة والهيبة في قلوب الخلق فأقبلوا عليه إقبالاً كُلّياً مع قبول الشفاعات والمصالحات بينهم، وقد شرّفني الله برؤيته في قرية المُنيرة وهو سائر إلى اليمن فرأيته أحسن الناس خَلقاً وخُلُقاً، وما زال على أكمل الأحوال وأحسنها إلى أن توفاه الله في....[2] رحمه الله ونفعنا به آمين. **وخَلَفَ من الولد ثلاثة**: إبراهيم ومحمداً الكامل ونور محمد.

فأما إبراهيم فهو أكبرهم سناً وقدراً له مشاركة في عدة فنون وله معرفة بعلم الطب وخَلَف والده في جهة حَرَض فيما كان عليه، وكان يتردد إلى الجهة اليمنية ويصل إلى جبل صَبِرٍ لقبض حاصل شجر البن والقات والعقار الذي خلفه والده هناك، ووصلَ إلى صنعاء عند الوالي حسين حلمي ورتّب له مُرتباً شهرياً على أنه يقوم بمصالحة تلك البلاد: حَرَض وما والاها ويناصحهم في الدخول في طاعة الدولة؛ وعلى أنه يكون واسطة بين الدولة وبين السيِّد العلاّمة الإمام القاسم الضحياني صاحب صعدة، وقد حَمَل إليه من طَرَف الدولة أموالاً جزيلة ليتقوّى بها على إصلاح بلاد صعدة وما والاها لكون الإمام القاسم - المذكور - موالياً للدولة. وما زال صاحب الترجمة على الحال المَرْضي إلى أن مرض مرضاً طال به وهو صابر مُحتسب، فانتقل إلى بندر الحُديدة لقصد التداوي ولمّا وصل إليه توفي بعد أيام ودُفن

---

(١) النَّضير: جبل ومدينة في رازح بالغرب من مدينة صعدة.

(٢) فراغ بالأصل.

رحمه الله، وذلك في عام تسع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف.

وأما محمد الكامل: فهو كاسمه كامل الصفات الحميدة، عالم فاضل ذو سكينة ووقار وأدب وخشن أخلاق ودين رصين، وقلب في الإقبال على مولاه مكين، ما زال على حاله هذا إلى أن أراد الله له الدار الآخرة فتوفاه في عنفوان الشباب في حرض وعمره نحو الخمسة والعشرين سنة تقريباً.

وأما نور محمد: فهو أقرب إلى سن الصغر وقد وصل إلى شيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمن بن عبد الله القُدَيْمي لطلب العلم فمكث لديه أياماً يقرأ ثم لمّا مات أخوه إبراهيم رجعَ إلى بلده حَرَض ليقوم على التركة والعائلة لكونه لم يبقَ غيره أو ولد صغير لإبراهيم، ولهم قرابة باقون بدمشق إلى تاريخ هذا، والله أعلم.

الأشراف بنو المكّي: الأشْرَاف بنو المكّي القاطنون ببلد وَصَل: ومن أشراف الجهة الحسنيين ذكرهم السيّد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله الواعظات[١]. وهم أحد بطون خمسة يجمعهم الشريف العلاّمة الولي الكبير القديمي في صورة رقيم حرره بيد بني المكّي صاحب الرَغد[٢]، وهم: بنو المكي وبنو المخنجف وبنو أحمد بن محمد الرُدَيْني وبنو الولي وبنو الهادي، وصورة الرَقَم: بسم الله الرحمن الرحيم وبعد جمال الدين فقد عثرت على كتاب بيد السادة بني المكّي الساكنين بالواعظات، والكتاب من السيد إبراهيم الشهاري ولفظه: إلى سيدي الولد الهُمام الشريف المكرّم محمد بن يحيى بن علي بن أمين بن يحيى المكي الرُديني حماه الله وكفاه وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلمّ، وَصلَ إلينا السيّد الأكمل علي العابد وعرفنا عن شأن ما ذكرتم له من أجل النّسَب، وعُرض خطابكم، فأنتم مشهورون بأنكم سادة رُدينيّون حسنيون ثم ذكر السلسلة إلى آخرها. انتهى ما ذكره، فَظَهر من تحقيقه أن بني المكي يُنسبون إلى الشريف أحمد الرديني العلامة الولي الشهير الشريف النسب صاحب الرَّغد، وقد ذكره السيّد العلاّمة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل صاحب «تحفة الزمن» قال فيها ـ بعد كلام ـ ما لفظه: ووصلَ إليهم الشريف أحمد بن محمد أبو رُدين العالم السني الصالح، كان خروجه من نواحي حَرَضْ في أول شبابه وصحب الصوفية وتحكّم للشيخ أحمد بن

---

(١) إليهم تُنسب قريتي: المحصام المكي ثم دير علي مكي، وهما قريتان متجاورتان في شمال مدينة الزهرة ومن أعمالها.

(٢) الرغد: هي محلة بجوار أبيات حسين، بمديرية اللُحية، وسيأتي قريباً ذكرها للمؤلف. وقد صارت لآل الرديني قرية كبيرة جوار الخوبة، من أعمال مديرية اللحية هي: دَيْر الرديني.

حسين صاحب المحلة بأبيات حسين وابتنى زاوية منفردة سُمّيت الرَغد بفتح الراء والغين المعجمة، فصارت زاوية يأمَن بها الخائف ويُخترم، وظهرت له كرامات إلى أن قال: فلم يزل على الطريق المَرْضِي إلى سنة ست وعشرين وثمانمائة فحجّ وزار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنوّرة ثم رجع فمرض بالطريق ومات بنواحي عَازِب - قرب حَلِيّ - وقبره مشهور يُزار، وخلفهُ بزاويته أولاده وأخوه حسن، وهم على طريقة مرضية ولهم جاه واحترام وقيام بالوافدين، وهم من الأشراف الصلاهبة الحسنيين ذُرّيّة السبط الأكبر من ذُرّية عبد الله المحض جدّ سيدي الشريف عبد القادر الجيلاني نفع الله به. انتهى ما ذكره مُلَخصاً، فَظهر من هذا أن السلطة متصلة بالحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأنّ بني المكّي وبني المخنجف وبني جمال الدين وبني الولي وبني الهادي ردينيون من ذرية الشريف أحمد بن محمد الرديني صاحب الرَغد المحقق النّسب المشهور عند النسّابين وعلى ألسنة العلماء الموثوقين لا مِرْيَة في ذلك ولا شك، وشهرتهم بقرينَة كونهم قاطنين في الجهة التي انتشر فيها نسب الرديني وعقبه كافية لا سيّما والسلسلة مذكورة فلا يجوز بعد ذلك لأحد أن يمتري في شرفهم ولا أن يطعن فيه، والطّعن في الأنساب من الكبائر الطوام الوارد فيها الوعيد الشديد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: خصلتان في أمتي هُمَا بهما كُفر؛ النِياحة والطعن في الأنساب، لا سيّما وهذا البيت أهل صلاح وعفة وديانة وصيانة دَالّة على الشرف كما قيل.

نــور النبــوة فــي كــريــم وجــوهــهــم   يُغنـي الشـريـف عـن الطـراز الأخضـر

فيجب احترامهم كغيرهم من السادات وإظهار المودة لهم كما قال تعالى: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والله أعلم بحقائق الأمور، حُرِّر في شهر شوال سنة ١٣١٧ كَتَبه عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُدَيْمي. انتهى.

فأمّا بنو المكي: فهم جماعة صالحون قائمون بالجُمعة والجماعة ذوو صيانة ودِيانة، ملازمون لمروءاة مثلهم على خيرٍ من ربهم، ومنهم السيّد الجليل الفاضل علي بن عبد الله بن يحيى مكي وَفَد إلى مدينة الزيدية لطلب العلم أخذ عن شيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُدَيْمي في مختصر أبي شجاع وشرحه لابن قاسم. ومتن الزبد وشرحه للفشني ومتن المنهاج للإمام النووي جميعه، ومنظومة الإمام الرحبي في الفرائض وشرحها للسبتي، وأملاَ عليه صحيح الإمام البُخاري من أوله إلى آخره، وغير ذلك. وله رغبة إقبال في الطلب بِحُسن نيّة وصلاح طوية، وحَفَظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً جيداً، ملازماً لتلاوته آناء الليل والنهار مع المداومة على الأذكار والتهجّد بالأسحار، وقد لازم شيخه المذكور ملازمةً تامة مدة

تريم على رحلة ثوبه وتنفع به أبناء عصره، وانتقل من بلده الواعظات إلى قرية المخنحف من قرى مور وتأهل بها واتخذها دار إقامة. وهو الآن موجود بها في عنفوان شباب يقيم بهم الجمعة والجماعة ويعلم صبيانهم القرآن عافاه الله آمين.

بنو المخنحف

وفضل وأشهر من المخنحف فهم فيئة قوبة ساكنون بجبل كائن شرقي بلاد أسلم بينهم عدد مشهورون بالشرف في تلك البلاد، محترمون لا ينالهم أحد بمكروه. ومنهم جماعة في العشيرة مقيمون بها على خير من ربهم، صالحون قارئون للقرآن محظوظون عن وظائف الشيبة ذوو ديانة وصيانة وعفة، وقد انتشرت منهم ذرية صالحة سيأتي ذكر من تفقه منهم، وقد وجدت بيد السيد الجليل عبده بن قاسم مخنحف صورة شجرة نسبهم الشريف فأحببت إثباتها ههنا وإلحاق من تفرع منهم بالأصول حفظاً لنسبهم. وصورة الشجرة: امحمد بن علي بن أبكر بن امحمد بن أحمد بن محمد بن صديق بن عبلة بن عمران أبو الهوامل بن أحمد بن محمد بن حسين بن حسن بن مدافع بن علي بن محمد بن علي بن إدريس بن نعمه الكبرى بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله السليم بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عليهم أجمعين.

فلأبكر بن امحمد المذكور في أول النسب ولدان: يوسف وعلي، ليوسف أبكر، ولعلي ولدان: امحمد وقاسم. لقاسم حسن ولحسن من الولد أربعة: عبلة ومحمد وقاسم وعلي. نعلي هذا أبو الغيث.

وأما امحمد بن علي فله ولد واحد هو: علي ومنه انتشرت الذُرّيّة وله من الولد ثلاثة: محمد وعبد الله وامحمد، ولمحمد بن علي: أحمد، ولأحمد: قاسم، ولعبد الله بن علي ولدان: علي وقاسم. فأمّا علي فله ولدان: عبد الله ومحمد. ولأخيه عبد الله بن علي ثلاثة: علي وعبده ومحمد، فلعلي ثلاثة: عبد الله وسالم وأحمد. ولأخيه محمد ولد اسمه عبد الرحمن درج صغيراً وهو نِعْم الرجل الصالح العالم، قرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب حفظاً نافعاً ثم رحل إلى بندر الحديدة فقرأ بعض المختصرات على الفقيه العلامة عبد الله بن يحيى مكرم، ثم وَقعت له إشارة في الرجوع إلى بلده فرجع ملازماً لتلاوة القرآن العظيم ليلاً ونهاراً مجتهداً في تعليمه للغرباء وصبيان بلده، وفي تعليمه بَرَكة لصلاح نيته وقصده بذلك وجه الله تعالى، وختمهُ على يديه كثير منهم، وقد قرأ على الحقير جملة مختصرات في الفقه والنحو كمتن أبي شجاع وشرحه لابن قاسم ومتن الآجرومية وشرحه للأزهري وشرح

الكفراوي على الآجرومية أيضاً ومتن الرحبية وشرحه للسبتي، وأملى عليّ بعض صحيح البخاري، وهو الآن مُلازم للطلب والإملاء مع الرغبة والإقبال وحُسن النية وصلاح الطويّة عافاه الله وزاده من فضله آمين.

فَرْع: وأمّا قاسم بن عبد الله فله من الولد ستة: عبده وأمحمد وأحمد ويحيى وعبد الله وعلي. لعبده من الولد ستة: علي وأحمد وحسين وعمرو وعبد الله ومحمد، فعلي وأحمد قَرءا عليّ بعض المختصرات في الفقه والنحو وحفظا بعض المتون، وعلي له رغبة وإقبال على الطلب وقد قرأ في مدة يدرك فيها الطالب لولا ثُقل في ذهنه، فَتَح الله لنا ولهم باب العلم النافع آمين.

ولأمحمد بن قاسم ولدان: محمد والمساوَى، ولأحمد بن قاسم ولد اسمه قاسم، لقاسم هذا: عبده ويحيى وأبو الغيث، وليحيى بن قاسم بن عبد الله ولدان: محمد وقاسم، ولعبد الله بن قاسم من الولد ثلاثة: قاسم وأحمد وأبو بكر. ولعلي بن قاسم من الولد أربعة: أحمد ويحيى وقاسم وحسن. فلأحمد: علي، وليحيى: علي، ولقاسم: مخنجف، ولحسن: علي.

رَجْع: وأمّا أمحمد بن علي بن أمحمد: فله ولد هو: قاسم وهو الملقب محوّش، وله من الولد ثلاثة: عبد الله وأمحمد ومحمد، لعبد الله اثنان: قاسم ومحمد. هؤلاء بنو المخنجف المقيمون بالمُنيرة الموجودون الآن استوعبت ذكرهم عافاهم الله وبارك فيهم آمين.

بنو جمال الدين:

وَصْل: وأمّا بنو جمال الدين فلا أعرف أحداً منهم ولم يكن هذا الاسم معروفاً الآن اللهم إلاّ أن يكون قد تُرِكَ وأُبْدِل لهم اسم غيره.

بنو الولي المقيمون بالواعظات:

وَصْل: وأمّا بنو الولي فهم قبيلة بأعلا الواعظات شرقي جبل عزان وجبل معلق[1]، مشهورون بالشّرف، وقد مرّ ذكرهم عند ذِكر الأشراف بني الولي القديميين الحسينيين ـ بالتصغير ـ وقد اختلفت الرواية في أنّهم إلى أي القبيلتين ينتسبون، ولم يوجد حقيقة، ولكن كونهم في الجهة التي سكن فيها صاحب الرَغد يدلّ أنّهم من ذريته، وعند الله حقائق الأمور.

---

(١) الجبلان المذكوران في شرقي مدينة الزُهرة.

بنو الهادي وهم بنو الهَيْج: ويشهرون الآن ببني الهَيْج[1] فهم جماعة مشهورون وَضُلَ: وأمّا بنو الهادي وشجاعة وكرم وقوة ومَنَعة، وهم رؤساء قبيلة الواعظات بالشرف أهل رئاسة وسياق نسبهم هكذا: أحمد بن الزين بن هادي بن الفقير بن مشهل بن ومشائخهم. الصديق بن أحمد بن الهادي بن عمر المشهور بأبي الهوامل بن أحمد الزين بن محمد بن حسين بن حسن بن مدافع بن علي بن محمد بن علي بن الرديني بن جعفر بن نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله الجون بن وجهه. كان السيّد أحمد بن الزين بن الهادي المُلقّب بالهيج رحمه الله رجلاً صالحاً ذا شجاعة وإقدام وهيبة وقوة جنان لا يقدر أحد يقابله في الحرب ولو قابله غلبهُ، كان رئيساً في قبيلة الواعظات مدة حياته فساسهم وسار فيهم سيرةً حسنةً ثم كتب الله له الشهادة على يد شخص تغفّله من ورائه وضربه في جبته بمعول مرهف كان به أجله، رحمه الله تعالى.

وخَلَفَهُ ابنه زَيْن بن أحمد كان كأبيه في الشجاعة والإقدام وقوة الجنان، وتولّى رئاسة المشيخة على قبيلة الواعظات فأحسن السيرة فيهم إلى أن جرى القتال بينه وبين بعض قبيلة الواعظات فقُتل في الصف، رحمه الله.

ثم خَلَفَهُ أخوه هادي بن أحمد في ذلك فقام بالوظيفة أتم قيام، ولشجاعته وقوة جنانه حاصره جُنْد لا يُحْصَى من طرف السيّد محمد بن علي الإدريسي نحو شهر في بيته فلم يظفروا منه بطائل بل إنه قَتل منهم جماعةً وذلك بسبب أنه قائم بخدمة الدولة، فطُلِبَ منه ترك الخدمة أو يعطيهم رهينة فلم يساعدهم على مطلوبهم، ولمّا طال به الحصار أعطاهم أخاه رهينةً فارتفعوا عنه. وله محاسن منها أنّه بنى مسجداً أضافهُ إلى مسجد الشيخ صايم الدهر بالزيدية فصار سبع قُبب بعد أن كان ستاً، وأصلح منارته بعد أن أخربها الترك بالمدفع يوم عاثت القبائل فدَخُلوا بالحرب إلى الزيدية وذلك في شعبان عام سبع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف. ومنها أنه بَنَى بيتاً حصيناً لأولاد شيخنا الإمام السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي، وله غير ذلك. وقد عظُمَ أمرهُ وارتفعت منزلته عند الدولة العثمانية بسبب قيامه معهم بمخالفة السيّد العلاّمة محمد بن علي الإدريسي، وهو الآن موجود على خير من ربه عافاه الله.

ومن بني الهادي: السيد الجليل العالم النبيل هزّاع بن عمر، عرفته فرأيته فاضلاً

---

(١) الهَيْج: بفتح الهاء وسكون الياء.

على جانب من حُسن الاستقامة والعبادة وسلامة القلب والتواضع، وقد تفقه بالفقيه العلاّمة يوسف بن مبارك ـ مفتي أبي عريش ـ وبالسيّد العلاّمة داود بن عبد الرحمن حجر ـ مفتي زَبيد ـ قرأ عليه جميع المنهاج للنووي، وبالسيّد العلاّمة الإمام محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل صاحب المراوعة، فصار مشاركاً في فنون لا سيّما الفرائض والنحو، وسَكَناه بقرية المرابيع مِن بلد الواعظات[١] وبقرية المعرس في أعلا الوادي مَوْر[٢]، يتردد بينهما وهو الآن موجود على الحال المَرْضي عافاه الله آمين.

آل التقي وقرابتهم

قد سَبَقَ في أوّل ذِكْر الأشْرَاف الحسنيين ـ بالتكبير ـ أن العقب من الحسن السبط كان من اثنين فقط الحسن بن الحسن وزيد بن الحسن. فأمّا الحسن بن الحسن فقد مضى ذِكر من تيسّر ذكره من ذُريته، وسيأتي إن شاء الله ذِكر مَنْ في هذه الجهة منهم وذريته أكثر الحسنيين في الخطة اليمنية الجبالية والتهامية. وأمّا ذُرّية زيد بن الحسن فلم يكن منهم في تهامة إلاّ القليل، وأكثر الموجودين منهم في صنعاء وما والاها، وأمّا تهامة فلم يكن منهم إلاّ جماعة محصورون سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى، وقد سَبَق هناك ذِكر الجهات التي انتشرت ذريتهم فيها وقامَ مُلكهم بها وَمَنْ القادمُ منهم إلى اليمن وَمَنْ مَلَك به، فانظره إن شئت. وأمّا الذين في تهامة فمنهم الأشراف بنو التقي القاطنون ببلاد الواعظات[٣] ومنهم الفقير جامع هذا المؤلف وعشيرته المقيمون بمدينة الزيدية، والجامع لنا ولبني التقي الإمام محمد بن علي الوشلي وجدّه يحيى بن محمد السراجي، ولنا عشيرة مقيمون ببندر اللُحية وبيت الفقيه بن عُجيل. وسنذكر من تَيسّر ذكره من أوائلنا ومن متأخريهم الموجودين الآن. فمِن متقدميهم **الإمام يحيى بن محمد السِّراجي**، قال السيّد العلاّمة محمد بن الطاهر البحر في «تحفة الدهر» في سبب تسميته بالسراجي ما لفظه: وإنما سُمّي السراجي لِحُسْن وجهه ونضارته، وقيل سُمّي سراجاً لأن أباه رأى في منامه أن قائلاً يقول له: سَمِّ ولدك هذا سراج الدين. انتهى. وقد ترجمه القاضي العلامة عبد الله بن علي بن محمد النعمان الضمدي في مؤلفه «العقيق اليماني في أخبار المخلاف السليماني»[٤] فقال:

---

(١) المرابيع: قرية بمديرية الزهرة.

(٢) المعرس: من قرى ربع الشمري، بمديرية بني قيس الطور، محافظة حجة.

(٣) لهم قرية تحمل اسمهم «بني تقي» ببلاد الواعظات من أعمال مديرية الزهرة. وهي قرية واقعة في أرض وادي مَوْر.

(٤) كتاب مشهور أوردَه الأكوع منسوباً إلى مطهر بن علي الضمدي بينما الحبشي في مصادره =

يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن وهو سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسن وقيل الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القسم بن الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد[1] بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه. قام السراجي هذا ودعا إلى نفسه في نواحي حَضُور[2] بعد قتل الإمام أحمد بن الحسين، وكان عالماً مبرزاً قرأ على الشيخ أحمد بن موسى عُجَيْل وقرأ الحديث بمكة المشرفة ورُوِيَ أنه يحفظ من أحاديث النبي ﷺ ستين ألفاً، سَمِع ذلك من السيد العلامة عبد الله بن الحسن بن المهدي وغيره، قال الجَنَدي[3]: كان السراجي إماماً كبيراً في مذهب الزيدية وعكفوا مدةً يأخذون عنه العلم حتى قام وادّعى الإمامة وتَرَكَ مع قوم في حصن حضور ببني فَاهِمْ بَحَضُور، وأطبق على إجابته خَلْق كثير من الناس فحسده الأشراف على الترأس عليه، وكان الشعبي حينئذ بصنعاء فبذل لبني فاهم مالاً جليلاً فقبضوه وسلّموه إليه فَكَحَله بعد حبسه أياماً فأنزل الله بهم الجذام حتى كان بعضهم يعتزل في كهف من الكهوف لئلا يجذم أصحابه فلا يدرون حتى يجذم منهم آخرون، ثم يجيفون جيفة عظيمة بحيث لا أحد يستطيع بقربهم من تغير الرائحة، حتى هلك جميع من كان منهم حاجزاً ممن كان يومئذٍ بالغاً، ولم يزالوا على ضُرّ مِنْ قَتْل بعضهم لبعض إلى زماننا هذا. انتهى كلامه. نعم فأقام عليه السلام - بعد كحله - في صنعاء مدةً طويلة يُدَرِّس ويُقرىء في العلوم من حفظه إلى أن توفي في هذه السنة المذكورة، وكان بين كُحله ووفاته ثلاثون سنة تخميناً، ودُفن في مسجد الأجذم بصنعاء[4] وقبره مزور مشهور وله كرامات مشهورة وكانت وفاته في السنة السادسة والثمانين وسبعمائة[5]. انتهى.

---

* جعله كما هو هنا منسوباً إلى عبد الله بن علي الضمدي.

(١) زيادة في النسخة «أ» كما أنه مسوق هكذا في موضعين بعد هذا.

(٢) حَضُور: جبل شامخ في بني مطر، غربي صنعاء. وقد يُقال له جبل النبي شُعيب لأن أعلاه قبر النبي شعيب. وهناك جبال أخرى تحمل اسم حَضُور، راجعها في المعجم.

(٣) كتاب السلوك (٢/ ٣٠٥) الطبعة الأولى (١٩٨٩م).

(٤) مسجد الأجذم: هو المعروف اليوم باسم مسجد الوشلي، نسبةً إلى الإمام محمد بن علي الوشلي التالي ترجمته والمقبور فيه أيضاً. ويقع المسجد شمال الطريق النافذة من السائلة إلى جهة طلحة - انظر: مساجد صنعاء للحجري ص (١٢٧).

(٥) بل وفاة الإمام يحيى بن محمد السراجي في سنة (٦٩٦هـ). وللتوسع في ترجمته انظر: العقود اللؤلؤية (١/ ٣٠٧)، طبقات الزيدية الكبرى، أئمة اليمن (١/ ١٨٠)، الجامع الوجيز، السمط الغالي الثمن (٣٥٢).

الإمام محمد بن علي الوشلي:

ومن متقدميهم - أيضاً - الإمام محمد بن علي الوشلي، وقد ترجمه صاحب العقيق اليماني فقال: وفي السنة الثانية بعد تسعمائة دَعَى الإمام المنصور بالله محمد بن علي محمد بن أحمد الوشلي من ذرية السراجي عقب حكم القاضي بن مظفر بثلاثة أشهر في وادي ظَهْر[1] من أعمال صنعاء، كان رحمه الله مُبرزاً في العلوم، لازَم الإمام عز الدين في فلله[2] وصَعْدَه وغيرها لحمل العلم الشريف، وكان فيه من السَخاء والكرم ما فاق به أهل زمانه وكان لا يحفظ درهماً ولا ديناراً ولا جعل خزانة لبيت المال، ومن كثرة سخائه الذي أَقَلَّ ما تحت يده أنه لم يُعَمِّر لنفسه داراً ولم يغرس غرساً ولا اقتنى عقاراً ولا تزوج علي أم ولده يحيى غيرها، ولأجل ذلك قال به أكثر الزيدية في جهات اليمن ولم يتخلف عنه إلا من بايع الحسن من شيعة صعده وقبائل خولان، وكان بلاده ومسقط رأسه ذَمَار[3] وكان في أيام سيادته قد عاد إلى بلده يفيد العِلم، ووقَع في جانب السلطان عامر بن عبد الوهاب منه معارضة فعفا عنه السلطان لمنصبه وقرابته من النبي ﷺ فازدادت محضه في القلوب لكونه بَايَنَ بني طاهر عَكْس الإمام الحسن فإنه والاهم وحالفهم على حرب السيد محمد بن الناصر - وهو والي صنعاء - فتقوّت محبة السراجي في القلوب وضعفت أحوال الحسن وتفرّق عنه الأعوان، رحمهم الله وعفى عنهم وسامحهم في كل خطأ وَعَمْد وحَشَرَنا في زمرتهم بحق محمد ﷺ. وكانت وفاته بمدينة صنعاء في العالم الحادي عشر بعد تسعمائة، ودُفن مع جده السراجي بصنعاء[4]. انتهى.

بنـو التقـي:

وَصْل: فأمّا عشيرتنا بنو التقِي المذكورون، فَجَدّهم الأقرب الذي يَنْتَسبون إليه هو التقي بن إبراهيم، كان فاضلاً ذا شجاعة وإقدام وقوة جنان وقد كان يتولى على هذه الجهات من طرف الإمام المؤيد محمد بن القاسم كما ذكره السيّد العلاّمة محمد بن الطاهر البحر في كتابه «تحفة الدهر» في غير موضع منه، ووَقَعت له حروب

---

(١) وادي ظَهْر: بالغرب الشمالي من صنعاء على بعد نحو عشرة كيلومترات.

(٢) فَلَلَّه: وادٍ وقرية في بني جُماعة، بالشمال الغربي من صعدة بمسافة (١٧) كيلاً. وكانت من القري المقصودة لطلب العلم.

(٣) ذَمَار: مدينة كبيرة جنوب صنعاء بمسافة (٩٥) كيلاً.

(٤) توفي سنة (٩١٠هـ)، وللتوسع في ترجمته انظر: البدر الطالع (٢/ ٢١٣)، النور السافر (٥٣)، أئمة اليمن (١/ ٣٥٨)، اللطائف السنية، طبقات الزيدية الكبرى، قرة العيون (٢/ ٢٠٨)، بغية المستفيد، مآثر الأبرار، وغير ذلك.

ومواقف عظيمة ظهرت بها شجاعته الهاشمية وإقداماته العلوية، وله ذُرِّيَّة مباركون موجودون الآن بقرية الخزب بأعلا بلاد الواعظات وهي بجيم مفتوحة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة[1] وهو التقي بن إبراهيم بن يحيى بن محمد الوشلي بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن محمد السراجي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

فمن أولاد التقي بن إبراهيم: حسن بن التقي، ولحسن: حسين، وحسين له: أحمد، ولأحمد: حسن، ولحسن: مهدي، ومهدي له من الولد ثلاثة: مِسَعَد ويحيى وهاشم، فَمِسَعَد له ولد واحد هو: علي، وليحيى: محمد، ولمحمد: حيدر، ولحيدر ثلاثة: حمود ومحمد وعلي.

فَرْع: وأمّا هاشم بن مهدي فله من الولد ستة عشر ولداً ومنه انتشرت الذُرّية وهم: حيدر وحسين ومحمد وأحمد وأبو طالب وإبراهيم وعلي وإسماعيل وهزاع وحمود وحامد وحسن ومحمد وعبد المطلب ومنصور ويحيى. فأمّا حيدر فهو عالم فاضل تَفقه بالسيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزَوّاك والفقيه العلامة عمر بن أحمد يعني والفقيه الفاضل أحمد أقعش والفقيه الفاضل هادي بن عز الدين والفقيه الفاضل مساوي جَرَنه والفقيه العلاّمة خالد بن علي البَهْكلي والسيّد العلاّمة عبده حَجَر وهو متولي القضاء. وله من الولد أربعة: حمود وحسين ومحمد وأحمد، لحمود ولد اسمه أحمد، ولحسن بن هاشم أربعة: حامد ومحمد وعيسى وأحمد، لحامد ولد اسمه عيسى، ولمحمد بن هاشم ولد اسمه أحمد، ولأحمد بن هاشم ثلاثة علي وحيدر وجبريل، لعلي ثلاثة: عبده ومحمد وأحمد، ولأبي طالب بن هاشم اثنان: حسن وهاشم، ولإبراهيم بن هاشم ثلاثة: علي ومنصور وأحمد، لعلي ولد اسمه: أحمد، ولعلي بن هاشم ثلاثة: أحمد ومحمد وحسن، لأحمد ولد اسمه إبراهيم، ولمحمد اثنان أحمد وحسن، ولإسماعيل بن هاشم ولد اسمه محمد، ولهزّاع بن هاشم من الولد خمسة: أبو طالب ومحمد وهاشم وحسين وعلي يسكنون الزّعلية كأبيهم. ولحمود بن هاشم من الولد خمسة: محمد وأحمد وعلي ومنصور وأحمد، فلمحمد ثلاثة: حمود ومحمد وعلي، ولأحمد ولد اسمه إبراهيم، ولعلي ولد اسمه عقيل، ولحامد بن هاشم اثنان: عبده ومحمد، ولحسن بن هاشم: أبو طالب، ولأبي طالب: حسن ومهدي، ولمحمد بن هاشم من الولد ثلاثة: أحمد وهاشم

---

(١) الخزب: قرية كبيرة من قُرى ربع الشام، بمديرية الزُهرة.

وعلي. كان أحمد هذا عالماً فاضلاً تفقّه بشيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمن بن عبد الله القُديمي وكان مقيماً بقرية المُعترض هو وأبوه وأخوه علي. وأمّا هاشم بن محمد فهو مُقيم بقرب الجَزب وله من الولد اثنان: حيدر ومحمد، ولعلي بن محمد ولد اسمه هاشم، ولعبد المطلب بن هاشم: يحيى، وليحيى: عبد الله. ولمنصور بن هاشم من الولد ثلاثة: إبراهيم وحسين وحمود، لإبراهيم: علي. وليحيى بن هاشم ولد اسمه هاشم، ولهاشم: محمد.

هؤلاء ذُرِّيَّة الأشْرَاف آل التقي: الموجودون الآن، وهم جماعة أهل فضل وصلاح وفلاح قائمون بالوظائف الدينية قارؤون للقرآن ولِمَا لا بُدّ لهم منه مما يُصْلِح به الدِيْن، مع حُسْن الاستقامة والصيانة والعِفّة والوَرع والزُهد والملازمة لمروءات مِثْلهم، وحِرفتهم التي يعيشون منها الزراعة، عافاهم الله وبارك فيهم آمين.

بنو المُرْتَضى المقيمون في اللُحية والزيدية:

وَصْل: وأمّا قرابتنا القاطنون ببندر اللُحيّة فمنهم السيّد الأجل الصالح عبد الوهاب بن حسن المرتضى، كان رجلاً صالحاً ذا دِيْن رصينٍ وسلامة قلب وحُسْن أخلاق وتواضع، وكانت وفاته باللُحيَّة - بَلَد أسلافه الكرام - وتَرَكَ من الأولاد ستة وهم: حسين وحسن ومحمد وعبد الله وقاسم وعلِي، موجودون صالحون على خير من ربهم وحرفتهم كأبيهم عمل البحر لهم جِلاب يسافرون فيها إلى محل استخراج اللؤلؤ فيغوصون في البحر لتحصيل ذلك بارك الله فيهم.

ومنهم بنو المُرتضى المقيمون بالزيدية، عَرفت منهم السيد الجليل الفاضل بل الولي الكامل محمد بن حسين بن محمد بن حسين المرتضى، كان رحمه الله على جانب عظيم من العبادة والزهد والورع وحُسن السيرة وصلاح السريرة، على بصيرةٍ من أمره، وكان حافظاً للقرآن العظيم عن ظهر قلب يتلوه آناء الليل والنهار مع تَدبُّر وخضوع، ذا دِيْن رصين، مُقيماً للصلوات على وجه التمام بخشوع وحضور قلب مع التأني - دائماً - في جميع أحواله وأوقاته بحيث لو كان مسافراً وحضر الوقت في أثناء الطريق نزلَ وصلى صلاةً تامّة بدون عجلة ولو فاتتهُ الرفقة ثم يركب دابّته ويسير في أثرهم ويلحقهم ولو فاتوه، بَرَكةً من الله. وكان دأبه إذا صلّى الصبح في المسجد فقد يَذْكُر الله إلى أن ترتفع الشمس ثم يُصلي الضُحَى ويرجع إلى منزله، وكان بالغاية القصوى من حُسن الاستقامة وحُسن الأخلاق والتواضع والقُرب والصدق والإخلاص مع صلاح النية وصفاء الطّوية، مُقبلاً على مولاه، مُعْرضاً عمّا سواه، مترفعاً عمّا في أيدي الناس. وكان كثير الحج إلى بيت الله الحرام، حَجّ أربع عشرة مرة وزار النبي ﷺ مرتين. وما زال على الحال المَرْضِي إلى أن توفاه الله في عام

نسع بعد ثلاثمائة والألف بمدينة الزيدية ودفن بتربة سيدي الشيخ أبي بكر صائم الدهر نفع الله بهم آمين. وكانت وفاة والده حسين بن محمد في عام خمسين بعد المائتين والألف بمدينة الزهراء، أستشهد في واقعةٍ شهرت بالربوعية كأنها وقعت يوم الربوع ولم أعرف سيرته رحمه الله.

وخلّف المترجم له من الولد سبعة وهم: حسين وحسن وحسن وعبد الله وعلي وعبد الوهاب وأبو بكر وأحمد، فأمّا حسين فهو أكبرهم سناً وعلماً وقدراً وُلِدَ - عافاه الله - في عام ثلاثة وثمانين بعد المائتين والألف تقريباً، ونشأ في حُجر أبويه على أحسن الأحوال، ثم قرأ القرآن على يد السيّد العلاّمة الصالح حسين بن إسماعيل صايم الدهر وحفظهُ عن ظهر قلب حفظاً نافعاً، ثم تفقه بجده أبي أمه السيّد العلاّمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الله الزَّوَاك فقرأ عليه جملة من المتون منها ألْفِية ابن مالك وعقيدة الغزالي والزبد والمُلْحة والجوهرة والأجرومية، حَفِظَ جميعها عن ظهرِ قلب ثم قرأ على شيخنا السيّد العلاّمة خاتمة المحققين عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُدَيْمي شروح هذه المتون وشَرْح الأزهرية مع مراجعة حاشية العطّار عليه وشَرْح القَطْر لابن هشام وحِصّة من المنهاج للنووي وحاشية الباجوري على الجوهرة، وقرأ على السيّد العلاّمة عبد الله بن حسين الزَّوَاك حِصّة من المنهاج مع شرح المحلّي وشرح ابن عقيل على الألفية، وعلى السيّد العلاّمة إبراهيم بن عبد الله القديمي جُملة من كتب الفقه والنحو. وجُلّ هذه القراءة كانت مع مشاركتي له، ثم رحلَ إلى مدينة زَبيد فأخذَ على السيّد العلاّمة سليمان بن محمد الأهدل والسيّد العلاّمة داود بن عبد الرحمـٰن حَجر القديمي والفقيه العلاّمة أحمد ناصر، ثم رجع إلى بلده مدينة الزيدية مُفِيْداً مُسْتَفيداً بفهم ثاقب وحفظٍ تام، وقد كَتَب له السيّد العلاّمة عبد الرحمـٰن بن عبد الله القديمي إجازة بخطه الكريم موجودة لديه ذَكَر فيها مقروآته ورحلته إلى زَبيد، وهو الآن موجود مجتهد في تعليم القرآن للصبيان وفي تلاوته طلاقة لسان وفصاحة مع حسن الاستقامة وسلامة الصدر والإقبال على شأنه عافاه الله آمين، وله ولدان: محمد وعبد الله، فأمّا محمد فهو يقرأ القرآن، وعبد الله صغير، عافاهم الله.

وأمّا سائر اخوانه فهم صالحون قارؤون للقرآن ولِمَا لا بد لهم منه مما يَصْلح به الدين مواظبون على أداء الفرائض والنوافل جماعةً، مُقبلون على شأنهم مع سلامة الصدر وحُسْن الاستقامة وعبد الله - منهم - رحل إلى زبيد لطلب العلم ومكث نحو ثلاث سنين وتفقّه بالسيّد العلاّمة عبد الله بن محمد بطّاح وصار له مَسْكة من كل فن يتوصّل بها إلى غيرها، ثم رجع إلى بلده مدينة الزيدية وأقام به مدةً ثم توجه إلى مَرْسَى مِيْلِيتي واتّخذهُ دار إقامة وتأهل به مع حُسْن الاستقامة إماماً في مسجد السيّد الرفاعي، وهو الآن موجود على الحال المرضي عافاه الله آمين.

آل الوشلي:

وَصْل: وأمّا الفقير جامع هذا الكتاب فهو إسماعيل بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن إسماعيل بن الزين، ولم أجد تمام النّسب لضياعه في فتنة عسير يَوْم نَهبوا مدينة الزّبدية في سنة ١٢٨٧ ولكنه قد مَضَى في الكلام على الأشراف بني التقي ـ وفي ترجمة الإمام يحيى بن محمد السراجي ـ سِيَاق النّسب بتمامه المتصل نسبنا بنسبهم ونصه: التقي بن إبراهيم بن يحيى بن محمد الوشلي، فَنَسب الحقير يتصل بمحمد الوشلي ـ هذا ـ بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن محمد السراجي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين. ولم أقف على سِيَر هؤلاء لبعد الزمن وعدم المعتنين بتدوين ذلك، غير أن السيّد الأجلّ الصالح أبكر بن عبد الله دَوْم الأهدل أخبرني أن والده أخبره بأن إسماعيل بن الزين كان من كبار العلماء شديد الحفظ وأنه كان يحفظ ـ عن ظهر قلب ـ ستمائة حديث.

السيد العلامة أبو القاسم بن أبي الغيث الوشلي:

وأمّا سيدي الجد أبو القاسم بن أبي الغيث الوِشلي فقد كان من العلماء الأفاضل وكان يميل كثيراً إلى مذهب أهل البيت ولكن له نَظَر في كتب الشافعية وكان لديه عدة من كتب أهل البيت كالأزهار وغيره، وكان حافظاً بارعاً شديد الذكاء والفطنة، فصيحاً قوي العارضة، طَلْق اللّسان شاعراً مُجِيْداً شَهِدَ له بالإجادة في ذلك السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر حيث كانت بينهما مكاتبات وأشعار. وكان ذا دِيْن رصين وصيانة وعِفّة، مُلازِماً للمسجد غالباً وإملاء كُتُب الحديث فيه بَيْن صَلاتي المغرب والعِشاء بحضور أفاضل كانوا في وقته سيأتي ذِكر بعضهم إن شاء الله تعالى. ومن شدة حفظه أنه كان يحفظ القصيدة الطويلة عن ظهر قلب بسماعها مرة واحدةً كما سمعت ذلك من سيدي الخال العلاّمة محمد بن عبد الله الزَوّاك، وكان يحفظ أكثر المقامات للإمام الحريري عن ظهر قلب. ومِنْ جَيِّد الأشعار الكثير الطيب، وكان حَسَن المحاضرة سريع الإستحضار، مُجَالِساً للملوك لطيف الطبع والشمائل، كثير الإيراد للنكت واللطائف، لا يَمَّل مُجَالِسَهُ حديثُه، حَسَن الشارة يحب الطِيْب والملابس الفاخرة، طويلاً جسيماً تام الخِلْقَة، حَسَن الخَلْق والخُلُق. وكان كثير التردد إلى أئمة صنعاء له عندهم الحظوة التّامة ورحل مرةً إلى أمير الشراة عايض بن مرعي فأكرمه وأجلّهُ، وقد كَتَب إليه السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمن

صاغ الدهر هذه القصيدة مادحاً له ومجيباً عليه وأشرك معه في المدح النقيب الهُمام محسن بن عمر بن صالح رحمه الله آمين:

وافت تفوق السمهريّ قَواما   فغدى هواها للشجي قواما
لما أتت لاحت بداجي فرعها   فرأيت بدراً قد أزاح ظلاما
في خدها نارٌ وإن عذابها   للعاشق الولهان صار غراما
حسنت لديه مستقراً لم تكن   ساءت كما ساء الغرام مقاما
ما كنت أحسب قبل عذب خطابها   في الحب أنّ من الكلام مُدامَا
ومن القدود عواملاً مشروعةً   ومن العيون صوارماً وسهاما
منّت بوصل الصبّ وهي عزيزة   من إن تراني للعيون مناما
عجباً بها جاد الزمان ولم يكن   لعناده لي قد أتم مراما
لم ألقه مُتبسماً وإذا رَمى   خطباً فيلقيْ حازماً بسّاما
وإذا خشيت فإن لي من خطبهِ   عَلَماً ألوذُ بظله وحساما
وهما الشريف بن الإمام ومحسنٌ   إسماً وفعلاً إن مدحتَ هماما
ذا معقل للحادثات وذا به   أسطو إذا خطبُ الزمان اضاما
هذا به أرسى الإله بسيطة المجـ   ـد الأثيل فلم تمر إذ قاما
وحمى بذا ثغر المحامد والعلا   فَغَدا على طلب اللئام حراما
ذا قائد الجيش اللهام إلى الوغا   إذ ذاك صار على الجميع إمَامَا
هذا غدا شمساً وهذا في سماء المجـ   ـد بدراً للعفاة تماما
يا سيداً قد فاق أرباب الحَجى   والمجد والرأي السديد مقاما
لا شك سلطان البلاغة أنت إذ   أرسَلت من جيش البديع نِظَامَا
وافت قصيدتك التي هي خية   منها لقيت تحية وسلاما

وكَتب إليه سيدي أحمد ـ أيضاً ـ من الزيدية مادحاً ومُجيباً وهو يومئذٍ بالحُديدة، والولاية في الزيدية يومئذٍ لبني الكلفود وقد أفسدوا في ذلك القطر فقال:

مريض هجرك لا يشفي له ألم   فإن راءك نأى عن جسمه السقم
أماتني البعد لكن أن أموت ففي   ترياق نظمك ما يحيي به الرمم
وجيش صبري لا أقوى عليهِ وهل   أقوى عليهِ وجيش ماله عَلَمُ
متى أجرّ ذيولاً للقا رفعت   حالي لديكم وفِعْل البَيْن ينجزمُ
يا سيداً فاق سُحباناً وصارَ له   نظمٌ هو الدُرّ إلاّ أنه كَلِمُ
أشكو إليك بلاداً خاب نازله   إن كان وهو أديبٌ بارعٌ شهمُ
شر البلاد بلادٌ لا صديق بها   وشرّ ما يكسب الإنسان ما يَصِم

من العجائب من فيها يقال لهم عربٌ فإن كان ذا فالأفضل العجمُ
فما لمن ساد أصلاً طالعٍ أبداً وقد تولت حماها الأعبد القزم
بل كيف تعجبهُ السكنى وسيدهم قد استوت عنده الأنوار والظلم
متى أرى السيف فيهم ماضياً ومتى بفيلق الصبح جيش الأفك ينهزمُ
لله در بليغ في قصيدته غبر الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا
وآهِ من جوز دهرٍ حيث مكّنهم في المُلك حتى غدو والأمر أمرهم
يا للرجال اما لله منتصر من الطغاة وما للدين منتقم
قد خبهم بسطاهم من نأى وَدنى ويدّعي حب سيف الدولة الأمم
يا سائراً بلدةً هام الفؤاد بها عج بالمصلى وأرضٍ حلها العلم
وقُل له يا فتى قد طال بينكُمُ متى يكون اللقا والوصل بينكم
إذا سَرَى بارقٌ من نحو أرضكم فالدمع من عينه كالقطر ينسجم

انتهى. والحاصل أن صاحب الترجمة رحمه الله كان على أحسن الأحوال وأكملها وأجملها، وكان موته بمدينة الزيدية ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان الكريم أحد شهور عام تسعة وسبعين ومائتين وألف، وقد أخبرني سيدي الخال العلامة السيّد محمد بن عبد الله الزّوّاك أنه كان حاضراً عنده لمّا احتضر فقال له: كم في الشهر الليلة؟ فقال له: ليلة إحدى وعشرين، فأنشد بيتاً من الطرائفيّة التي تقرأ عادة في شهر رمضان، كل ليلةٍ يُقرأ منها حَرْف على كيفيةٍ معروفة، هو:

فراق احيبابي بسيط مُديدة وإني لأخشى أن يكون به حتفي

وكان الموافق في تلك الليلة قراءة هذا الحرف بعينه. ومن العجائب استشهاده بهذا البيت منه واستحضاره له وهو مُحْتضر مع ما فيه من الشاهد لحاله التي هو فيها، وكانت عنده حاضرةً في ذلك الوقت زوجة النقيب محسن بن عمر وكان بين زوجها وبين صاحب الترجمة مودة أكيدة فقال له: كيف حالك يا حبيب؟ فقال لها: شا اسلُم لك على النقّيب. ولمّا بَلَغت روحه - في حال النّزع - إلى سُرّته قال: ها هي في هذا الموضع، وأشار إلى سُرّته، ولمّا بَلَغت صدره قال: في هذا الموضع، وأشار إلى صدره. وما زال ثابت العقل حتى نُزعت منه الروح رحمه الله، ودُفن في مقبرة السادة بني صائم الدهر المُسمّاة بـ «ساكن المخزن» نَفَعنا الله به آمين.

محمد بن أبي القاسم الوشلي والد جامع هذا الكتاب:

وَصَل: وتَرَك ولدين: محمداً وعبد الله، فأمّا محمد فهو والذي وكان أكبرهما سِناً وَقَدْراً، وكان فاضلاً عارفاً من العِلم بما لا يُستغنى عنه في صلاح دينه ودنياه، كثير الصمت والحياء لا يتكلم غالباً إلا جواباً، ذا ديانة وصيانة وكرم وسكينة

وقار وصدق وإخلاص، حَسَن السيرة، طيب السريرة، على غايةٍ من حُسْن الأخلاق والقرب والتواضع، لا يَعْبَس في وجه أحد ولا يُخاطب أحداً بما يكره، بل يظن كل أحَدٍ من الناس أنه منفرد بمودته دون غيره، وكان له محل معدود لاجتماع الناس من الضيف وغيره يُمْلي فيه كُتب الحديث والأدب، وكان يحترف في البَزّ - بالباء والزاي - في الأسواق كَسُوق بِجَيْلَة وسوق القَنَاوِص ولمّا أراد الله له الشهادة خَرَج ليلة الجمعة من سوق القناوص بعد العِشاء في شهر صفر عام إحدى وتِسعين بعد المائتين والألف متوجهاً إلى بيته بالزبدية صادفه جماعة من قبيلة صلّيل خارج السوق، قريباً منه، فأخذوه وتوجّهوا به إلى الهيجة وأخذوا ماله ثم قتلوه، فأدركه بعض المُحبِّين فغَسَّلهُ وكَفّنهُ وصلى عليه ثم دفنه، ولم يقدر على الإخبار بذلك خوفاً من اتهامه وتشديد الدولة في ذلك، فمَضَى لحاله شهيداً مُوَفّقاً حميداً وانتقم الله من قاتليه فَسَلّط عليهم القتل وعلى الرّاضين والمعاونين وكل من كان له يدٌ في قتله، وانفتح باب القتل بعده وتَتَابع من ذلك الوقت إلى الآن فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ولم يُخَلِّف من الذكور غيري، وكنت في ذلك الوقت صغير السن لي من العمر نحو سبع أو ثمان سنين تقريباً لم أُكمِل قراءة القرآن حفظاً فَضَمَّني إليه سيدي وخالي السيِّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك، أنا وعائلتي، وقام بكفالتنا وتربيتنا وأسدى إلينا كل خير وإحسان فجزاه الله عنّا أفضل الجزا وبوأهُ نعيم الجنان آمين.

إسماعيل بن محمد الوشلي جامع هذا الكتاب:

وقد جَرَت عادة كثير من المؤرخين الترجمة لأنفسهم، فلا بأس بِذِكر بعض سيرتي تَبَعاً لهم وتأسّياً بهم، فأقول: أن مولدي كان في عام أربعة وثمانين بعد المائتين والألف تقريباً بمدينة الزبدية ونشأت في حُجر أبوي ما عَرَفت اللعب مع الصبيان، وقرأت القرآن الكريم على يد سيدي وشيخي السيّد العلاّمة الصالح حسين بن إسماعيل صائم الدهر وحفظته بحمد الله عن ظهر قلب، ثم لمّا توفي والدي شرّفني الله بملازمة خدمة سيدي الخال المذكور ملازمةً تامّةً وقرأت عليه في خلال ذلك: متن أبي شجاع ومَتْن الزبد والمُلْحة وعقيدة الغزالي والأجرومية، جميع هذه المتون حفظتها عن ظهر قلب. ومما قرأته عليه أخيراً «النقاية» للسيوطي مع بعض الشرح و «مقامات الحريري» وبعض «عقود الجُمان» و «رسالة في البيان»، وقد نَسَخت له من الكتب كثيراً «كالروض الباسم في الذّب عن سُنّة أبي القاسم» للوزير و «أدب الطّلَب ومُنتهى الأرَب» و «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» و «البدر الطالع بمحاسن مَن مِنْ بعد القرن السابع» ثلاثتها للعلاّمة الشوكاني و «تحفة الزمن» للعلاّمة البدر الأهدل و «تحفة الدهر» للعلاّمة محمد بن الطاهر البحر. وقرأتها كلها عليه على سبيل المقابلة ولا تخلو - إن شاء الله - مِنْ فائدة، وكذلك «الفتح الإلهي»

للسيد العلامة علي بن إبراهيم الأمير قرأت بعضه عليه وسمعت منه البعض الآخر.
وفي خلال ذلك لازمت سيدي وشيخي السيد العلامة المحقق إبراهيم بن عبد الله القُدَيمي للقراءة فقرأت عليه «شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع» و «شرح الأزهري على الأجرومية» و «متن المنهاج» للنووي ثم أخذته عليه مع «شرح المحلي» و «شرح الرحبية» للسبتي في الفرائض و «النهجة المرضية شرح الألفية» للسيوطي مع مراجعة حاشية ابن عنقا وحاشية الخضري، وقرأت عليه «شرح الأزهرية» في النحو مع مراجعة «حاشية العطّار» ونحو النصف من «المُتممة» وقرأت عليه بعض «تفسير الجلالين» في وقت خاص، ثم اخترمته المنيّة في عنفوان الشباب فلازمت حينئذٍ سيدي وشيخي خاتمة المحققينِ السيّد عبد الرحمن بن عبد الله القُديمي ملازمةً تامة وبه وبأخيه إبراهيم المذكور تخرّجت، وقرأت عليه - بحمد الله - كثيراً من كُتُب الحديث والفقه والنحو، منها «المنهاج» للنووي وَحِصّة من «فتح الوهّاب» في المعاملات وحصة من أول «التحفة» لابن حَجر ومعظم «شرح الرحبية» للسبتي في الفرائض و «شرح الفاكهي» على المُلحة ومعظم «عقود الجمان» في البديع والمعاني و «البيان» للسيوطي وبعض «شرح التلخيص» و «المنهج السوي» في مصطلح الحديث للإمام الشيرازي، مع مراجعة «حاشية المنهل الروي» للسيد العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل ومعظم «المقامات» للحريري وجميع صحيح البخاري ومُسْلِم وسيرة دحلان وسيرة العامري المُسَمَّاة بـ «بهجة المحافل» و «رياض الصالحين» وبعض «الإحياء» و «بلوغ المرام» و «العمدة» وحصة من شرح «جمع الجوامع» و «الوريقات» لإمام الحرمين وشرحها للمحلي في الأصول، وسمعت كثيراً من كتب الحديث والفقه والنحو بقراءة غيري عليه كولده السيد العلامة محمد بن عبد الرحمن، وقرأت عليه أيضاً جميع مؤلفاته السابق ذكرها في ترجمته.
وكان لي معه مجلس خاص في وقت السحَر من شهر رمضان إلى طلوع الفجر، فقرأت عليه في هذا الوقت «شرح الحِكَم» لابن عطاء الله و «التنوير في إسقاط التدبير» له أيضاً و «قطر الولي على حديث الولي» للإمام الشوكاني. هذه جُلّ مقروءاتي عليه، وكنت في خلال ذلك أكتب عنه غالب مؤلفاته ورسائله وفتاواه.

ومن مشائخي الذين أخذت عنهم السيّد العلاّمة عبد الله بن حسين الزَوّاك، والسيّد العلاّمة أحمد بن محمد الزوّاك، والسيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل قرأت عليه كثيراً من كُتُب التصوف ذَكَرت بعضها في ترجمته، ومنهم الفقيه العلاّمة - مفتي أبي عريش - يوسف بن مبارك أيام وفادته إلى اليمن، والفقيه العلاّمة علي بن عبد الله الشـ●ـي، والسيّد العلاّمة محمد بن عبد القادر الأهدل، والفقيه العلاّمة عبد الله بن يحيى مُكَرَم. وقد وَقَعت لي إجازات، منها ما كتبه سيّدي وشيخي السيّد

وقد أثبت ذلك هنا برُمّته
العلاّمة خاتمة المحققين عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي وإن كنت لست أهلاً لِمَا
مُحافظةً على ألفاظ المشائخ لِعَوْد بركتها إن شاء الله تعالى، الحمد لله الذي زَيّن بالعلم النافع من
ذكرته، وصورته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، والصلاة والسلام على صفوة الصفوة من
انتقاه، ورَفَع به قَدْر من أخلص نيته وصفّاه، وعلى آله المُطهّرين بنص كتابه الحق بلا اشتباه،
جميع خلقه خليلِهِ ومجتباه، وبعد فإن الإجازة والاستجازة لم تزَل بين أهل العلم
وأصحابه الأفاضل الهُداة. دَرَج عليها سلفهم وتبعهم فيها خَلَفهم. أكْرِمْ بها من طريقة
الطالبين سبيل النجاة، موصلة لِلمُجاز من أدنى الفضل إلى أعلاه، وأنَّهُ قد سَلَك تلك الطريق الولد العلاّمة
البالغ من الشرف والعلم أقصاه السيّد الأجل الصالح الجامع مع العلم طريق الاستقامة
إسماعيل بن محمد بن أبي القاسم الوشلي الحسَنى أدام الله عليّ وعليه إحسانه،
فطلب مني الإجازة بعد أن طلب ودأب ونَجَب وحفظ عدةً من المُتون النافعة مع
مراجعة الشروح والحواشي وأدرك عدةً من الفنون من تفسير وحديث وفقه ونحو
وأصول وغير ذلك من الفنون الأدبية، وبالخصوص قد قرأ عليّ صحيح البخاري من
أوله إلى آخره وَضَبَط متنه وأسانيده وصحيح مُسْلِم كذلك مع حضور شرح النووي
وتعليق السيوطي، وقرأ منهاج الفروع جميعه مع مراجعة الشروح، ولم يزل باحثاً
مُفيداً مُستفيداً زاده الله مما أولاه. فلم يكن بُد من إجابته وإن كنت لست من أهلِ هذا
الشأن ولكن قد خَلا الزمان، فأجزته مشافهةً وخَطّاً بجميع مَا تحِقّ درايتهُ وتَصُح
روايته من منقول ومعقول وفروع وأصول إجازة مُعين لمعيَّن وأذِنت له في أخذ
الأسانيد التي اتصلت إليّ من سيّدي الشيخ العلاّمة الحُجة المرحوم السيّد محمد بن
عبد الله الزَوّاك صائم الدهر القُديمي الحسيني: صحيح البخاري وغيره من الكتب
المنصنة في ثَبت الأمير المصري وغيْر شيخنا من مشائخ لا نُطيل بذكرهم منهم
الشريف العلاّمة الحُجّة محمد بن ناصر الحازمي الحسَني أيام قدومه اليمن ونزوله
على شيخنا فاستجازه بعد أن قرأت عليه أنا والسيّد العلاّمة إسماعيل بن عبد الله
الزَوّاك في أول الصحيح فأمْلَى إجازة شاملة كَتَبها مع سَند البخاري من طريقين،
والإجازة شاملةً لنا مع شيخنا بالاسم والنّسب والتعيين، وخصّ شيخنا بسند كتبه
مسلسلاً بالمحمدين لأن المُجيز محمد والمُجاز محمد عن الشيخ محمد عابد عن
محمد حيوة السندي، وهكذا. وهذه الأسانيد والإجازة ضاع رقيمها في فتنة عسير
وبقي نفعها إن شاء الله والقصد الاتصال بأهل الفضل من الرجال، وأذِنت للسيّد
المذكور في الإملاء والدّرس والتدريس في كل فن نافع لأنه أهل لذلك ولائق بما
هنالك، والمطلوب أن لا ينساني من الدعاء ولا يَنْسَى من كان السبب في حصول
ذلك مع وصيته بالتقوى التي هي رأس الأمر ومِلاكه ومجاهدة النفس بمطالعة كُتُب

الرقاق التي هي من أقوى الأسباب في التصفية من الأدواء القلبية والرذائل الحسية والمعنوية، فإنه قد قرأ عليّ منها ـ أيضاً ـ الكثير النافع وسمع من غيره كأحياء الغزالي والحِكَم العطائية مع ابن عباد وبالله سبحانه الاعتماد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. قاله بِفَمِهِ وأمر بِرَقمه عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُديمي لَطَف الله به. انتهى.

ومنها ما كتبه سيّدي وشيخي وخالي شيخ الإسلام محمد بن عبد الله الزوّاك قبل وفاته بنحو عام، بقلمهِ الشريف، وهي إجازة وجيزة شاملة لسيدي وشيخي السيّد العلاّمة عبد الرحمـٰن بن عبد الله القديمي وأولاده وأحفاده وللحقير، نصها: الحمد لله قد أجزت عبد الله والوجيه والعلاّمة النبيه عبد الرحمـٰن بن عبد الله القُديمي وأولاده وأحفاده ومن تأهّل من أهلهم والولد العلاّمة إسماعيل بن محمد بن أبي القاسم الوشلي وولد ولدي أحمد بن أحمد بن محمد الزوّاك وكل من تأهّل من القرابة في طلب العلم إجازةً عامة في كل ما تصح لي روايته وتستحق درايته بالشرط المُعتبر عند أهله وإيداع كل فن في محله وذلك في الفروع والأصول والمعقول والمنقول، وقد أخذوا عني ثَبت الإمام محمد بن محمد الأمير المصري نفع الله به بروايتي له عن الشيخ عبد الله بن محمد العباسي القمراوي عن الشيخ العلاّمة إبراهيم الباجوري والسيّد مصطفى البولاقي نفع الله بهم، وأوصيهم بتقوى الله تعالى ودَوام الطلب في الإفادة والاستفادة وأن لا ينسوني من صالح دعواتهم في خلواتهم وجلواتهم، وفقّهم الله لِحُسن الاتّباع ونفعهم بما عَلِمُوه وعَلّموه إنه ولي ذلك. وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. كَتبهُ الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الله الزوّاك صائم الدهر القُديمي الحسيني غفر الله له ولمشائخه ولوالديه آمين. انتهى.

ومنها ما أخذته عن سيدي وشيخي السيّد العلاّمة المُتفنن الإمام محمد بن علي الإدريسي بطريق ما أجازه بالمكاتبة لكوني وقت رَقْم هذا لم يتفق لي لقيهُ، فقد أجازني بثبته الجامع لمروياته ومشائخه من علماء المغرب ومصر واليمن وغيرها جزاه الله خيراً. ومن لقيتهُ وأخذت عنه الشيخ العلاّمة محمد بن يوسف جَدّي الزبيدي وأجازني إجازةً عامة. والله أسأل، ونَبيَّهُ الكريم إليه أتوسّل، أن ينفعني بذلك ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز بجنّات النعيم ويوفقني لصالح العمل ويجنّبني موارد الزيغ والزلل، وإلاّ فمجرد القراءة بغير ثمرة ليس تحتهُ طائل ولله در القائل:

ليس التفقه إكمال الكتاب بلا ... فهم وتحقيق ما يحويه من أرب
بل التفقه أن تدري مسائله ... وأن تكون شريف العقل والأدب

ولن تذاكر من تلقته محتهداً | من غير كبر ولا سخف ولا عجب
ولن تكون صحيح القصد في عمل | إن شئت تبلغ ما تهواه من إرب

وما زلت مع اشتغالي بالطلب في خدمة سيدي وخالي السابق ذكره ملازماً له ليلاً ونهاراً حتى غذيت بمحبة الوافرة وربيت في حجره وكرعت - بقدر طاقتي وقابليتي - من بحار علومه الزاخرة، ورحم الله القائل:

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة | ولست على قدر السلاف تصاب

وقد قيل إن لما التعليم أشرف من أبي النسب:

فهذا مرشي الروح والروح جوهر | وذاك مُرَبّي الجسم والجسم كالصَّدَف

ولما بلغت في العمر ثمانية عشر سنة تقريباً زوّجني بنته وَوَلد لي منها أولاد، واستمريت في خدمته معاوناً لابنه أحمد بن محمد مشاركاً له في كثير من أمور الخدمة التي هي القيام بكفاية العائلة الناشيء عنه تفرغه للاشتغال بتحصيل العلوم، حتى توفي الله ولده المذكور في عام سبع بعد ثلاثمائة وألف فانفردت حينئذٍ بتلك الخدمة وفوّض إليّ جميع أموره. فخدمته لأني كنت قد عَرفت بعضها في تحت خدمة ولده المذكور وباشرتها نها أكثر من ستة عشر عاماً فَخَدمتهُ أربع سنين ما سألني عن شيء. وقمت في ذلك بقدر الجُهْد والطاقة وأعانني الله على القيام بها ببركته وإن لم يكن في نحو ولا ليامه إلى أن توفاه الله في شهر صفر من سنة إحدى عشرة بعد ثلاثمائة وألف، فاستمريت ملازماً لسيدي الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي ملازمة تامة مع ترددي كثيراً إلى سادتنا الأشراف من آل حيدر بمدينة الزهراء وإكرامهم وإحسانهم إليّ كثيراً جزاهم الله خيراً، إلى عام سبعة عشر بعد ثلاثمائة وألف استدعاني السيد العلامة الأجل محمد بن يحيى الإهدل للإقامة لديه بالمُنيرة لتدريس أولاده ولزوم كتابة ما احتاج إليه من المكاتبات، فلبّيت داعيه، ووقفت بناديه، ملازماً للإفادة والاستفادة مع ترددي إلى شيخنا المذكور عند وصولي لزيارة الأهل بمدينة الزيدية إلى وقت رقم هذا - وهو عام تسع وعشرين بعد ثلاثمائة وألف - جزاهم الله عني خيراً وكافاهم بالحُسنى وزيادة.

ولي من الولد أربعة: محمد ويحيى وقاسم وعبد الله، فأمّا يحيى وقاسم وعبد الله فهم في سن الصبا، وولادة يحيى كانت في شهر رمضان عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، وولادة قاسم كانت في شهر رجب عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف، وعبد الله في سنة ١٣٢٩ أنبتهم الله نباتاً حسناً وجعلهم من حَمَلة القرآن العظيم والعلم النافع آمين. وأمّا محمد فمولده في شهر ذي الحجّة الحرام عام ثلاثة بعد ثلاثمائة وألف، نشأ في كفالة أبويه على أحسن الأحوال لم يعرف اللّعب مع

الصبيان ثم قرأ نصف القرآن على يد الفقيه العلاّمة بركات بن مهدي قراءة ضابطة وقرأ النصف الآخر على يدي، وحَفِظ بعضه عن ظهر قلب ثم قرأ بعض مختصرات الفقه والنحو وحَفِظَ المتون على يد شيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي، وهو الآن يقرأ على يديه في «الفشني شرح الزبد» و «الكواكب شرح المتممة». وله خط حسن عافاه الله وفتح لنا وله باب العلم النافع آمين.

وَصْل: وأمّا عمي ـ صُنْو أبي ـ عبد الله بن أبي القاسم الوشلي فكان رجلاً صالحاً فالحاً ذا ديانة وصيانة وعفاف وورع وزهد، قارئاً للقرآن وما لا بد له منه مما يصلح به الدين، وكان سليم الصدر متواضعاً مقبلاً على شأنه، كثير الصمت قليل المخالطة للناس، ملازماً لتلاوة كتاب الله آناء الليل والنهار، وكان مُبتلِي بالفقر وقلّة ذات اليد فَصَبَر صبراً جميلاً، وكانت وفاته على الحال المَرْضِي في عام ستة عشر بعد ثلاثمائة وألف بمدينة الزيدية ودُفن بمقبرة سيدي الشيخ أبي بكر صائم الدهر رحمه الله آمين، وخَلّف من الولد ثلاثة: محمداً وأبا القاسم وإسماعيل، فأمّا محمد فهو أكبرهم سناً وفضلاً وكانت ولادته في شهر ذي الحجّة الحرام عام ستة وتسعين بعد المائتين والألف، ونشأ في حجر أبيه نشوءاً حسناً وقرأ القرآن على يد الفقيه العلاّمة بركات بن مهدي، وقرأ على الفقير بعض المختصرات كأبي شجاع وشرحه لابن قاسم والزّبد والمُلْحة والرحبية وعقيدة بن مطير، وقرأ بعض متون الحديث على شيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي كعمدة الأحكام وبلوغ المرام، ثم رحلَ إلى بَنْدر الحُديدة عام اثنين وعشرين بعد ثلاثمائة وألف وأخذَ على السيّد العلاّمة محمد بن عبد القادر الأهدل وعلى الفقيه العلاّمة عبد الله بن عبد الرحيم السعدي، قَرأ عليهما في المنهاج للنووي والمتممة والألفية، وفي أيام إقامته بالحُديدة كَتبَ إليّ قصيدةً فأجبته بأخرى حاثًا له على مداومة الطّلَب وهي:

سَرَت سحراً فأخفاها الحجاب ... وجلباب الحياء لها نقاب
ممنعة عن الواشين طَرّاً ... بحصن لم يكن للحصن باب
ولم تطرق لها الأفكار ربعاً ... لعزتها فأخرجها العتابَ
أتت تمشي حياءً لا عتذار ... وما واشٍ تخاف ولاَ تَهاب
أكنّى عن بنات الفكر لا مَا ... يُراد بـه سعاد ولا رَباب
فإني ما رأت عيني قواف ... كما أبْدَى الفتى العِزّي الشهاب
بجيد الطرس عقداً من لآلٍ ... مُنظمةً وما نَثر الرّباب
فصاحة منطقٍ وصفاء ذهنٍ ... وألفاظٍ يحررها الخطاب
مُضَمّنةً صدور العذر عمّا ... توهّمه وذاك هو السراب
وما ذاك العتاب عتاب حقدٍ ... ولكن عَتْب ودٌّ لاَ يُشَاب

وقد مثّلوا عتاب الود قُدماً … يصابون القلوب وما استراب
ألم تسمع إلى ما قيل فيه … فأصغ له ليرتفع الحجاب
إذا ذهب العتاب فليس ود … ويبقى الود ما بقي العتاب
أيا عزّ الهُدى فارَقت أهلاً … وساعدك النوَى والاغتراب
وإذ قد قدَر الرحمن هذا … يكن فيه مجيئك والذهاب
لتحصيل العلوم بصدق عزم … وإخلاصٍ يتم لك الثواب
فبادر واغتنم ريَعان عُمرٍ … فما بَعْد الشباب هو التّرابُ
يا ابن الأكرمين أتاك نظمٌ … ركيك ضِمْنَهُ لَكُمِ الجواب
نثراً فالحقير له قصور … وليس له إلى الآداب بابُ
ودم تتلو الصلاة على نبي … عليه الله أثْنَى والكتاب
مع التسليم تشمله وآلاً … كذاك الأهل طَرّا والصِحَاب

انتهت. وهو الآن موجود على خير من ربه ملازم لتلاوة القرآن والقراءة، مواظب على الوظائف الدينية، وقد حَجَّ إلى بيت الله الحرام أربع مرات عافاه الله آمين، وله ولد اسمه عبد الله أنا جده أبو أمه وولادته في شهر جمادي الأولى عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف أنبتهُ الله نباتاً حسناً.

فَرْع: وأمّا أبو القاسم بن عبد الله الوشلي فهو رجل صالح قارىء للقرآن مواظب على تلاوته، مُقْبِل على شأنه، مِوْلَع بالوفادة إلى بيت الله الحرام في كل عام للحج وقد حجّ سبع حَجّات. وهو الآن موجود على خير من ربه، وكانت ولادته سنة ١٣٠٢ وكذلك أخوه إسماعيل بن عبد الله، صالح يقرأ القرآن وهو أصغرهم سناً موجود على الحال المَرْضِي ومولده سنة ١٣٠٧ تقريباً. ولأبي القاسم ولدان: محمد وعبد الله، مولد محمد في سنة ١٣٢٥ وعبد الله سنة ١٣٢٧ عافاهم الله وبارك فيهم آمين.

وَصْل: ومن عشيرتنا جماعة مقيمون ببيت الفقيه ابن عُجَيْل، منهم السيدان الجليلان: علي وحسن إبْنَا إسماعيل، لِعَلي ولدان: عبد الله وحسين، ولعبد الله ولد اسمه . . .[1] ولحسين: محمد وعلي، ولحسن بن إسماعيل ولدان: محمد وعلي ولم أعرف سِيَرَهُم لبعد الديار غير أني لقيت عبد الله بن علي فرأيته حاوياً لصفات الكمال، جامعاً لما تفَرّق في غيره مِنْ كمل الرجال، عالماً فاضلاً له من كل فن مسكة صالحة، وقد امتدحته بهذه القصيدة:

بـدرتـم سـرى سُحيـراً فـابـدى … مـا اجـن العميـد طُـول الـزمـان

(١) فراغ بالأصل.

بات يرعى السهى مجير سهيل ... طائر القلب باضطراب الجنان
يا سمبري أعد لُيَيْلاَت وصل ... أشبهت باللقاء طيب الجنان
قد براني السقام من شدة الشوقْ ... ولوعاً وزاد مما عراني
هل ترى تسعد المقادير بالوصْل ... ولو في الكرى ونيل الأماني
وبساط النَّوى مع البَيْن يطوى ... ويذاد النَّوى ويصفو التداني
أم ترى الوقت يعكس الحظ فانهض ... نحو من قد سَمَى على النَّيرانِ
فخر أهل الزمان نجل عليٍّ ... فاق فضلاً لكل قاص ودان
زانَهُ العلم والتقى وترقى ... رتبة قط لا يساويه ثان
طاب أصلاً ومُحْتَداً وفروعاً ... وسمى سؤدداً لأعلا مكان
بهجة للجليس إن رِمْت فخراً ... من علاه تجني بديع المعاني
بحر فضل يُسْتَخرج الدر منه ... غير بدْعٍ فالبحر رب الجُمان
يا شريف الفِعَال والذات يا مَنْ ... في المزايا قد فاق كل يماني
ليت شعري هل كان للعبد ذنب ... أوْجب البُعْد من قريب التداني
خَصَّني بالنَّوى على قرب مرآهُ ... ألاَ فاعجَبوا لقاصٍ ودانِ
لا ولكنْ سوء حظي قضى لي ... بالنَّوى والبِعاد ثم التواني
نظرةً مِنْ جمالكم تملأ القلب وتكسوه بهجة العرفان
مُسْتَمداً من بحر جود خضم ... الإمام الشهاب قطب الأوان
للعجيلي قد سَمَى في انتسابِ ... وإلى الحق صفوة الرحمن
قم إليه وانهض بجدٍ وعزم ... مستغيثاً من هول هذا الزمان
وصلاة والسلام تغشى نبياً ... أنزلت فيه سُورة الفرقان
وكذا الآل والصحابة طراً ... تشمل التابعين في كل آن

انتهت. وكانت وفاته رحمة الله في عام . . .[1] ببيت الفقيه ودُفن به.

ومن جماعتنا أناس مُقيمون ببندر الحُديدة يسَمّون بني سِقِلِيص ـ بسين ولام مكسورتين بينهما قاف وآخره صاد مهملة ـ ولا أعرف أحداً منهم.

تراجم متفرقة

ومن ذُرّية زيد بن الحسن: السيّد الصالح علي بن محمد الساكن بالضحي، وقد وجدت بيده سلسلة نسبه بخط السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزوّاك مُقرَّراً بخط السيّد العلاّمة محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، وصورة ذلك: بسم الله

(١) فراغ بالأصل.

الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين، أما بعد فإنه يجب على كل ذي عقل أن يصرف العناية إلى معرفة ما لا بد منه في خاصة نفسه وأهله وأقاربه ولا أقلّ من ذلك، عملا بما ورد: تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. ولمّا كان السيّد علي بن محمد الناشي، في قرية الصحي ممن ينتسب إلى البيت النبوي والنسب المصطفوي وخَشي مع تقادم الزمان أن يُجهل نسبه ويُهمَل، وكانت بيده ورقة صحيحة النقل فيها تدريج نسبه وكانت بيد أبيه من قبله وخشي من اندراسها فَطَلب منّا تجديدها ليحتفظ بها، ويختص بما اختص به أهل الشرف من الأحكام في هذه الدار والعُمْدَة تقوى الله سبحانه فهي الأساس في الدارين، وهذا صورة ما وجدناه: علي بن محمد بن يحيى بن هاشم بن محمد بن يحيى بن هادي ـ كان بظفار ومات بها ـ بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن علي الجوفي بن الحسين بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن القاسم الجرجاني ـ نِسبةً إلى الوطن الذي كان به ـ ابن الحسن بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها وعن بعلها وكرّم وجهه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم. تاريخ الورقة المنقولة في سنة ١٢٣٩ وهذا النسب يتصل نسبهُ إلى الأشراف الذين سكنوا بالجبل والنيله وحرجان والله سبحانه أعلم، حُرِّر ما ذُكِر بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٤ كتبه الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الله بن أحمد المُلقب صائم الدهر القديمي الحسيني غفر الله لهم آمين.

وهذا صورة التقرير: الحمد لله، هذا نسب صحيح أصله ثابت في أنساب السّادة الأشراف فيُعتمد، محمد بن أحمد بن عبد الباري. انتهى. فهؤلاء الموجودون من ذرية زيد بن الحسن في تهامة اليمن ولم أعرف غيرهم ممن يُنْتَسب إليه. وقد سبق أن أكثر من باليمن منهم إنما هم بصنعاء وحجه وما والاهما.

ذِكْر الأشراف الحسنيين الساكنين ببندر اللُّحيّة:

وصل: ولنرجع إلى ذِكر من بهذه الجهة من ذُرّيّة الحسن المثنى فأقول: وممن سكن منهم ببندر اللحيّة الأشراف بنو دايل وسيأتي ذِكر بعضهم إن شاء الله عند ذِكر المحامدة لاتصال نسبهم بهم. ومنهم ممن سَكَن بندر اللُّحيّة أيضاً بنو الغِسْلي بغين معجمة ولام مكسورتين بينهما سين ساكنة وآخره ياء، وبنو مجاور بالجيم والراء المهملة آخره، وبنو الصديق وبنو الخليل. وكلهم يرجعون إلى سادات الخَلِيْف[1]

[1] الخليف: بلدة من أعمال ضمد بمنطقة جازان.

كما ذكرُ في «المنهل اللطيف» بنو الغسلي ذكر أن جدهم اسمه محمد مدفون في وادي الصفراء من بلاد بدر[1] وذكر أن له ذرّية متفرقين في جهات شتى إلى أن قال. ومنهم أناس باللحية. انتهى.

وأما بنو مجاور فذكر أن جدّهم اسمه عقيل المجاور ويُعرف بالأصغر وأنّه كان رجلاً صالحاً عفيفاً وله ذرية صُلحاء علماء أجلاء يسكنون بندر اللحية وبها يُعرفون بآل مجاور. انتهى.

وأما بنو الصديق فذكَر أن جدهم اسمه محمد الشريف قال: وله ذُرّية يُعرفون بآل الشريف وقد يُقال لهم بنو صِدّيق، سادةٌ أجلاّء نُبلاء أهل كَرم وجاه وهم يسكنون اللحية وجدهم مدفون بها وإليه يُنسَبون وبه يُلقّبون. انتهى.

قلت من بني الغسلي السيّد عثمان بن غسلي توفي وله ذرية موجودون الآن باللُحية. ومن بني مجاور السيّد إبراهيم مجاور، توفي باللحية وله ذرّية موجودون الآن بها. ومن بني الصِدّيق السيّد محمد بن علي بن أبكر، توفي باللُحية وله ذرية بها الآن موجودون. ومن بني الخليل السيّد على عثمان بن خليل كان مُقيماً باللُحية وقد توفي بها. ومن بني الخليل: السيّد طاهر بن أحمد خليل مُقيم بقرية الظاهر من بلد الجامعي[2] وهو خطيبها الان، وسيأتي ذِكر جماعةٌ منهم قريباً إن شاء الله.

بنـو البَيْنِـي:

وَصْل: ومن أشراف الجهة الذين ذكرهم صاحب «المنهل اللطيف» الأشْراف بنو البيني ـ بباء موحدة مفتوحة وياء مُثناة من تحت ساكنة ونون مكسورة آخره ياء ـ وقد سمعت من الثقات بأن جدهم اسمه المعتكف مدفون ببيت عكاد[3] وهم جماعة صالحون يسكنون مدينة الزيدية وقرية غربيها بنحو ساعة تُسمّى البينية[4]، كما أنّهم ـ والله أعلم ـ اختطوها فنُسِب إليهم.

بنـو المُشَـلاَّ:

فممن سكن منهم مدينة الزيدية السادة الفضلاء الأجلاء بنو المُشَلاّ ـ بميم مضمومة وشين معجمة مفتوحة ولام آخره مشددة مفتوحة أيضاً ـ وأوائلهم أهل عِلم

---

(١) وادي الصفراء: وادٍ في إمارة المدينة المنوّرة، يضم مجموعة قُرى منها: بَدر وهي التي كان فيها الوقعة التي نصَر الله فيها المسلمين ـ انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية.

(٢) بلد الجامعي: من أعمال مديرية اللُحية.

(٣) بيت عكاد: قرية شرقي الزيدية، عدادها من مديرية المغلاف.

(٤) البينية: قرية مجاورة لبلدة دير البخور، وتقع مجوار بلدة المهجم.

وصلاح. ذكر السيد العلامة أبو القاسم بن أبي الغيث الأهدل - صاحب المُنيرة - في
مؤلفه الدرة المضيئة منهم السيد أحمد بن علي خليل عند ذكره لمن اجتمع بهم من
أهل العصر فقال ومنهم السيد الجليل العمدة الخير الولي المُكاشف أحمد بن علي
خليل المُلقب بالمثلا فإني ترددت إليه مراراً وانتفعت بلحظه وأمدّني بصالح دعواته
وكان رحمه الله يحبني وكنت إذ غبت عنه عارية كتاب من كُتُب القوم يسعفني به ولا
يطلبه مني حتى أرده، وكان معيناً للطالبين وملجأً للقاصدين انتفع به الناس نفعاً
عظيماً. متواضعاً شهماً ثبتاً محبوباً عند الأمراء وغيرهم متعففاً عن أموالهم. وكان
بينه وبين سيدي الخال عبد الرحمن بن محمد اتصال عظيم، وكذا سيدي العلامة
محمد بن أبي الغيث - فسح الله في مدته - ومواصلةٌ للسادة، وكانت وفاته قبل
سيدي الخال ولم أتحقق تاريخ وفاته، وله أولاد مباركون أكبرهم أبو الغيث بن أحمد
اليوم سكنه في بندر المَخاء وقد أخبرني سيدي الوالد الولي الناسك عبد الله بن
بكر بن أحمد المذكور أنه اتفق به في رحلته لبندر المَخا فوجده من أهل الفضل
والصلاح محبوباً عند العالم، مقصوداً للزيارة والتبرك به، نَفع الله به. وكان اجتماعه
به في شهر صفر من شهور سنة إحدى وأربعين ومائتين بعد الألف. انتهى. قلت:
ولم يخلف غير ستة، وقد عرَفت منهم السيد الجليل الصالح يحيى بن عمر مُشَلاً
وأخاه علي بن عمر، كلاهما رجلين صالحين مع سلامة الصدر والتواضع والإقبال على
الشأن، ويحيى كان قارئاً للقرآن وخلّف ولدين هما: أحمد وحسن موجودان،
وحسن قرأ القرآن قراءة ضابطة ملازماً تلاوته وعرف ما لا بد له منه شروط الدين،
وعلي خلّف أحمد وإبراهيم، وكلهم موجودون على خير من ربهم.

بنو هاشم.

ومنهم السادة بنو هاشم الساكن بعضهم بالزبيدية وبعضهم ببندر الحُديدة، عَرَفت
منهم حسن بن هاشم وأخويه عبد الله وحسين بن هاشم ولكل منهم ذُرّية وبنو عم
صالحون على خير من ربهم، وهؤلاء بالزبيدية وأما الذين بالحُديدة فهم أحمد بن
عبد الله هاشم توفي وله ذرية بها، وأحمد بن محمد هاشم كان بالحُديدة ثم رجع إلى
الزبيدية وأقام بها وهو الآن موجود بها، ومنهم جماعة بالمراوعة لا أعرف أحداً
منهم.

بنو الخليلي

ومن الأشراف الساكنين بالزّبيدية السيّد الجليل الصالح محمد بن قاسم خليلي،
قارىء للقرآن، مواظب على الوظائف الدينية، وله أولاد موجودون كأبيهم
عافاهم الله. وقد كان أبوهم في ثروةٍ عظيمة فتقلّصت من يده فَصَبر صبراً جميلاً،

ويقال أن أوائلهم خرجوا من شهارة إلى تهامة.

ومن سكان قرية البينية السيّد الصالح ابراهيم بن حسن بيني وأولاده وأخوانه وبنو عمه.

بنو القَنْدِي:

ومن الأشراف الساكنين بمدينة الزبيدية بنو القندي ـ بقاف مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة مكسورة آخره ياء نِسْبَه ـ وهم جماعة أهل صلاح وخير وسلامة قلب، ملازمون غالباً للصلاة بالمسجد جماعةً، عرَفت منهم السيد علي بن عبد الله بن محمد قندي وأولاده عبد الله وعمر ابني علي قندي وعلياً وعيسى ابني عبد الله قندي، ويقال أنهما من بني الغُرباني الساكنين بصعدة وليسا من بني القِندي، وأمّا السيد عبد الله خيرات فهو من بني الحمرور وله عشيرة ببندر الحُديدة. ولبني القندي ذُرّيّة وبنو عم موجودون الآن بالزيدية وأصل خروجهم من خولان كما أخبرني بذلك السيد الأجلّ الصالح أبكر بن عبد الله دَوْم روايةً عن السيّد علي بن عبد الله بن محمد قندي المذكور، وقيل أن اثنين من أوائلهم وَصَلا من بلاد الجوف إلى تهامة فَنَزلا في قرية شرقي مدينة الزيدية ساكنة بها الشريفة فاطمة بنت أبي القاسم صائم الدهر ثم لمّا خُربَت القرية المذكورة وصلا إلى الزيدية وتوطّنا بها، ولعل خَوْلان هذا بلد من الجوف والله أعلم[١].

ومنهم السيد الصالح محمد بن حسن بن محمد قندي، قرأ القرآن وما لا بد له من شروط دِينه وقد حَجّ في سن الصِبا ثم حج ثانياً حالَ الكمال وزار النبي ﷺ، وهو الآن موجود مُقْبِل على شأنه ملازم للصلاة جماعةً في المسجد ولتلاوة القرآن العظيم، مُكثر في مُجَالسة أهل الفضل والاستفادة منهم وعمره ما بين العشرين إلى الثلاثين، عافاه الله.

ومنهم السيد الصالح عبده بن محسن بن هاشم بَرْد كاسم البرد ضد الحر، كان أبوه محسن على جانب من الصلاح والعبادة والفلاح، وأصل خروجهم من جهة شهارة، وولده هذا موجود الآن بمدينة الزيدية على الحال المَرْضِي، مواظب على الصلوات جماعةً في المسجد، مُقْبِل على شأنه، سليم الصدر. وقد حج إلى بيت الله الحرام حَجّة الإسلام، وليس له عَقِب.

---

(١) خولان: منطقة في شرقي صنعاء، أما الجوف فتقع في الجهة الشمالية الشرقية منها على بعد كبير، تفصل بينهما منطقتي حريب القراميش ثم رغوان.

أحمد خنبل وأبو الغيث بن أحمد خليل، كان

بنو الخنبل: ومنهم السيد الجيلان حسن بن ... ولم يُعقب وأبو الغيث أعقب اثنين محمداً وأحمد صالحين، وحسن توفي ... وقد حج إلى بيت الله الحرام، عافاهم الله آمين. وهم رجب ... على خير من ربهم. موجودون على خير ... القاضي بقرية بماني قرية القناوص تُنسَب إليهم فيقال يرجعون إلى السادة بني الخنبل ... وهم جماعة صالحون على خير من ربهم. محل الخنبل

بنو المساوى: ومنهم السيد الصالح المساوى بن علي ويُلقَّب بالدرسي، يُقال أنّ أَصلهم من الأشراف الدراوية الذين يسكنون حرض يُسمّون بني المساوَى وأن جَدّهم خرج من مدينة حرض فوصل إلى مدينة الضّحي وتوطّنها وبَنى جامعها ثم خرج المساوي هذا منها إلى مدينة الزيدية وأقام بها على خير من ربه، وكان يعمل السماع على كيفية المعروفة بالحدثي إلى أن توفي رحمه الله، وترك أربعة أولاد: محمد وعلي والجيلان وأحمد، فمحمد توفي وكان صالحاً وخَلَّف أحمد موجود الآن على خير من ربه، وعلي وأحمد موجودان، وأمّا الجيلان فكان مولعاً بالأسفار إلى البلاد الشاسعة إلى أن وقع له خبر عجيب هو أنه رَحلَ إلى بندر جُدّة ولقي نامق باشا - أحد رؤساء الترك ممن له كلمة عند الدولة - فصحبه إلى الأستانة في سنة (١٣٠٦) وكان ذلك سبباً لوصوله إلى حضرة السلطان الأعظم عبد الحميد بن عبد المجيد ولم يكن أحد غيره قد اتفق له مثل هذا إلا ما شاء الله، ولمّا مَثُلَ بين يديه عَظُمَ لديه وأكرمه غاية الإكرام وكَتَب له منشوراً بالعفو عن التكاليف الشاقة لجماعةٍ سَمّاهم له وهم السادة أهل بيت عكاد والسادة بنو علي والسادة بنو المكي، وأَمَر له بشراء بيت واسع أينما أراد فاختار أن يكون ببندر جُدة، وجعلَ له ولأخوانه مقررات شهرية وأعطاه جارية من خواص جواريه وجهّزها له بمحاسن عظيمة، وسَيَّرَهُ مُكَرّماً إلى بلده، فأُجريت له المعاملة بمقتضى المنشور وكذلك المقررات الشهرية، وما زال يأخذها إلى أن توفي ببندر الحُديدة مسموماً رحمه الله. واستدام اخوانه يأخذون ذلك من الخبيئة إلى الآن، وقد كان في أول الأمر يأخذونه من مكة من الصُرّ الذي يُرسله السلطان إلى الحَرم باختيارهم ذلك ثم اختاروا أن يكون بالحُديدة لبعد الشقة فحُوّل لهم إليها بأمر الدولة، ثم قطعوه عنهم بعد ذلك.

بنو هريرة:

وصل. ومن أشراف الجهة الأشراف بنو هريرة، قال الأشخر في «كشف الغَبَن»

---

(١) يقع محل الخليل جوار قرية الرباط وهي قريتان: الخليل الشرقي والخليل الغربي.

كُنّي جدّهم بهرةٍ كانت تخدمه ونَسَبهم يرجع إلى الشريف الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرّسي المدفون بصعدة ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنه، وأول من نزل من ذريته إلى تهامة اليمن الشريف عيسى وولده علي، نزلا بالضحِي وتفقها بالشيخ إسماعيل بن محمد الحضرمي، ومات عيسى بالضَحِي ودفن في مقبرة الشيخ إسماعيل وتزوج ولده علي بنت الشيخ إسماعيل وولَدَت له من الأولاد ثلاثة: القاسم وأحمد ومحمد ومنهم انتشرت الذرّية فكل الأشراف الحسنيين في تهامة اليمن منهم.

وقد ذَكَر - منهم - السيّد العلاّمة البحر في «تحفة الدهر» منهم السيّد الولي المشهور جيلان بن أحمد صاحب بيت عكاد وأولاد المجدر، وذَكَر صاحب «المنهل اللطيف» منهم: عكاد أو أنه اسم رجل دُفن بوادي سُرْدُد، وبني عجلان وبني القادري الساكنين بالضحي والمحامدة، وأن آل الرجمة منهم جدهم المجدر. وقد عثرتِ على وِجادة صحيحة قال ناقلها: هذا مختصر لطيف منقول من كتب التواريخ، قلت: ويدل لصحتها ما ذَكَر من النقل عن هؤلاء الأئمة الأعلام، وصورة الوجادة - بعد كلام - فأمّا الإمام علي بن عيسى بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي الراضي بالله بن حمزة بن الحسين فتزوج ببنت الشيخ إسماعيل ومَكَث عند الشيخ في مدينته إلى أن مات بها رحمه الله، وولَدت له بنت الشيخ إسماعيل الحضرمي ثلاثة من الأولاد ذكوراً ولم يُخَلِّف سواهم، **وكل الأشراف الحسنيين في جهة تهامة اليمن من نسله** وهم الشريف القاسم بن علي بن عيسى والشريف أحمد بن علي بن عيسى والشريف محمد بن علي بن عيسى، أمّا القاسم بن علي فابنه حسن وأمّا حسن فابنه أمحمد، أمّا حسن فدفن إلى جنب أبيه في الضحي وأمّا الشريف أمحمد فولده الشريف الجيلان الذي ببيت شويل[1] وحسن بن أمحمد الذي بصاعلٍ وعجلان بن أمحمد، وأما أحمد بن علي ويُشْهَر بالقميري السيّد العلاّمة مُصَغَّر قَمر آخره ياء نسبة - فجدّ بني أحمد وأولاده: الجيلان بن أحمد ساكن بيت عكاد، ويحيى بن أحمد بن علي جدّ بني أحمد الملقب محمد. وأمّا محمد فتفرقت ذُريته في الجبال ومنهم من بقي ساكناً في مقام أبيه. انتهت الوجادة.

فمنهم ممن سكن مدينة الزيدية الأشراف.

بنو عجلان:

قِيل لُقِّبَ جدهم بذلك لأنه كان مُعَجِّل الإجابة في الدعاء، وهم جماعة أهل صلاح وفلاح وفضل واستقامة حسنة وأخلاق مُستحسنة وصدق نية وصلاح طوية،

---

(١) دَيْر شويل: قرية جوار مدينة الضحي.

وسمعه في حلق ملحقاته ووالده [illegible] وهو عبد الله الروزاني [illegible] محمد بن عبد الله بن
الشيخ العلامة الإمام محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن
إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن حسين بن أحمد بن علي بن حمزة بن علي بن
أحمد بن عجلان بن أحمد بن عجلان بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن
حمزة بن أبي هاشم بن الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي
القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله ـ المذكور في صدر السلسلة ـ هو الذي
طالب كرم الله وجهه، فأحمد بن عبد الله أولد: أحمد، وأولد أحمد محمد أو محمد
تعثرت منه الذرية، وله أخ اسمه محمد أولد: حسناً، ومسكنهم بيت عكاه. وحسن هذا قد عرفته فرأيته
أولد: الأمين وهو أولد: إبراهيم وعلي. وأما أحمد بن
رجلاً صالحاً سليم الصدر متواضعاً وله ولدان: إبراهيم وعلي. وأما أحمد بن
عبد الله المذكور فله من الولد ثلاثة: عبد القادر وعمر وجيلان، فلعبد القادر من
الولد ثلاثة: محمد وعلي وعبد الرحمن، فمحمد لم يعقب، وعلي له عبد القادر،
وعبد القادر له علي كان علي ـ هذا ـ من عباد الله الصالحين وقد عرفته فرأيته على
جانب عظيم من حسن الاستقامة والزهد والورع والعفة وحُسن الصمت والسكينة
والوقار وطيب الأخلاق والتواضع، مُديماً لتلاوة القرآن والأذكار، وكان كثير المكث
بقرية المخشبي من أعمال خُفاش[1] لا يصل بلده الزيدية إلا كالغريب، ولعل اختياره
لذلك كان لانقطاع أهل تلك البلاد به، وكانت وفاته في عام اثنين بعد ثلاثمائة وألف
على الحال المرضي بمدينة الزيدية ودُفن بمقبرة ساكن المخزن، رحمه الله آمين.
وخلّف ولدين: عبد القادر ومحمداً. فأما عبد القادر فكانت ولادته في عام ثمانية
وستين ونشأ في حجر أبيه نشوءاً حسناً ثم قرأ القرآن وعرف ما لا بد له منه من شروط
الدين مع حُسن الاستقامة والمواظبة على الوظائف الدينية والسيرة الحسنة والأخلاق
المستحسنة، وكان مصلحاً لدنياه حسن التقلب في البيع والشراء بحيث أنه كان في
نعم عيش مدة حياته، وما زال على الحال المرضي حتى توفاه الله بمرض الجدري
في شهر جمادى الأولى يوم الخميس عام سبع وثلاثمائة وألف في عنفوان الشباب
عن تسعة وثلاثين سنة رحمه الله آمين، ودُفن بمقبرة ساكن المخزن، وله من الولد
ثلاثة: محمد وهو أكبرهم وعلي وأحمد، ثلاثتهم قرأوا القرآن على الفقيه العلامة
بركات بن مهدي قراءة ضابطة ثم قرأوا عليه بعض المختصرات في الفقه والنحو
كالزبد وأبي شجاع والملحة والآجرومية، ثم قرأ أحمد على شيخنا السيد العلامة
شيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد الله القديمي شرح ابن قاسم على أبي شجاع

---

(1) المخشبي: من قرى بني قيس، بمديرية خُفاش وأعمال محافظة المحويت.

والمنهاج للإمام النووي والكواكب شرح المتممة والسبتي شرح الرحبية في الفرائض وجميع صحيح البخاري وغير ذلك، وهو الآن ملازم للطلب على شيخنا المذكور برغبة وإقبال وجودة فهم عافاه الله. وأمّا علي فأقام بجبل أفرع[1] وتأهل، مُقيماً لتلاوة القرآن العظيم وإنشاء المدائح النبوية يحفظ منها كثيراً مع حُسن الاستقامة، ولا يصل لزيارة أهله بمدينة الزيدية إلا مثل الغريب كجده أبي أبيه السابق ذكره وكلهم موجودون على خير من ربهم مع حُسن السيرة والتواضع وطيب الأخلاق وسلامة الصدر والإقبال على الشأن عافاهم الله وبارك فيهم، ولمحمد من الولد ثلاثة: عبد القادر وأحمد وعلي، ولأخيه علي ولد واحد اسمه محمد، وكلهم في سن الصبا أنبتهم الله نباتاً حسناً.

فَرْع: وأمّا محمد بن علي أخو عبد القادر فهو رجل صالح قاريء للقرآن مُقبل على شأنه مواظب على وظائف الدين يتعاطا البيع والشراء في البن، وهو الآن موجود على الحال المَرْضي عافاه الله، وله ولدان: عبد القادر وعلي.

وَصْل: وأمّا عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد فذريته سكنوا قَيْظان[2] - كتثنية قَيْظ الذي هو شدة الحرّ - من جبل مِلْحَان، وله من الولد ثلاثة: محمد وأحمد وعلي، فلمحمد ولد واحد اسمه محمد، ولأحمد من الولد خمسة: حسن وأحمد ومحمد وعبد القادر وإبراهيم، ولعلي من الولد ستة: علي وعمر وعبد الله وعبدة وأحمد ومحمد، فَعَلي له اثنان: عبد الله وعثمان، ولعمر عبد الله، ولعبده واحد اسمه عبدة، ولعبد الله واحد هو محمد، ولأحمد ثلاثة: يحيى وأحمد وعلي.

وَصْل: وأمّا عمر بن أحمد بن عبد الله فله ولدان: أحمد ومحمد بن أحمد مدفون برباط المَجْلَل[3] بوزن مقعد من مِلْحَان وله ولدان: عبد الرحمن وعلي عرفتهما فرأيتهما على جانب عظيم من الصلاح والعبادة يحفظان القرآن عن ظهر قلب لا يفتران من تلاوته مع التدبر والخشوع، مقبلان على مولاهما، مُعْرِضَان عمّا سواه، مُلازِمَان للأذكار آناء الليل والنهار والتهجّد بالأسحار والخوف والتذكر والاعتبار مع حُسن الاستقامة والزهد والورع والتقشف وسلامة القلب، ما زالا على هذا إلى أن توفاهما الله على الحال المَرْضي بمدينة الزيدية وبها دُفنا، ولم يُعَقِّب عبد الرحمن ذكراً، وعلي له ثلاثة: إبراهيم وعبد الله وعمر، فإبراهيم وعبد الله ماتا قبل أبيهما

---

(١) جبل أفرع: جبل ومركز إداري من مديري الخبت وأعمال محافظة المحويت.
(٢) قيظان: قرية من مركز همدان، بمديرية ملحان - المحويت. تقع جوار بيت جعفر.
(٣) رباط المجلل: من قرى مركز باحش، بمديرية ملحان - المحويت.

وكانا صالحين خاشعين للقرآن، وعبد الله له ولد اسمه علي موجود الآن على خير من ربه، وأما عمر فهو موجود الآن حافظ للقرآن مُديم لتلاوته مواظب على الأذكار مقبل على شأنه، قليل المخالطة للناس إلا لحاجة وله ولد اسمه احمد موجود كأبيه على الحال المرضي، عافاهم الله آمين.

فرع: وأما محمد بن عبد الله بن عمر فذريته بسكون قيظان وله ولدان: أحمد وعبد الله، فلأحمد ولدان: علي وأحمد، وعبد الله له ولدان: محمد وعبد الله.

وصل: وأما جيلان بن محمد بن عبد الله فذريته أيضاً سكنوا قيظان وله من الولد ثلاثة: علي وعلي وأحمد، فعلي الأول له عبد الله، ولعبد الله ثلاثة: محمد ويحيى وأحمد، فمحمد له ولدان: عبدة وأحمد، ويحيى له أربعة: إبراهيم وأحمد وعلي وعبد الله. وأما علي الثاني فله: عبد الله ولعبد الله اثنان: علي وعبد الرحمن، فعلي له عبد الله، ولعبد الرحمن أربعة: أحمد وعلي وعبد الله ويحيى. وأمّا أحمد بن جيلان فله: جيلان وله اثنان عبد الله واحمد، لأحمد اثنان: علي وأمحمد.

ومنهم جماعة في قرية بيضان ـ بموحدة مفتوحة ويا مثناة تحت ساكنة وضاد معجمة آخره نون بوزن قَيْظان ـ وهي من قُرى حُفَاش بضم الحاء المهملة.

ومنهم السيدان العالمان العارفان الوليّان الكاملان: علي وأحمد ابنَا قاسم عجلان، كانا ـ نفع الله بهما ـ على قدم عظيم من الولاية التامة والمُكاشفة والإشارات الصادقة. وقد حكى لي الثقة أن أباهما مات وهما في سن الصغر فكفلهما شخص من بني زومة وما شَعُرَا ذات ليلة إلا وقد وصل إليهما شخص يُقال أنه الخَضِر وأشار عليهما بالخروج من عند ذلك الرجل لقراءة القرآن فقبلا الإشارة وخرجا من عنده إلى بيت عكاد فقرءَا القرآن وما تَيسّر من العلم ورزقهما الله علماً لَدَنيًّا، ثم خرج السيد أحمد إلى بيت الفقيه ابن عُجَيْل وتزوج هناك فولد له ثم مرض من الجدري وكف بصره بسببه ثم انتقل إلى جبل بُرع واتخذه دار إقامة، وخَرَج علي إلى الحدادية[1] وسكن بها فلَزم الخلوة والعبادة بالصيام والقيام حتى ضعفت عيناه من كثرة السهر، وكان متقشفاً في المطعم والملبس كثير المطالعة والنّظر في كتب التصوف والحفظ للمدايح النبوية، حَسن الإنشاد لذلك على الطريقة المعروفة بالحادي، وكان في أول الأمر كثير الانفراد بنفسه قليل المخالطة للناس، وكثيراً ما يمشي بالليل في منارة المَهجم، ثم صحبه رجل مغربي اسمه محمد بن يحيى يَعْرف عِلم الأسماء والحروف ويحكم الكيميا فلازمه ملازمة تامّة وعرف منه علم الأسماء ويقال أنهما

---

(١) الحدادية: قرية كبيرة من قرى بني محمد، بمديرية المغلاف. بجوارها قرية المشعلية والمهجم. كما تحيط بها مجموعة مزارع خصبة تسقيها السيول النازلة من جبال المحويت.

باشرا صنعة الكيمياء فانفعلت لهما مرةً واحدةً فقط، ولما كان يحاول طلب الملك ولم يكن لديه من أهبته شيء من العدة والعدد فذهبَ إلى جهة صنعاء ووصل إلى محل يُسَمَّى ضُوْرَان(١) واتصل بالسيّد حسين الهادي من سادات تلك الجهة ونشر الدعوة هناك فاجتَمعت لديهما جنود وحصل القتال بينهما وبين الدولة الذين بصنعاء. وكانت الطائفة لصاحب صنعاء ورُمِي صاحب الترجمة في ركبته وأسرَ ثم حُبس في صنعاء أياماً ثم أُطلق بعد مدة ورجع إلى بلده، ولم يترك تلك الحركة الدولية فأخذه أحمد باشا السليماني وحبسهُ في بندر الحُديدة فأدركه السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزَوّاك وكان بالبندر وله كلمة نافذة عند الباشا فأشار عليه بأن صاحب الترجمة ما فعل هذا إلاّ لكونه مختل العقل وخَلّصهُ منه بهذه الصورة. فرجع إلى قرية الحدادية وما زال على الحال المرضي من العبادة والصيام والقيام والمجاهدة لنفسه ومطالعة كُتب القوم، وقد وضع الله له المحبّة في قلوب الخَلق فانتشرَ ذِكْرَهُ وكان يُزار من المواضع البعيدة للتبرك به إلى أن توفاه الله بقرية الحدادية ودفن بها في سنة ١٣٠٠ ولم يعقب.

وأمّا أخوه أحمد فأقام بجبل بُرَع وكان ذا ولاية ظاهرة ومكاشفات كثيرة شاهرة، وأحوالٍ صادقة، وإشارات على صدق لهجته مع الله دالةً ناطقة، بَعُدَ صيته وانتشر وسار سَيْر الشمس والقمر. وكان سريع الكشف مُكَاشَفاً بكثير من أسرار الغيوب، كان يُخبِر بكثيرٍ منها فيجيء طِبْق ما أُخبَر به، وربما جاءه الرجل الغريب بعيد الدار فيخاطبه بديهةً باسمه واسم أبيه وبما جاء له. والحال أنه مكفوف البصر ولكنه نيّر البصيرة، وقد أخبرني بذلك كثير من الثقات ممن وصلَ إليه وخاطبه بذلك، وكان رحمه الله كثير العبادة والصيام والقيام له معرفة بكثير من علوم المعارف تعليماً من الله سبحانه، ولم أقف على كمال سيرته لبعد الديار، وبالجملة فكان من كبار أولياء الله الصالحين وأصفيائه المُقربين، وكانت وفاته بجبل بُرَعْ ودُفن به، وخلف أولاداً عَرفت منهم سليمان عند وصوله إلى الحدادية لمّا مات عمه علي بن قاسم ولم يكن له وارث سوى أخيه فوصلَ واستولى على تركته بأمر والده، وكان فاضلاً صالحاً على خير من ربه وما زال حتى توفى بقرية الحدادية ودُفن بها رحمه الله آمين آمين.

وَصْل: ويتصل بنسب السادة بني عجلان نَسَب السادة:

بني مكيتـل:

كتصغير مكتل كما حققه السيّد العلاّمة محمد بن عبد الله الزَوّاك ناقلاً ذلك عن السيّد الأجلّ الثَبت علي بن عبد القادر عجلان المتوفي قديماً بجبل قَيْظان، وقرّرهُ

---

(١) ضُوران: قرية وحصن في جبل دَايَان من مديرية بني مطر، غربي مدينة صنعاء وهي غير جبل ضوران المشهور في آنس. ـ انظر المعجم.

الرحيم، هذا نسب السادة المُلقبين بني مكيتل الساكنين بمدينة الزبدية نقلته من خط السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي، وصُورة ذلك: بسم الله الرحمن السيد الفاضل علي بن عبد القادر عجلان الساكن بقيظان من أعمال جبل مِلحَان: علي بن محمد بن مقبول بن محمد بن مقبول بن محمد الملقب مكيتل بن مقبول بن حسن بن مقبول بن حسن بن إبراهيم بن علي بن أبكر بن حسين بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عجلان بن أحمد بن عجلان بن أحمد بن علي بن حمزة بن علي بن هاشم بن الحسن بن عبد الرحمٰن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه. انتهى.

والسيّد علي بن عبد القادر المذكور من مشاهير السادة أهل الضبط والحفظ، مات رحمه الله في نصف القرن الثالث عشر، نفع الله به وبأسلافه من أهل البيت عليهم السلام. تحرّر هذا في شهر ربيع الثاني سنة عشر وثلاثمائة وألف هجرية، كتبه الفقير إلى الله محمد بن عبد الله الزوّاك.

وصورة تقرير السيّد العلاّمة عبد الرحمٰن بن القُديمي: الحمد لله، ما رَقَمَهُ سيّدي الشيخ العلاّمة صحيح، كافٍ شافٍ فيما ذكر، وبه يتحقق نسب السادة المذكورين من غير شُبهَة ولا مرية، وبه الثقة وعليه الاعتماد فَلْيُعْلَم.

وهذا تقرير السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل: الحمد لله ما رَقَمهُ سيدي الشيخ العلامة مفتي الأنام صحيح فَلْيُعتمد وبالله الاعتماد. انتهى.

قلت: لهم ذُرّيّة قد تفرّقوا في الزبدية وبيت عكاد والضحي والحُديدة ودَيْر العنواش والمعترض.

الولي الشهير جيلان بن أحمد صاحب القُبّة ببيت عكاد:

وَصْل: ومن بني هريرة: الولي الكبير، والعَلم الشهير، ذو الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة الشريف جيلان بن أحمد المدفون ببيت عكاد نفع الله به، وقد أشار السيّد العلاّمة محمد بن الطاهر البحر في مؤلفه «تحفة الدهر» إلى طرف من ترجمته فقال: ومن بني هريرة السيد الولي المشهور الجيلان بن أحمد صاحب القبة المنورة ببيت عكاد وخلّف ولده السيّد الولي المشهور محمد بن الجيلان سكن المَخَا وذُريته بها وتوفي في عشر الستين بعد الألف، وخَلَفه في بيت عكاد ابن عمه السيّد أحمد بن إبراهيم الزاهد المشهور، لنا به صحبة، وأولاد المَجْدر منهم، وله قرابة متفرقون منتشرون، منهم أولاد الشريف يحيى في الهديسية علي وعمر وأبو القاسم موجودون، والسيّد علي بن محمد دَرَجَ، والسيد محمد بن علي صديق بزبيد وقرابته

درجوا. انتهى كلامه.

وترجمهُ أيضاً القاضي العلاّمة عبد الله بن علي بن محمد الضمدي في مؤلفه «العقيق اليماني في أخبار المخلاف السليماني» عند ذكره لوفاته في السنة العاشرة بعد الألف فقال: وفيها توفي الشريف الولي ذو الكرامات الظاهرة والمناقب الباهرة والمآثر الفاخرة الجيلان بن أحمد صاحب بيت عكاد قرية بين الزيدية والضحي، كان السيد صالحاً زاهداً مُطعماً للطعام، باذلاً لجاهه في الشفاعات، مُكبًا على التلاوة، ذاباً في طاعة الله، مقبول القول، نافذ الكلمة عند الأمراء فمن دونهم. توفي بقريته التي نشأ بها، وزرت قبره عند سفري إلى اليمن فرأيت على مشهده نوراً ومهابة تدل على ولايته من الله، وعلى قبره قبة قليلة النظير في اليمن. انتهى.

قلت: القُبّة المذكورة قد خُرِبَت منذ زمن طويل كغيرها من سائر القباب باليمن وذلك على يد سعود أمير نَجْد بفتوى عالمها محمد بن عبد الوهاب، وقد سبق التنبيه على هذا في ترجمة الشيخ أبي بكر صايم الدهر، وبقي الآن أثر قُبة صاحب الترجمة حول قبره عليه الأنوار ساطعة، يُقصد للزيارة والتبرك به من البلدان القريبة والشاسعة، وله كرامات كثيرة منها ما لُقِّبَ به وصار كالعَلم عليه بأنه رادّ الخليفة. وقد اشتهر أنّ سبب تلقيبه بهذا أن الوادي سُرْدُد تَخلّفَ عن مجراه المعتاد وتعطّلت زراعة الأرض التي تُسنقَى منه ويُسمّى محل تخلفه بالخليفة في عُرْف أهل الجهة فردّهُ إلى مجراه الأصلي بالحال كَرَامَةً له، وشهُرَ بهذا اللقب فقيل له: رادّ الخليفة، وسَرَى ذلك إلى كل من قام مقامه من الذُرِّيَّة - عند تخلفه أو إنحباس مائه - إلى الآن، فمتى وَقَع شيء من ذلك وصلَ أرباب الأرض التي تُسنقَى منه إلى القائم بعادةٍ يعتادون دفعها إليه: دَابّةً أو دراهم، فيدعو لهم ويستشفع إلى الله بأوليائه الكرام وخصوصاً بصاحب الترجمة فينزل عند ذلك ماء الوادي فَتُسنقَى أرضهم وتصلح زراعتهم كرامةً من الله سبحانه، ولله أن يُكْرِم من شاء من عباده بما شاء.

تنبيه: قد استفيد من كلام صاحب «تحفة الدهر» أن الذُرِّيَّة منهم الموجودين في هذه الجهة إنما هم ذُرِّية أحمد بن إبراهيم إبن عم صاحب الترجمة وهم القائمون بهذا خَلفاً عن سلف يتوارثونه من ذلك الوقت إلى الآن، وقد حلاّهم الله سبحانه وتعالى بالفضل والقرب والتواضع وسلامة الصدر صغيرهم ككبيرهم حتى صارَ ذلك صفة لازمةً لهم.

بنـو عابـد:

فممن قام في مقام صاحب الترجمة في هذا الزمن الأخير السيد الجليل ذو القدر الحفيل الولي الكامل أحمد بن إبراهيم حَبِين - بفتح الحاء وكسر السين المهملتين -

المُنفِّف عابد، كان رحمه الله على جانب عظيم من العبادة والصلاح والفلاح والاستقامة، مقصوداً للزيارة والتبرك وهو الذي لُقِّبَ بعابد لكثرة عبادته، وثَبَت على ذريته فسُمّوا بني عابد. فهم مشهورون بذلك، ولم أقف على كمال سيرته ولا على تاريخ وفاته، وكانت وفاته بالحدادية وبها دُفن؛ ثم خَلَفَهُ في المقام ولده السيد الأجل الولي الأكمل إبراهيم بن أحمد عابد فقام به أتم قيام وقد عرفته فرأيتهُ على غاية من حُسْن الاستقامة والقرب والتواضع وحُسْن الأخلاق وسلامة الصدر ولين الجانب وكثرة المصالحة بين الناس مع الصبر على جفائهم، وإطعام الطعام، ما زال على هذا إلى أن توفي بقرية الحدادية في عام ستة وتسعين تقريباً ودُفن بها ولم أقف على كمال سيرته، ثم خَلَفَهُ في المقام أخوه السيد الأجل الفاضل بل الولي الكامل جيلان بن أحمد عابد: فقام عافاه الله به قياماً تاماً على أكمل الوجوه وأحسنها، فَعَظمت منزلته واتسع جاهه وانتشر صيته وبَعُدَ ذِكْرُه وأقبل عليه الخاص والعام، وألقَى الله له المحبّة في قلوب الخلق فقصدوه من البلدان الشاسعة والأقطار الواسعة على اختلاف مقاصدهم من التبرُّك والشفاعات وطَلب الصِّلات والمُصالحة لا سيما أهل الجبال، وقد اتَّسَع جاهه بمفاوز عن أسلافه الكرام لكثرة محاسنه، وبَذَلَ نفسه وجاهه في منفعة الخلق فَنَفَذَت كلمته لديهم، وقُبِلَت شفاعاته عند الدولة فَمَن دونهم، مُعَامَلاً منهم بالإجلال والاحترام، ومحلهُ مفتوح للواردين والصادرين مع القيام بإطعام الطعام وإكرام الضِيفان والكرم والسخاء، ومسجده ومنزله معموران بالجمعة والجماعات وتلاوة القرآن العظيم، وله من حُسْن الاستقامة وطيب الأخلاق والقرب والتواضع ولطف الشمائل ما يَجِلّ عن الوصف. ومن محاسنه المسجد الذي بناه ببيت عكاد وهو في غاية الحُسن والعمارة، ومنها مسجده الذي في الحدادية، ومنها مسجد محل عابد وغير ذلك كمسجد دَيْر المقازلة. ولا يخلو من قيام الليل وصيام شهري رجب وشعبان. وهو الآن موجود على الحال المَرْضي قائم بذلك مُوْفٍ بما هنالك، عافاه الله آمين. وله أولاد مباركون عرفت منهم محمداً قرأ القرآن في الضحي قراءة ضبط وتجويد ثم رحل إلى مدينة الزيدية للطلب فقرأ على يد شيخنا السيد العلامة عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي في علةٍ من كتب الفقه والنحو والحديث مع الذكاء والفطنة، ثم رجع إلى الحدادية.

وللسيد إبراهيم ـ مُقَدّم الذِّكر ـ أولاد: عبدة وإبراهيم ويحيى موجودون قائمون بمعاونة عمهم صاحب الترجمة، فعبده قائم بمعاونته في المصالحة بين الناس وعمارة المقام عند غيبة عمه إذ هو كثير الغيبة في الإصلاح، ثم لمّا مات عمه كان هو المتولي لِمَا كان عليه عمه فخلفه في جميع ذلك. وأمّا إبراهيم فهو قائم بالمزارع التي بها صلاح معيشة العائلة عافاهم الله.

ومنهم جماعة صالحون مقيمون في محل عابد من بلاد صنبل وفي دَير عسله[1] منهم يحيى بن إبراهيم أخو عبدة وإبراهيم السابق ذكرهما قريباً، مقيم بها على خير من ربه، ودير عسلة هي قرية شرقي بيت عكاد[2]. وأينما كانوا فهم ذووا ديانة ولطافة وقرب وتواضع وحُسْن أخلاق وسلامة صدر، عافاهم الله وبارك فيهم آمين. قال السيّد العلاّمة أبو القاسم ابن أبي الغيث الأهدل في «الدرة الخطيرة» بعد أن ترجم جماعةً منهم ما لفظه: وفي السادة بني الجيلاني من القرب والتواضع والرحمة ما لم أره في غيرهم من أهل الزمان فسبحان مَنْ حلاّهم بهذه الأخلاق وأنعم عليهم إنه الكريم الخلاّق، نفع الله بهم وأمدني من مددهم آمين. انتهى. وممن ترجم له - منهم - في مؤلفه المذكور السيّد الأجل الولي الأكمل **أحمد بن عبد الله الجيلاني** ولفظه: ومنهم السيّد الجليل القطب النبيل أحمد بن عبد الله الجيلاني اتفقت به في رباط سيدي الجدابي القاسم بن عبد الله الأهدل رحمه الله والتَمست صالح دعواته وكنت أرسل إليه لِكُتُب القوم والتواريخ فيسعفني بها على الفور، وكان هو السبب في محبتي للقوم الذين ليس على طريقتهم لَوْم. وكان رضي الله عنه سيداً جليلاً ألفاً مألوفاً لَيِّن الجانب كثير الشفقة على المسلمين والفقراء والمساكين، محلَّهُ للصادر والوارد، انتَفع به الناس نَفعاً عظيماً. وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى وقُبِرَ ببلدته بين أهله، ولم أتحقق خبر وفاته، وخَلَفَهُ أولاده، صلحاء نجباء أخيار حلماء أبْرَار، لَحِقَت منهم السيّد الجليل النبيل الصالح عبد القادر بن أحمد الجيلاني، أثر النور يلوح بوجهه، له القبول التام، مقبول الكلمة، وقد انتقل إلى رحمة الله في الدولة الوهابية وخلّف ولدين مباركين. وأخوه السيد الجليل السالك المجذوب المحبوب **إبراهيم بن أحمد الجيلاني**: على قدم عظيم من الخشية والتقوى، محبوب عند العالم كثير الشفقة والرحمة لخلق الله متواضع لا يعرفه إلاّ الخواص. وهو اليوم - أعني في سنة ثمانية وثلاثين ومائتين وألف - موجود على خير من ربه، فَسَح الله لنا في مدته وبارك في ذريته، آمين. انتهى.

قلت: وخلّف إبراهيم - هذا - أولاداً صالحين نشأوا نشأةً عظيمة، منهم محي الدين ومحمد وعلي وأحمد، وكان أبوهم يُلَقَّب بأبي ظِلّه لأنه كان يلبسها، وهو شيء يوضع على الرأس وقايةً من الشمس يُعْمَل من الخوص. وقد عَرفت منهم أحمد رجل صالح حَسَن الاستقامة والأخلاق، كثير التواضع سليم الصدر، مقبل على شأنه، تابع طريقة أسلافه الكرام، حَسن الإنشاد للشعر على الطريقة المعروفة

---

(١) قريتان من بلاد الحشابرة، بمديرية الزيدية.

(٢) بيت عكاد: قرية صغيرة لقبيلة بني محمد، بمديرية المغلاف. تقع جوار المنواب.

بالحادي. وهو الآن موجود على الحال المَرْضِي عافاه الله آمين. وأخوه محمد بن إبراهيم كان فاضلاً كثير العبادة والصمت والتهجد بالليل وله معرفة تامة بعلم الحساب والنجوم قد رأيت له جدولاً مُطَوّلاً يَدُلّ على معرفته وتدقيقه في علم الحساب والفلك وكان يحب الخمول، وقد اكتسب من النحل كثيراً يحصل له منه عسل كثير، وتوفي ثم خَلَفَهُ ابنه عبده بن محمد بن إبراهيم نِعْم الرجل الصالح جاء على طريقة والده من الصلاح والصمت وله معرفة بالحساب، وقد زاد اكتسابه لطير النحل بأضعاف ما اكتسبه والده، وهو موجود الآن على خير.

أهل بيت عكاد:

ومن عشيرتهم السادة الأشراف الكرام أهل بيت عكاد، وقد عَرَفت منهم السيّد الجليل ذا القدر الحفيل عبده بن إسماعيل فرأيته قد حاز من صفات الكمال وشرف الخلال ما لم يكن لغيره، مِن حُسْن الاستقامة وكثرة الصمت ومداومة تلاوة كتاب الله آناء الليل والنهار والمواظبة على الأذكار بقلب خاشع حاضر وتدبّر واعيال على الله بالكلية، مع غاية التواضع وحُسنِ الأخلاق والقرب ورصانة الدين والعفة والورع والزهد والإخلاص والصدق، وخَلَف والده في القيام بالزاوية فقام بها أتم قيام إلى أن توفاه الله على الحال المرضي ببيت عكاد وبه دفن رحمه الله وكان ذلك في سنة ١٣١١ وخلَّفَ ولدين هما: سليمان وإسماعيل، نِعْم الرجلان الصالحان، والإشارة الآن إلى (سليمان) وهو القائم بعد أبيه بالزاوية على أحسن الوجوه، مُطْعِم للطعام مع كمال الاستقامة والمواظبة على الوظائف الدينية وتلاوة القرآن العظيم يحفظهُ عن ظهر قلب، والسيرة الحَسَنة والأخلاق المُستحنة وحُسْنِ الصمت والتواضع والقرب والزهد والورع، كثير الخشوع والبكاء عند تلاوة القرآن. وكذلك أخوه (إسماعيل) مُتصف بالصفات المذكورة وهو خطيب جامعهم الآن وله إنشاد حَسَن للمدائح النبوية على الطريقة المعروفة بالحادي وغيرها، وهُما الآن موجودان على الحال المرضي عافاهم الله آمين. ولسليمان أولاد منهم وَلد صالح اسمه إسماعيل يَتفقّه الآن على شيخنا السيّد العلاّمة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي بِحُسْن فهم وصفاء ذهن وإقبال، عافاه الله آمين.

ومنهم السيّد الجليل الولي الكامل (عيسى بن عبد الله) كان من عباد الله الصالحين وأصفيائه المفلحين توفي سنة ١٢٨٢ وكذلك ابنه السيد الصالح (أحمد بن عيسى) كان رجلاً صالحاً فالحاً مُقبلاً على شأنه وتوفي سنة ١٣١٦ ولهم ذُرّيّة صالحون موجودون.

بنو عبد الباري:

ومنهم السادة الكرام المشهورون ببني الباري، عزلت منهم السيد الجليل الصالح عبد الله بن عبد الباري، كان رحمه الله من عباد الله الصالحين حافظاً لكتاب الله مديماً لتلاوته في الليل والنهار، ملازماً للأذكار لا يفتر، فا دهن رصين مُقبلاً على الله بالكلية لا يترك التلاوة والأذكار. وكان محكماً لعمارة الأبيار يرتكب في نزولها الأخطار فينجو منها سالماً، وما زال على خير من ربه حتى توفاه الله ببيت عكاد وبه دُفن في سنة ١٣٢١ وخلّف أولاداً صالحين مُتّصفين بصفات الخير والكمال والصلاح والفلاح وهم: عبد الرحيم وهو أكبرهم وأبركهم، وأحمد، وحسن، وسليمان، موجودون وكلهم على خير من ربهم، وتوفي عبد الرحيم يوم الربوع ١٤ من شهر جمادي الآخرة سنة ١٣٢٩، ولهم ذرّيّة عافاهم الله. ولعبد الله أخ اسمه (محمد بن عبد الباري بن محمد قادري بن عبد الله بن أحمد بن أبكر بن يوسف بن عجلان بن حسن بن أحمد بن علي بن عيسى) كان رجلاً صالحاً فالحاً فيه حِدّة، وفي الحديث: الحِدّة تعتري خيار أمتي. وكان صاحب كرامات وإشارات، كثير الخشوع سريع الدمعة عند قراءة القرآن، وكانت وفاته سنة ١٢٩٧ رحمه الله. وله أولاد منهم (أحمد قادري بن محمد) نِعْم الرجل الصالح، مُتّصف بحُسْن الاستقامة والتواضع وسلامة الصدر وحُسْن الأخلاق، وهو مُولَع بالأسفار إلى البلدان الشاسعة لطلب المعيشة وله القبول التام مع المواساة والاحترام، وهو الآن موجود على الحال المرضي عافاه الله آمين.

ولهم قرابة وعشيرة في بيت عكاد والضّحي وغيرهما لا نطيل بذكرهم فمنهم في الضّحي السيد الصالح علي بن أبكر وابنه أبكر بن علي، كانا مشهورين بالصلاح والفلاح وحُسْن الاستقامة وحُسن الإنشاد للشعر بالصوت الحسن على طريقة أهل الحادي وكانا يُطْلَبان من محل إلى محل لأجل ذلك، ولهم ذرّيّة مباركون موجودون الآن بالضحي صالحون على خيرٍ من ربهم.

ومنهم السيد الأجل الصالح (علي بن محمد) كان ـ رحمه الله ـ عالماً فاضلاً دائباً في طلب العلم، سَؤُولاً عنه، كثير البحث والتحصيل. وكان كثيراً ما يسأل شيخنا الإمام العلاّمة السيّد عبد الرحمٰن بن عبد الله القُديمي وتارةً يصل إليه بالزيدية لقصد الأخذ والاستفادة. ومن جملة الأجوبة التي أجاب بها عليه عن مسائل جواب سمّاه «القول الجلي في جواب مسائل السيد علي» وكان يُعَلّم الصّبيان القرآن، وختمه على يديه كثير منهم لبركته. واخترمتهُ المنيّة في عنفوان الشباب بالضحي ودُفن بها، وحَصَلَ لموته الأسف العظيم لفضله وحُسْن نشأته رحمه الله.

أهل دَبْر صالح

ومنهم السادة الأشراف المقيمون بدير صالح وجدّهم شرف الدين مدفون شرقي قريتهم هذه وقد زُرْتُهُ مرتين فرأيت أثر النور لائحاً على مشهده، وذريته هؤلاء أهل خير وصلاح وولاية مشهورة، وقد ترجم السيّد العلاّمة أبو القاسم بن أبي الغيث الأهدل صاحب «الدرة الخطيرة» بعضهم فقال: ومنهم السيّد الجليل الولي المشهور زاهر بن حسن الجيلاني كان دأبهُ السعي في الإصلاح بين المسلمين وله القبول التام عند الخاص والعام، ما تفوّه بشيء إلا وقع، وكان أميناً فيه صدق وإخلاص، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى وخَلَف ولده السيّد الجليل عبد الهادي بن زاهر الجيلاني أميناً فيه صدق وإخلاص وَوَفاء وعفاف، ساعياً بالإصلاح على عادة أسلافه الصالحين ما سَعى في شيء إلاّ أتمه الله ببركات صدقه، وهو اليوم موجود فَسَح الله في مدته وبارك في ذريته آمين. انتهى.

قلت: خلّف عبد الهادي ولده السيّد أحمد بن عبد الهادي كان ـ رحمه الله ـ صالحاً أميناً كأسلافه، قام بزاويتهم أتم قيام من إطعام الطعام والإصلاح بين الأنام مع الصدق والإخلاص والورع والعِفّة، ما زال على ذلك إلى أن توفاه الله، ثم خَلَفَهُ ولده عبد الله بن أحمد موجود الآن على الحال المَرْضِي تابع طريقة أسلافه الكرام مُوْفٍ بالقيام بالزاوية مع الكرم والسعي بالإصلاح وسلامة الصدر، عافاه الله آمين.

العلاّمة أحمد بن يحيى عبيد:

ومنهم السيّد العلاّمة العارف بالله عز وجل أحمد بن يحيى عبيد الساكن بالضحي، كان رحمه الله من كبار العلماء بالله العارفين به حسب الممكن، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، مُطّلعاً منهما على كل مسألة جلية ودقيقة. كان يُدَرِّس بمدينة الضّحي ونَجَب على يديه كثير من الطلبة، وكان شاعراً مُجِيداً، وبينه وبين السيّد العلاّمة أحمد بن عبد الرحمٰن صايم الدهر صُحْبَة أكيدة ومَوَدّة عتيدة ومكاتبات بأشْعَار كلها إشارات ومعارف وظاهر أكثرها الهَزْل وليس منه في شيء بل ذلك معارف ولطائف وإشارات لا تُعْرَف إلا لهما ولأمثالهما، وقد جُمِعَت مكاتباتهما وما جَرى بينهما من المساجلات والأشعار فَبلغت مجلداً وهو معروف متداول بأيدي الناس، فمما كَتَبهُ إليه السيّد أحمد بن عبد الرحمٰن صايم الدهر مما ظاهره الهَزْل هذه القصيدة:

صَدَر إمْكلاَم رِهيْ(١) فَهَب له مَرْكَن(٢) وإحـذر ينـور عـابـصْ ومُخَبّـنْ(٣)

---

(١) رهي: سائل كالعجين.

(٢) مركن: الإناء الذي يحفظ فيه الرهي.

(٣) ينور: يصبح. عابص: حامض. ومخبن: معفن.

حوِّج ولَوِّس[1] يا ابن يحيى وامفه[2] … واجعلـه فـي صحـن عظيـم بـخن
وَقْـد علـى صُـلاّ[3] البـلاغـة سـاعـة … مـن فـوقهـا مخفـى الـذكـاء يُـوذن
واعمل سِلتَك[4] من البيان مطسة[5] … واعـدد من الـدهـن البـديع فنيجن[6]
واغـرَف بمغـراف البـلاغـة إن تـرد … معنـى لحـوح النظـم منـك بمكـن
واحـذر تشتفـه[7] فـإن شتَّفتـه … جـاء لجنـاس مُقطعـاً لا يحسـن
واجعلـه كـلاً وسـط مغـرفـة بهـا … فـن الطبـاق يكـن هنـاك مصـون
واعـد مـن مَـرَق التفكُّـر بُـرزمـة … ليكـن إدامـاً للّحـوح[8] مقنـن
حتى تميـل إلـى الغـروب ومِلْ إلـى … شـروطـي والفقبـه بـوذن
فـاسكبـه فـي صحـن القـوافـي كلـهُ … واهفتْ[9] وعادهْ يا صَفي[10] يدخن
واطلب عُمَـر[11] يفطـر معـاك فـإنـه … قد صار مِنْ قِلّ إمجواب مشخن[12]
ويقول سي أحمد ما يجوّبشِي على … نظمي عسَى مالَه كيا متمشطن[13]
وبني كحيل[14]: حَسَن ويحيى أطلبهما وجميـع مـن تهـوَى فـإنـك معـدن
وعليكمـوا منـي أجـل تحيـة … ما دام سي يحيـى عُبيد يمنمن[15]

فأجابهُ صاحب الترجمة بقوله:

شَمَّيت عَـرْف لُحُـوحَكُـم بيفجنـن … فبقيـت مِـنْ قِـلّ الـوصـال مقـرعـن
ودهشـت مـن سحـر النظـام فمثلكـم … لا ابصـرت عيـن ولا سمعَـت ذِن

---

(١) لوس: أعجنه.
(٢) امفه: أفحسه.
(٣) صُلاّ: الإناء الذي يُطمى عليه الخبز وهو مصنوع من الطين.
(٤) سِلَتك: أي خذ وسيلة.
(٥) مطسه: ما يُمسح به المصلاة.
(٦) الدهن: معروف الزبدة. فنيجن: تصغير فنجان.
(٧) تشتفه: تقطعه.
(٨) اللّحُوح: نوع من الخُبْز يكوْن رقيقاً ليناً ـ انظر المعجم اليمني في اللغة والتراث ص (٨٩٨) للأستاذ مطهر الأرياني.
(٩) وأهفت: أغمس اللقمة فيه.
(١٠) الصفي: لقب من اسمه أحمد.
(١١) عُمَر:
(١٢) مَشَخّن: ممتلىء غيظاً وبكاءً.
(١٣) كيا: هكذا. متمشطن: متشيطن.
(١٤) كحيل: .
(١٥) يمنمن: يتلو القرآن بصوت خافت.

همت على ضلا الفؤاد سجكم ... نَفَت وظلّت بالبديع تدخُن

لكن رجعت إلى حروف معنّي ... منها ثلاث هَمْلها مِثبيّن

والرابع انت انني من فوقها ... ثنتان من نُقط لعشر تهيمن

ونبت معرف البلاغة عندكم ... من حيث إني لا أزال مِهَجّن

...جذلي يا صفي بغارة ... شموا فإني غانس ومِكبّن

مالك تقول زهي إنكلام وقد أتى ... يمشي بجلباب البديع مدشن

حسبي لكل الناس قد قابته ... يقسى وحبك يا مرادي مِلبن

ومما كتبهُ إليه سيدي احمد بن عبد الرحمن مادحاً له ومُجيباً عليه هذه القصيدة الفريدة المشتمل كل بيت منها على نوع من البديع، ولله دره:

نعادك يا كنز المعارف أوجاني ... وأجرى دموعي بالدِما فوق أوجاني

فما عيني الهاني سوى الوصل لم يكن ... وحقكم شيء عن الوَصْل ألهاني

يا أيها الواني عن الوصل لو ترى ... لبعدك كي ترثي تقلب ألواني

فقربك أعياني فقل لي متى متى ... بميل اللّقا والقرب تكحُل أعياني

وبُعدك أفناني وأسهر مُقلتي ... وأنحلني حتى ذوت منه أفناني

ولفقك اشجاني إلى جَمع شملنا ... وأظهر وجداني وهيّج اشجاني

ولم يك أنساني البعاد لأنني ... هويتكم مِنْ قَبل تصوير إنساني

ولحب أرادني إذا عن ذكركم ... كأن لم يكن ذاك التباعد أرادني

ومذ كنت أقراني معاني هواكم ... فلا عَجب أن فُقت في الحب أقراني

وافعم ادناني بصرف قديمة ... وبالمزج أقصاني وبالصرف أدناني

فوقي وأحياني[1] به مستنيرة ... وعن كلها أفنى وجودي وأحياني

وأطلق أرساني بميدان فكرتي ... دواماً وفي بحر المعارف أرساني

ولم يك الجاني إلى الغير إنما ... وصلت إلى ذاك الفنا وأنا الجاني

وبالحب لا شاني وفتت مهجتي ... ولم أكُ ما القى صديقاً ولا شاني

فمالي من ثانٍ عن الحب والهوَى ... ولا للصفي في كل مُكْرَمة ثانِ

إمام المعاني والبديع ومن هو ... الطبيب المعافي للقلوب من الرانِ

لقد فاقَ قسّاً في الأنام فصاحةً ... كما في الذكا والفهم ازرَى بسحبان

أيا طالباً عِلم المعاني وبابها ... فمن فكره الوقّاد مفتاحه دانِ

وأمّا دياجي المشكلات فإنه ... لمصباحها حاوي العلوم بإتقان

فتىً همه كسب المعارف مُذ نَشا ... إلى أن حَوى أعلا وأكمل عرفانِ

(١) جَفع: جبُن.

ولم ينصرف عمّا نحاه وأحمد   كذا هو حتى نال أرجح ميزان
أبا نَجْل يحيى الفرد وَافَا جوابكم   فأضبحت منه حائراً أي حيران
فَنَظْمُك والمعنى الذي فيه أسْحَرا   لعقلي فيا رب الحجى ان هذان اكتفا
وسلّم على قطب الزمان وغوثه   وأعني به الفرد الذي ماله ثان
أبا أحمدٍ يحيى عبيد وصنوك الشجاع   ومن هم أهل خير وإخوان
واختمها صلّى وصلّم ربنا   على أحمد الهادي إلى خير أديان

والحاصل أن صاحب الترجمة كان مشهوراً بأنه من العلماء الأفاضل الحائزين قَصَب السبق في ميدان الفضائل والفواضل، ولم أقف على كمال سيرته لبعد الزمن وعدم المُعتنين بهذا الشأن، رحمه الله ونفع به.

العلاّمة عبد الله بن عبيد:

ومنهم السيّد العلاّمة الولي الكامل عبد الله بن عبيد، كان رحمه الله عالماً عارفاً صوفياً مُكَاشَفاً بكثير من المُغَيَّبات، له اليد الطولى في علم التصوف والعرفان، صاحب إشارات وأحوال، مُقبِلاً على مولاه مُعْرِضاً عمّا سواه، محباً للخمول. وقد أخبرني السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل أنه توجه مرةً إلى القحريّة[1] للإصلاح في قتالٍ وَقَع فَمرّ بالضَّحِي ونزلَ عند عبد الله بن حسن عبيد الحُشَيْبِري فقدّر الله عليه المرض بالإسهال الذريع فخرجَ إلى زرعٍ قريب من المدينة، وما زال بطنه يجري حتى خاف الفوت ولم يَعْلَم به غير نفسه، فهمّ بالرجوع عن مقصده إلى المنيرة، ولمّا رجع إلى المحل الذي هو نازل فيه إذا صاحب الترجمة كامن له في موضع هناك، ولمّا قَرُبَ منه وَثَب إليه وقال له: اضطجع، فاضطجع فوضع يَدهُ على بطنه وغمزها وقال له: قُمْ وامضِ لِمَا خَرَجت له، فكأنما نَشَط من عقال وَسَكَن بطنه. ثم أنَّ صاحب الترجمة أرادَ النهوض فالتزمه وطلب مكثه عنده فقال له: أريد سرعة الرجوع لأن المصطفى عندي في البيت، فطلب منه الدعاء وتوجه إلى القحريّة وأصْلَح بينهم ثم رجع. انتهى. وأخبرني أيضاً سَيدنا المذكور أنّ صاحب الترجمة وصل إلى المُنيرة وَخرجَ لزيارة قبر السيّد العلاّمة القطب عبد الله بن إبراهيم الأهدل وكان صديقاً له قبل مونه، ولمّا وصل إلى القبر وجدهُ قائماً يصلي فقال له: هل بعد الموت تكليف؟ فقال: لا ولكنه ترق. انتهى. ولم أقف على كمال سيرة صاحب الترجمة، وله وللسيد أحمد بن يحيى ـ السابق ـ ذرِّيَّة وعشيرة، فمن ذريتهم السيّد العلاّمة الصالح أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى عبيد وقد اشتهر باسم جدّه أحمد بن يحيى، كان ـ رحمه الله ـ عالماً فاضلاً ذا دين رصين واستقامة حسنة وسيرة مُسْتَحسنة وكمال

(١) القحريّة: منطقة وقبيلة في مديرية بَاجِلْ، شرقي مدينة الحديدة بمسافة نحو (٦٠) كيلاً.

توضع وحسن الأخلاق ووقف على طاعة [illegible] الخلاق، حافظاً للقرآن عن ظهر قلب، ثابتاً [illegible] ومشهوراً، موظباً على وظائف الدين، مفيداً مستفيداً محباً للمصالحة بين الناس، وكان ملازماً لخاله السيد الفاضل علي بن قاسم عجلان ـ سابق الذكر ـ وانتفع به، وما زال على الحال المرضي إلى أن توفاه الله بالضحي ونفع به.

ومنهم السيد العلامة محمد بن أحمد بن عمر بن يحيى عبيد نشأ ـ عافاه الله ـ على أكمل الأحوال، وحفظ القرآن عن ظهر قلب ثم تفقه بالسيد العلامة عبد الله بن يحيى صنيابي وبالفقيه العلامة أحمد بن عمر يعني وبالفقيه العلامة حسن بن عبد الله مابر وغيرهم فصار مشاركاً في عدة من الفنون لا يمل من طلب الفائدة ممن لقيهُ من أهل الفضل، وقد وصل إلى شيخنا السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي وأخذ عنه، وهو الآن موجود في عنفوان الشباب على خير من ربه ملازم للإفادة والاستفادة عافاه الله آمين.

أهل جبل أذرع

ومنهم الأشراف القاطنون بجبل اذرع[1] المشهورون ببني عثمان وبني وَصْل أصل سكونهم بيت عكاد ثم انتقلَ منهم السيّد عثمان بن . . .[2] إلى جبل عز الدين. أصل سكونهم بيت عكاد ثم انتقل منهم . . . وهم جماعة صالحون قارؤون اذرع واتخذه دار إقامة ومنه انتشرت الذُرّية هناك. وهم جماعة صالحون قارؤون للقرآن مع حُسْن الاستقامة والتواضع وسلامة القلب والملازمة لمروءة مثلهم. ومنهم السيّد الجليل أحمد بن محمد بن علي بن عز الدين بن عثمان كان ـ رحمه الله ـ رجلا صالحاً ذا كرامات وأحوال خارقة، وكان فيه من حُسْن الخِلقة والجمال ما لم يكن في غيره، طيّب الرائحة خلقةً، ويُحكى أنه لم ير له خارجٌ بل قيل إنه لم يخرج منه أصلا ولكن يُحتمل أنه كان يخرج منه فتبتلعه الأرض كَرَامةً له كَما وَقعَ ذلك لنبينا ﷺ.

ومنهم السيّد الصالح أحمد بن علي بن عز الدين، كان مشهوراً في جبل أذرع وغيره بالصلاح والفلاح وجمع الله له بين الدين والدنيا فأدّى حقهما على الوجه الأكمل، وكان قد حَجّ إلى بيت الله الحرام في عام سبعين بعد المائتين والألف وتوفي هناك رحمه الله.

ومنهم السيّد الأجل الصالح محمد بن علي بن عثمان موجود الآن على الحال المرضي، كثير العبادة والمداومة على الأذكار لا يفتر من ذكر الله تعالى. ولهم ذُرّيّة

---

(١) جبل أذرع ـ سبق القول بأنه جبل ومركز إداري من مديرية الخبت وأعمال محافظة المحويت.
(٢) فراغ بالأصل.

وإخوان وبنو أعمام مقيمون بجبل أذرع لا أعرف سِيرَة أحدٍ منهم لبُعْد الديار عافاهم الله آمين.

المحـــامـــدة:

وِصْل: ومن بني هريرة الأشْرَاف المحامدة ويُسَمُّون بني أحمد نِسبَةً إلى جدهم أحمد بن علي بن عيسى، وقد ذكرهم صاحب «المنهل اللطيف» فقال بعد كلام وناس منهم لُقّبوا بالمحامدة وهم مشهورون به، وناس منهم - أي المحامدة - لُقّبوا بآل الرحمة وجدّهم المجدر في وادي سُرْدُد، فَبنو رحمة هم المجادرة. انتهى.

قلت: وقد كَثروا الآن وانتشروا وتفرقت بهم الألقاب، ويجمعهم هذا الاسم وهم قوم الغالب عليهم الصلاح وقراءة القرآن وعمارة مساجدهم بالجُمعة والجماعة، وفيهم علماء أفاضل سأذكر من عرفته منهم أو نَمى إليّ خبره.

العلاّمة إبراهيم بن حسن:

.. فمنهم السيّد العلاّمة الفاضل القاضي إبراهيم بن حسن، كان - رحمه الله - من العلماء الأفاضل، فقيهاً فَرضياً نحوياً حاسباً، هاجرَ إلى القُطَيْع لطلب العلم فقرأ على السيّد العلاّمة القطب أحمد بن سليمان هجام الأهدل فأحبه وأقبلَ عليه وانتفع به انتفاعاً كثيراً وبه تَخرّج، فقرأ ودأبَ حتى صار مشاركاً في عدةٍ من الفنون وكان فصيح اللسان قوي العارضة لا يتكلم غالباً إلاّ بكلام معرب ولو مع العامة، حسَن المحاضرة، شديد الاستحضار، كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية حافظاً لشواهد الحال، لطيف الشمائل حَسَن الأخلاق لا يمل مجالسه، كثير الإيراد للنكت واللطائف، وله أخبار حلوة المذاق مشهورة متداولة على الألسنة، وكان فيه صدق وإخلاص وقُرْب وتواضع. تولّى القضاء مع الشيخ إبراهيم بن علي كلفود أيام ولايته على هذه البلاد فسار فيه سيرة حسنة إلى أن توفي الكلفود وَفَدَ إلى مدينة الزيدية فأقام بها مُفِيداً مستفيداً. وكان له معرفة تامة بعلم الفرائض والحساب ومساحة الأرض، وكان تامّ الخِلْقَة جسيماً طويلاً قوياً جِلداً ليس له مَنْ يُظاهيه في خَلْقَته، وما زال مُقيماً بالزيدية إلى أن توفاه الله في عُشر الثمانين بعد المائتين والألف ولم يعقب.

ومنهم في قرية الصَّلِيْف السيّد فتح الدين بن عبد الله بن حسن بن أحمد قاضي وعمه السيّد إبراهيم بن حسن بن أحمد قاضي المُلقّب صوبه.

السيّد العلاّمة علي بن عبد الله زغبي:

ومنهم[1] السيّد العلاّمة الفهّامة الناسك علي بن عبد الله زغبي - بزاي مضمومة

---

(١) الضمير عائد إلى المحامدة.

وغين معجمة ساكنة وموحدة مكسورة آخره ياء مثناة من تحت - قرأ القرآن ببلده[1] ثم هاجر إلى الضحي لطلب العلم وأتى بيت الفقيه ابن عُجَيْل، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وجوّده هنالك ثم أخذ على العلماء الموجودين به وحفظ بعض المتون عن ظهر قلب كألفية ابن مالك في النحو والزبد في الفقه، ثم وَفدَ إلى بندر الحُديدة فأخذَ عن علمائها ثم رجع إلى مدينة الزيدية فقرأ على شيخنا السيّد العلاّمة شيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد الله القُديمي في عدة من الفنون حتى برَع وبه تخرّج فصار مشاركاً في علوم شتى لا سيّما علم الفقه والنحو فإنه نجَبَ فيهما وأخذ منهما بالحظ الوافر، وكان كثير المطالعة في «التحفة» لابن حَجَر عارفاً بمكانها فطناً ذكياً، وكان رحمه الله ناسكاً لا يفتر من قيام الليل، كثير الخشوع قريب الدمعة لا يملك عينيه إذا سمع التلاوة للقرآن أو إنشاد المدائح النبوية بل يصيح في بعض الأحيان ويغشى عليه، وكان حسَن التلاوة للقرآن بصوت خاشع رخيم وأداء حَسَن مع التَدَبُّر، ذا دِين رصين وحُسْن استقامة وورع وزهد وعَفاف وحُسْن أخلاق وإقبال بكليته على المَلِك الخلاّق. وما زال على الحال المَرْضِي مُقيماً بِدَيْر المقازلة من بَلَد عشيرته المحامدة إلى أن كتب الله له المسير إلى حج بيت الله الحرام فتوفى قافلاً من الحج في أثناء الطريق في عام تسعة بعد ثلاثمائة وألف رحمه الله.

ومنهم السيّد الأجل الفاضل محمد بن أحمد بن حسين كان رحمه الله عالماً فاضلاً رَحل إلى الضحى فقرأ على علمائها كالفقيه العلاّمة عبد القادر بن إسماعيل بعني فصار مشاركاً، وكان مقيماً بدير المقازلة فانتفع به الناس في تلك الجهة انتفاعاً عظيماً في أمر دينهم لأنه كان قائماً بأمامة المسجد والخطبة وغسل الأموات وعقود الأنكحة وكتابة الوثائق وتعليم الجاهل والمُصالحة بين الناس. والحاصل أنه كان على استقامة حَسَنة وسِيرَة مُسْتحسنة، حَسَن الأخلاق، متواضعاً قريباً لَيِّن الجانب، ما زال على هذا إلى أن توفاه الله بقرية دَيْر المقازلة سنة ١٣٢٧ وخَلَفهُ ولده السيّد، الجليل الفاضل حسين بن محمد، قرأ - عافاه الله - القرآن ثم تفقّه على والده بإقبال ورغبة حتى عَرَف ما يهتدي به إلى الخير ويهدي به غيره، وقد قام بما كان عليه والده وخلفهُ فيما ذُكر، وقد عرفتهُ فرأيته فاضلاً لطيف الشمائل والأخلاق متواضعاً سَمِعْت خطبتهُ فرأيت عليها إقبالاً مع الإصغاء، وهو الآن موجود على خير من ربه قائم بذلك مُؤنِ بما هنالك عافاه الله آمين.

بنو الزعفور:

ومنهم [المحامدة] السيّد الجليل ذو القدر الحفيل الصالح علي بن أحمد

(١) المقصود قرية دير المقازلة من بلد المحامدة وأعمال مديرية المغلاف.

زعفور، يُقال إنه من ذُرِّيَّة المجدر. كان رحمه الله على جانب عظيم من العبادة والورع والعفة، ذا دين رصين وقَصْد إلى طُرُق الخيرات مكين، قد جمع الله له بين الدين والدنيا فكان يتقلب في البيع والشراء مع البركة التامة، وكان يُخرج من أمواله أضعاف ما عليه من الزكاة، كثير الصدقات الخافية والظاهرة والإنفاق في وجوه الخير. وله محاسن جَمَّة منها الزيادة التي زادها في جامع الضحي، وكان قائماً بمصالح الجامع في كل ما يحتاجه، عامراً له حِسّاً ومعنىً. وكان شديد الورع والتنزُّه عن الشبهات، ومن وَرَعِه أنَّهُ تَنَزَّهَ عن أكل اللحم الذي يُذبح في سُوق الضحي لِمَا فيه من الشُبهات فلم يَقْربهُ مدة حياته، وكان محافظاً على الفرائض والسنن من الطهارة والصلوات على الوجه الأكمل. ومن محاسنه أيضاً المنزلة التي لأولاد السيِّد الأجل الصالح على سيد - الآتي ذكره - فإنه بناها بالآجر وقام بكفاية الواردين والصادرين وذلك بعد ضعف حال المذكورين، وكان يحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، مُديماً لتلاوته، ملازماً للإذكار لا يفتر. ما زال على هذا مُدّة حياته إلى أن توفاه الله تعالى بقرية الضحى وبها دُفِن. وخلّف أولاداً صالحين منهم السيِّد الجليل علي بن عبده بن علي زعفور، نَشأ في حُجر والده على أحسن الأحوال، وتبع والده في جميع ما ذكر إلى أن توفاه الله في عنفوان الشباب على الحال المَرْضي في الضحي ودُفن بها، وله ولأخوانه الآن ذُرِّيَّة.

ومنهم في مدينة الزيدية السيِّد أحمد بن محمد زعفور كان رحمه الله تعالى رجلاً صالحاً مقبلاً على شأنه، وما زال على الحال المَرْضِي إلى أن توفاه الله بمدينة الزيدية وبها دُفن وخلّف أولاداً وهم: محمد وجيلان وحسن وعلي وعبده، ولكل منهم ذُرِّية موجودين الآن بالزّيدية.

ومنهم السيِّد الصالح عمر بن حسن المحمدي كان رحمه الله مقيماً بجهة وادي مور تارة - في الزهرا - وتارة في الدمنة وأخرى في قرية مور، وكان صالحاً ورعاً زاهداً عفيفاً عامياً أمياً فيه صدق وإخلاص، كثير العبادة والخشوع، قريب الدمعة، مواظباً على أداء الصلوات. وكان فيه عشق يخرجه عن الجِدّ ولكنه مع العفة وهو المُسمّى بالهَوى العُذري نِسبةً إلى بني عذرة وهم قوم فيهم عشق مع العفة فَنُسِب كل من كان بهذه الصفة إليهم. وصاحب الترجمة لم يتعشّق شخصاً بعينه بل كان مغرماً بالحُسن والجمال فإذا وَقعَ نظرهُ على امرأة ذات جمال رَمَى نفسه ولو كان في مهلكة، وقد شوهد ذلك منه كثيراً فمما وَقعَ له أنّه حَجّ مرّةً فوقعَ نظره في السفينة على امرأة ذات جمال، هندية حاجّة، فَرَمى نفسه في البحر فتواثب البحّارون في البحر وأطلعوه إلى السفينة وهو إلى الموت أقرب فَسلّمه الله. ومن ذلك أنه كان مَرّةً في دَيْر مهدي على بئر يسقي دابته فَوقعَ نظره على امرأة تَملأ جَرّتها فَرَمى نفسهُ في البير وهي غزيرة

نفع نحو خمسة عشر قامة فأخرج سالماً. ومن ذلك أن الشيخ محمد صغير زين بلغه
حاله هذا فأراد اختباره ليعرف صدق ذلك فاستدعاه وطلب منه أن يحلب له بقرة
وكانت له بقرة تركية بارعة الجمال فأمرها أن تأخذ منه اللبن فَفَعَلت فلما رآها رمى
القصص من يده مملوءاً لبناً وألقى نفسه في زريبة شوك طولها قدر قامة الإنسان، وهو
يظن تحقق عنده ذلك وأخرجه من الزريبة وأعطاه جائزة. وله وقائع غير هذه كثيرة،
ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفاه الله بقرية الدمنة قرية السادة بني القبقب
ودفن بمقبرتهم، وخلف ولداً صالحاً اسمه إبراهيم بن عمر موجود على خير من ربه.

بنو دايل

ومنهم الأشراف بنو دايل ـ بدال مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مكسورة ولام
آخره ـ وهم جماعة صالحون أصل انتقالهم من بلَد عشيرتهم المحامدة إلى بندر
اللحية وموزع وغيرها، فممن سَكَن منهم بندر اللحية السيّد العلاّمة العارف بالله
عمر وجيه عبد الله بن أحمد دايل وقد ترجمه الشيخ العلاّمة العارف بالله عبد الخالق بن
علي المرجاجي في شرح قصيدة الناشري التي امتدح بها السيّد العلاّمة الولي الكبير
أحمد بن عبد الباري الأهدل التي أولها: (أَخرت مَنيّتي عن وصالك للأحد)
بمقاطعه. وقد لاقيت كثيراً من المشائخ واستفدت منهم خصوصاً السيّد العارف بالله
تعالى عبد الله بن أحمد دايل فإنه ـ رحمه الله ـ من الأكابر الأفراد، لا يوجد لمثله
نظير في البلاد، ولقد طلبت منه تلقين الذكْر عن طريق السادة النقشبندية ـ قَدّس الله
أرواحهم ـ فتوقف فرأيت وقت السحَر وأنا في بندر اللُحيّة عنده في بيته والناس
يهرعون إلى الشيخ أحمد الزيلعي ويرجعون بما يكرم به الوفود في العادة فَسِرْت إلى
ذلك المكان فإذا الناس يقفون في مكان والشيخ في خلوة لا يدخل عليه أحد،
ويخرج الزلاجات[1] والمدد على يد إنسان، فمن أُعطِيَ زَلاَجة سَارَ، فَجَلست في
مكان وما أعجبني حال هؤلاء القصّاد وما يطلبون فبقي كل من في المكان ينظر إليّ
ويقول لي اطلب كما يطلبون، فقلت: أنا لا أطلب إلاّ الشيخ فلا أريد إلاّ الدخول
عليه فقالوا: هذا لا يمكن والشيخ قد احتجب عن الناس منذ كذا كذا سنة، فقلت:
لا أريد إلاّ هو، فأعرضوا عني ما شاء الله وبقيت جالساً أتفكّر في حالي وحال الناس
فلما طال الجلوس قام رجل عظيم الخلقة تام الجسم حَسَنهُ وقال لهم: بَلّغوا الشيخ
بهذا الرجل وعرّفوه مقصده، فدخلوا إليه فإذا هو قد خرج فأخذَ بيدي وخَرَج بـي إلى
صحراء عظيمة فإذا هناك دَكّة مرتفعة عن الأرض قَدْر نصف قامة الرجل فصعَدَ بـي
عليها فإذا السيّد عبد الله دايل قدّس سرّه هناك فتصافحا وَجَلسا وتَوجّها إلى القبلة

(1) الإرساليات.

وأجلساني بينهما، فجلسنا نذكر الله تعالى بطريقة المراقبة على طريق السادة النقشبندية - قدّس الله أرواحهم - فانتبهت وخرجت سريعاً فإذا السيد عبد الله دايل خارج إلى الرباط مع قائده فأخبرته بالرؤيا فقال: قد حصل الإذن، ولقّنني وبشّرني ببشارات عظيمة، وكان ذلك في آخر شهر ربيع الثاني سنة ١١٧٤. انتهى

ومنهم تلميذه السيّد العلاّمة العارف بالله تعالى: عبد الله بن إبراهيم دايل وقد ترجمه السيّد العلاّمة أبو القاسم بن أبي الغيث الأهدل في «الدرة الخطيرة» عند ذكره لِمَن أجْتَمع به من أهل الفضل فقال: وأول من اجتمعت به السيّد الجليل الأصل الأصيل نُخبة أهل الكمال عبد الله بن إبراهيم دايل، خليفة سيدنا ومولانا القطب الكبير عبد الله بن أحمد دايل قَدّس الله عمره آمين، كان اجتماعي به في بَلَدِنا المُنيرة في رباط سيّدي الجد أبي القاسم بن عبد الله الأهدل وذلك أيام وصوله من اليمن الميمون فانتفعت بإشاراته ولحظاته والتمست صالح دعواته فَدَعى لي بما هو أهله، فَسَح الله في مدته. ولم يزل يكاتبني من محله بندر اللحيّة لِحُسْن ظنه أني لذلك أهل، وهذه المدة لمّا حصل مني الجفا من أهوال الزمان أعْرَض، فاسأل الله تعالى أن يرزقني رِضاه ويجعلني من المحسوبين عليه آمين، وأن يَمُنّ عليّ بزيارته والإجتماع به. وقد منّ الله - وله الحمد - بالاجتماع به في رباطه والتَمست صالح دعواته نفع الله به. وهو اليوم المُشَار إليه في قرية اللحيّة بالعلم والصلاح، مسموع القول عند الأمراء في هذا الوقت - مع ما هُمْ عليه من الاختلاف وعدم المبالات بالدين - وذلك لِمَا منحه مولاه من الولاية والتمكين، مُتَعففاً عن أموالهم، سالكاً على منهاج آبائه الصالحين من بذل المعروف وإرشاد الطلبة والوافدين، هَيِّناً، لَيِّناً، متواضعاً، كثير الشفقة على المسلمين بل وعلى الحاسدين له، جعل الله سَعْيَهُ السعي المشكور وبَلّغهُ منازل المُقرّبين وأمدّني من مَدَدِه آمين، وقد انتقل إلى رحمه الله تعالى في سنة ألف ومائتين وخمسة وثلاثين، وَعَظُمَ به المُصاب لكونه لم يخلف بعده مثله ولم يكن له عَقِبْ فالله المستعان. انتهى.

بنو الزاهر، وبنو علي، وبنو مهدي:

وَصْل: ومن الأشراف الذين يتصل نسبهم بالشريف علي بن عيسى الأشراف: بنو الزاهر وبنو علي وبنو مهدي أهل قرية الداوودية وأهل قرية الجيلانية[1] وكلهم الغالب عليهم الخير والصلاح والقيام بوظائف الدين وقراءة القرآن والملازمة لمروءة مثلهم وإطعام الطعام، وقد عَرَفت من بني الزاهر: مهدي بن عمر زاهر وولده فتح الدين. قَرأ فتح الدين - هذا - القرآن وبعض المختصرات على شيخنا السيّد العلاّمة

---

(١) راجع مادة: بنو هريرة قبل هذا بشيء يسير.

إبراهيم بن عبد الله القديمي، والآن هو خطيب قريتهم والقائم بمصالحهم الدينية عافاه الله، وله إخوان وبنو عم وقرابة صالحون على خير من ربهم.

وأمّا بنو مهدي فقد سمعنا السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الأهدل يقول: سمعت عمّي ـ صنو أبي ـ السيّد الأجل الصالح محمد بن أبي القاسم الأهدل يقول إنه في سنة ١٣٠٣ سمع السيّد محمد بن عبد الله بن أحمد جيلان بن عبد القادر بن مهدي بن أحمد بن مهدي يقول أنّ مهدي بن أحمد ـ هذا ـ له ولدان عبد الله وعبد القادر فأهل الداوودية(١) هم أولاد عبد القادر بن مهدي وأهل الجيلانية(٢) هم أولاد عبد الله بن مهدي، والذي شُهِرَ بالمعتكف هو الجيلان بن عبد الله جدّ أهل الجيلانية انتهى وقد عرفت من أهل الداوودية السيّد الجليل إبراهيم بن مهدي رجل صالح مستقيم الحال عَمّر مائةً وثلاثين سنةً أو أزيد مُمَتَّعاً بسمعه وبصره وجميع حواسه، وتوفي في عام ثمانية وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، وكان قبيل موته بأيام يباشر الأعمال الشاقة كالزراعة ونحوها، وله قرابة معروفون لا نطيل بذكرهم.

المصاعلة:

ومنهم(٣) الأشراف أهل صاعل ذُرِّيَّة الولي الكبير العَلَم الشهير حسن بن محمد بن حسن بن القاسم بن علي بن عيسى المدفون بجهة الوادي سُرْدُد غربي المهجم(٤) بها ذرّية المذكور، فمنهم جماعة مقيمون بقرية الكدرا(٥) بكاف مفتوحة ودال مهملة ساكنة وراء مهملة ممدودة، شرقي قُبَّة جدهم المذكور وغربي المهجم يُشْهَرون بالمصاعلة. ومنهم جماعة مقيمون بِلَيْز محمد من بلاد بني مهدي وكلهم صالحون على خير من ربهم.

بنو الخارِفي:

ومنهم(٦) جماعة مقيمون بمدينة الزيدية يشهرون ببني الخارفي ـ بخاء معجمة وراء مكسورة وفاء مكسورة أيضاً آخِره ياء ـ وكانوا يُسَمَّون فيما مضى بني الشافعي ولكن هذا الاسم قد تُرِكَ وشهروا الآن ببني الخارفي وسبب تسميتهم به أنهم كانوا

---

(١) الداوودية: قرية كبيرة من قرى بني مهدي، بمديرية القناوص.
(٢) الجيلانية: قرية مجاورة للداوودية، ما بين الخليل الشرقي والخليل الغربي.
(٣) يقصد سلالة علي بن عيسى المذكور في مادة بنو هريرة.
(٤) المهجم: من قرى مديرية المغلاف.
(٥) الكدرا: إحدى قرى مديرية الزيدية.
(٦) الضمير عائد إلى المصاعلة. وهو كلام موصول للبدر الأهدل. ولهم قرية تحمل اسمهم قريب من مدينة الزيدية.

يتصدّقون على هندي فإذا سُئِلَ من أين لك هذا؟ فيجيب من بيت خير في، فثبت عليهم وحُرِّف بخارفي لكثرة الاستعمال، وسبب تسميتهم بني الشافعي أنهم لمّا انتقلوا من مذهب عشيرتهم الهَدَوية إلى مذهب الشافعي سُمّوا به. منهم السيد الجليل أحمد بن يحيى خارفي وولده حسن، ولحسن هذا أولاد أربعة: أحمد وعمر ويحيى ومحمد كانوا كلهم على جانب عظيم من الصلاح والخير والعبادة قائمين بخدمة مسجد صايم الدهر بالأذان والمواظبة على الصلوات جماعةً مع حُسن الاستقامة والأخلاق وسلامة القلب والوَرَع والعفة، وقد كانوا مُعامَلين من أئمة صنعاء أيام ولايتهم بالإجلال والاحترام ورأيت بأيديهم منشوراً من الإمام المنصور علي بالإعفاء عن التكاليف الشاقة، وقد كان السيّد العلامة الأجل القطب عبد الله بن إبراهيم الأهدل يتردد إليهم ويمكث عندهم أيام وقوع النَهب من يام، وما اختار النزول عندهم إلا لخيريتهم وصلاحهم مع ما كان عليه من غاية الوَرَع والزهد. ولأولاد حَسن المذكورين ذُرّية صالحون، فلأحمد بن حسن خمسة: عبد الله وحسن ويحيى وعمر وعبده، ولعمر بن حسن ولد واحد هو علي بن عمر، وليحيى بن حسن ولدان: محمد وحسين، ولمحمد بن حسن ولدان: حسن وعمر. ولكل منهم ذُرّية موجودون سوى عبد الله بن أحمد فإنه مات عقيماً، ولعمر بن محمد ولَد هو محمد، ولحسن بن محمد ثلاثة هم: عبده بن حسن المُلَقَّب مكملل وأخواه أحمد بن حسن الملقب عَطا، ومحمد بن حسن، ولهم أيضاً ذُرّية موجودون عافاهم الله آمين.

أهل دَيْر شُوَيْل:

وَصْل: ومنهم الأشراف أهل دَيْر شويل بشين معجمة مضمومة وواو مفتوحة وياء مثناة تحتية ساكنة آخره لام[1] جَدّهم السيّد الصالح أحمد جيلان، والأشراف أهل اليقيني وجدّهم السيد الصالح أحمد جيلان وهو غير جدّ بني شويل بل وافق اسْمُهُ اسْمِهِ. وهم جماعة مشهورون بالصلاح والولاية والفضل والمصالحة بين الناس. مُعْتَقَدُون في تلك الجهة، دَرَج على هذا سَلَفهم وتبعهم عليه خَلَفهم إلى الآن، ولم أقف على كمال سيرتهم لبعد الديار، وشهرتهم تغني عن التصريح بأحوالهم. وقد عَرفت منهم السيد الصالح يوسف بن أحمد يقيني فاضلاً لا يخلو من العلم والصلاح، حَسَن الأخلاق والسيرة، طَيِّب السريرة وله معرفة بعلم الطب، موجود الآن على خير من ربه عافاه الله آمين. وقد رحل إلى بندر الحُديدة فقرأ على علمائها كالسيّد العلامة أمحمد بن عبد القادر الأهدل. ومن أهل اليقيني بيت يُقال لهم بنو

---

(١) دير شويل: من قرى الجرابح السفلى بمديرية الضحي.

يتنقلون لطلب المرعى في بلد الجرابح لكونهم أهل مواشي، الجمّال وبنو العصيمي. منهم علي ثواب وأحمد ثواب ومهدي ثواب وأمحمد ثواب وغيرهم.

بنو الأصلع: وهم قوم ذوو وأهل اليقيني يتصل نسب بني الأصلع الساكنين ببلاد الجرابح[1] رئاسة في بلد الجرابح من قديم الزمان، مِنْ مدة الشريف حمود بن محمد الحسني إلى الآن. والموجود منهم الآن السيد حسن أصلع بن قاسم بنِ محمد شيبة، ومنهم السيّد الفاضل أحمد جيلان الساكن بالضّحِي كان عالماً فاضلاً توفي بها وله أولاد بالضحي، وأخوه علي مات بالضحي وخلّف محمداً وحسيناً وجيلان وقاسم وأحمد ولهم ذرّية بعضهم في عُبَال، ولم يبق الآن من أولاد علي إلا محمد متولِ رئاسة المسجد في الضحي.

بنو القادري:

وَصْل: ومنهم الأشراف بنو القادري، وقد ذكرهم صاحب «المنهل اللطيف» فقال بعد أن ساق كلاماً، وأمّا قادري فله ذُرّية مشهورون تُسمّى آل القادري يسكنون وادي سردد[2] ومنهم أناس في قرية الضّحِي؛ قرية بها قبر الشيخ إسماعيل الحضرمي وله ذرّية أهل صلاح وكرم. انتهى. قلت منهم السيّد الجليل الصالح علي بن محمد سيد كان من عباد الله الصالحين على قدم عظيم من العبادة والزهد والورع والعفاف وفيه صدق وإخلاص، ومِنْ وَرَعِهِ وَزهْده أنّ شخصاً مغربياً صحبهُ فاتفق أنْ أوْدَعَ عنده جراباً فيه أشياء ثم غاب وقال له عند غِيْبَته إن رَجعت أخذت الجِرَاب وإلاّ فهو لك بما فيه، فكأن عَلِمَ بموت المغربي فَفَتح الجِرَاب فوجَد فيه سراجاً في بطنه ذبالة وأشياء ما يدري ما هيَ فأغْلَقَ السِرَاج فإذا شكْل جني قائم عنده فَلَمْ يَفْزَع منه وقال له: من أنت؟ فقال أنا خَدّام هذا السراج حَضَرت لتأمرني بما شئت من المال المتروك أُحْضِرهُ في الحال، فقال له: وما يصرفك؟ قال: إذا طفي السراج، فأطفأهُ فإذا هو قد غاب فكسر السراج ودفنهُ في حفرة عميقة وزَهد في ذلك. وكان له معرفة بالطب قَلّ ما يداوي مريضاً إلاّ شفاه الله، وله زاوية محترمة للواردين والصادرين قائم بكفايتهم، وما زال على الحال المَرْضي إلى أن توفاه الله بالضحي ودُفن به وذلك في شهر جمادى سنة ١٢٨٨ وله أولاد منهم السيّد العلاّمة محمد بن علي كان من العلماء

---

(١) مركز إداري من مديرية الضحي.

(٢) لهم قرية تحمل اسمهم يقال لها «دَيْر القادري» ببلاد الحشابرة من أعمال مديرية الزيديّة. وثمة قريتان بمديرية القناوص هما: القادري الشرقي والقادري الغربي.

الأفاضل له مشاركة في عدة من الفنون على غاية من حُسْن الاستقامة والسيرة الحسنة والأخلاق المُستحسنة، ولم أقف على كمال سيرته وتوفي قبل والده فقام بالمقام قياماً حسناً ثم خَلَفَهُ في المقام أخوه الأجل الصالح عمر بن علي وكان صالحاً فالحاً على خير من ربه قام بالزاوية قياماً حسناً إلى أن توفي، ثم خلفهُ ابن أخيه السيد العلامة محمد بن محمد بن علي كان عالماً فاضلاً له من كل فن مسكة صالحة يتوصل بها إلى غيرها لا سيما الفقه والنحو، وما زال مُفيْداً مستفيداً إلى أن توفي على الحال المرضي بالضحي ودُفن به رحمه الله آمين.

ومن بني القادري السيّد الجليل ذو القَدْر الحفيل حسن بن أحمد الشريف كان رحمه الله مقيماً بجبل أذرع على غايةٍ من حُسْن الاستقامة والتواضع وسلامة القلب قد جمع الله له بين الدنيا والدين فسار فيهما سيرة حسنة ثم تَقلَصت عنه الدنيا وابتلى بالفقر في آخر عمره فَصَبَرَ صبراً جميلاً، وسَكن قُبَيْل موته في بني عمارة[1] وبها مات رحمه الله وله إخوان وعشيرة وبنو عم كانوا على خير من ربهم ولم أعرف سيرتهم لبعد الدنيا رحمهم الله آمين.

بنـو راجـح:

ومنهم ـ أي الأشراف الحسنيين ـ الأشراف بنو راجح الساكنون بقرية الصّلِيف وغيرها، الموجود منهم الآن بالصليف السيّد الجليل راجح بن علي على الحال المَرْضي يخطب بهم الجمعة ويؤمّهم ويحب الإصلاح بينهم، مُكثِر من صيام النفل، مواظب على الوظائف الدينية عافاه الله. وهذا سياق نسبه: راجح بن علي بن عيسى بن علي بن عيسى بن محمد بن علي بن راجح بن علي بن أحمد بن راجح بن عيسى بن محمد المهدي بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين بن محمد بن هاشم بن محمد بن وهاس بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وَهّاس بن أبـي الطيب بن داود بن عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزّهراء البتول بنت الرسول ﷺ ورضي عنهم أجمعين. لراجح بن علي الواقع في صدر النّسب من الولد ثلاثة: عبد الرحمن ومحمد وحمزة، وله أخ اسمه أحمد، ولأحمد جبريل عافاهم الله آمين، وإليهم يَرْجع نَسَب السيّد الجليل عمر بن حمزة الساكن بالحُديدة عافاه الله.

---

(١) بني عمارة: مركز إداري من مديرية الخَبْت وأعمال محافظة المحويت.

بنو الغويدي:

ومن أشراف الجهة الحسنيين الشريف الملقب بالغويدي بغين معجمة مضمومة وواو مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مهملة مكسورة آخره ياء، وهو ساكن بحازة صليل، صالح أمي يسعى بالإصلاح في تلك الحازة، وهذه صورة نسبه كما وجدت بيده: علي بن مهدي بن قاسم بن صالح بن علي بن عبد الله بن محمد بن مهدي بن محمد بن حسن بن محمد بن عز الدين بن الناصر بن محمد بن علي بن ناصر بن حمزة بن إبراهيم بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام الناصر بن الإمام الهادي لدين الله أحمد بن الإمام الهادي بن يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين.

أهل جبل الظاهر:

ولنا نسب الأشراف أهل جبل الظاهر[1] فهو يجتمع مع نسب الغويدي هذا في الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي، وصورة تَدَرُّج الموجود منهم الآن: علي بن محمد بن أبي الغيث بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن أمحمد بن أمحمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن حمزة بن القاسم بن محمد بن جعفر بن أمحمد بن الحسن بن جعفر بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى المنصور بالله بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي.

بنو النهاري:

ومن أشراف الجهة ـ الحسنيين ـ الشريف أحمد بن مسعد النهاري الساكن بجزيرة كمران، وقد حقّق شرفه السيّد العلاّمة الإمام محمد بن عبد الله الزَوّاك بعد أن وصل إليه شاكياً ممن طعن في نسبه وطلبَ منه تحقيق ذلك فقال: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى عترته الطاهرين الذين فرض بودّهم وُدّه، ومَنْ عاداهم استحقّ بُغْضَهُ وطرده، وبعد فقد تقدم علينا السيّد الحسيب النسيب الشريف أحمد بن مسعود بن أحمد بن الحسن أبو فرّاج النهاري وشكى من شخص من عرب بلدة كَمران يُسمّى عثمان أنه سبّهُ وطَعَنٍ في نسبه، فطلبَ منا تحقيق ما لدينا في ذلك والقدر الذي يُثبت به النَّسَب، فالذي أَطْلَعَنا عليه بيده في رقم بخط الفقيه العلاّمة عبد الرحمن بن عبد الله بطيش بِصُلْحٍ واقع على يد والده القاضي الفاضل الثقة الثّبت عبد الله بن أحمد بطيش واسمه وختمه في خاتمته ولفظهُ: وقع الإصلاح مع التراضي بين أولاد الشريف أحمد بن الحسن أبو

---

(1) جبل الظاهر: مركز إداري من مديرية الخَبْت وأعمال محافظة المحويت.

العراج النهاري. وفي آخر الرقيم شهادة السيد جبريل بن عبد الله صاحب الدعو
وطاهر بن قاسم بيزار والشيخ إبراهيم بن عباس سارت وأحمد بن إبراهيم جبني
وامحمد بن أبكر حزوب، وتاريخ الرقيم من سنة ألف ومائتين وخمسة وستين. وهذا
الرقيم وإن بالخصوص مُحرزاً للإشهاد على الصلح الواقع لكنه متضمن للشهادة على
النسب والتسجيل به وثبوته، ومن المقرر في كتب العلماء أن النسب ثبت
بالاستفاضة، قالوا: وتُقبَل الشهادة بالتسامع على النسب الذي لم يعارضه طعن ولا
غيره بطعن قامت القرينة على كذب قايله. وهذا الرقيم والشهادة من المذكورين الذين
هم ذوات ثقات عدول معتبرون في تلك البلاد كافٍ في تحقيق شرف السيد المذكور
سيما والاستفاضة لم تزل على ألسنة الناس - المُنْصفين السالمين من العداوة
والأغراض - مسموعةً ناطقةً بذلك وكَفَى به قرينةً دالّة على عدم الالتفات إلى طعن
الطاعن المذكور، وفي الحديث الصحيح: خصلتان في أمّتي، هما بهم كُفْر: العيافة
والطَعن في الأنساب. وما أرَى هذا الشخص الطاعن إلا مُعرِّضاً نفسه للحرمان
لفضيلة آل النبي المختار لأنه تارك للمودّة المطلوبة لهم قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والسَلْب والثَلْب لا سيما الطعن في النسب مُنابذ للمودة
جانباً، وبهذا يكون من الأجر خائباً. هذا والشيخ محمد بن عمر النهاري ذكر شرفه
النَسّابون منهم السيد البدر حسين بن عبد الرحمن الأهدل في «تحفة الزمن» وأنهم
أشراف حسنيون خَرَج جدهم من ينبع[1] واسمهُ نهار، قال: ولم يعقب الشيخ محمد
النهاري إلا بنتاً تُسمَّى حفصة وكانت من الصالحين، وكان له عم اسمه أبو بكر بن
موسى بن محمد ومنه الذرّية الموجودون. انتهى كلامه. إذا عُلِمَ ما ذكر من تحقيق
شرف الشخص المذكور وأن الشهرة كافية في ثبوت ذلك فعلى الحاكم زجر
المتعرّض للشريف المذكور وتعزيزه بما يُعَدّ مُقْنعاً له وردعهُ عن هذا الفعل القبيح،
عافانا الله من ذلك ورَزَقنا حُسن الأخلاق والأدب مع الجناب النبوي والحزب
المصطفوي والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم، حُرِّرَ في عام سبع بعد ثلاثمائة
وألف. كتبه محمد بن عبد الله الزَوّاك غفر الله لهم آمين. انتهى.

ومن بني النهاري جماعة يسكنون بقريةٍ تُنْسَب إليهم تُسمَّى دَيْر النهاري[2]
وجدّهم النهاري بن حسن مقبور في الدَيْر المذكور وعليه قبّة، وهم جماعة صالحون
حرفتهم الزراعة، منهم السيّد أحمد النهاري كان يسعى بالإصلاح بين الناس.

---

(١) يَنْبُع: بلدة من إمارة المدينة المنورة.
(٢) دير النهاري: من قرى بني مهدي، بمديرية القناوص. تقع على مقربة من بلدة الداوودية.

العلامة إسماعيل بن محمد المؤيدي

العلامة إسماعيل بن محمد المؤيدي: السيّد العلامة الشريف إسماعيل بن محمد المؤيدي، ومن الأشراف الحسنيين: رحَلَ من بلاد أسْلَم - محل إقامته - إلى المراوعة لطلب العلم فمكث بها نحو اثني عشر سنة دائباً في طلب العلم على مشائخ كثيرين، منهم السيّد العلامة محمد طاهر بن عبد الرحمٰن الأهدل وبه تخرّج ثم انتقل من مذهب الهدوية - مذهب عشيرته وأسلافه - إلى مذهب الشافعية وتفنن في عدةٍ من العلوم ثم رجعَ إلى بلده وحصّلَ الانتفاع به وتولّى بها فصل الأحكام بين أهل تلك الجهات، ووصَلت منه سؤالات في أحكام متفرقة إلى شيخنا السيّد العلامة الإمام عبد الرحمٰن بن عبد الله القديمي فأجاب عليها جواباً شافياً برسالةٍ سمّاها «القول المسدد في أجوبة سؤالات السيّد إسماعيل المؤيّد»، واتّفق أن شخصاً من عشيرته هو ابن عمه اسمه محمد أمين تزوج بأخته ثم طلقها ثلاثاً وأراد مراجعتها بمقتضى مذهبهم من أن الثلاث واحدة، فمَنع إسماعيل وزَعم أن المراجعة بعد الثلاث زِنا عملاً بمقتضى مذهب الشافعية الذي انتقلَ إليه، فاتصلَت المسألة بسيدي الخال العلامة شيخ الإسلام السيّد محمد بن عبد الله الزوّاك فكَتب إلى السيد إسماعيل يراجعهُ في العمل بمقتضى مذهبهم فمنَع وتَعصَّبَ على ذلك، ومن جملة ما كتبه إليه بعد كلام: وهذا مذهبكم من عهد إبراهيم الرَّسي إلى الإمام الهادي إلى أبنائه الكرام إلى القاسم بن محمد إلى ولده المؤيد حتى اتّصلَ الأمر إليكم وأنتم عليه بتقليد هؤلاء الأئمة وهم أخذوا عمن قبلهم من عهد الباقر والصادق والإمام زيد، فالحُكم على هؤلاء بأن مذهبهم باطل، والانتماء إليهم عاطل، وأن من تَعاطا منهم مسألة الطلاق وراجعَ بعد الثلاث فهو زانٍ، فنعوذ بالله من ذلك، ونسأله دَفع المهالك، وهؤلاء هم أهل البيت المُطهّرين حاشا أصولهم الطاهرة، وسلسلتهم الزاهرة من القول ببطلان ما هم عليهم وهم جمهور الناس وقد قرّروا أنّ من التزمَ مذهباً معيناً لا يجوز له الانتقال عنه إلاّ ترجيح نفسه حيث كان من أهل الترجيح بأن يحكم طريق الأدلة الموصلة إلى ترجيح مذهب الغير، وأمّا مجرد تقليد مذهب الشافعي والانتساب إليه تقليداً لشافعي مُقلِّد فهذا لا يجدي لأنه خروج من تقليد إلى تقليد بقول مقلد فهو انتقال بلا مُرَجِّح فهو بالتشهي أشبه. والحاصل أنّا لا نَرى جواز التفريق بين الرجل وزوجته وفك العصمة فهو غير صواب، والقول بأنه زانٍ والحال أنه هو وأصوله منسوبون إلى الأئمة نَسباً ومذهباً لا نقوله ولا نرتضيه، نَعم الذي نحن عليه ونحن شافعية أن من جاء يسأل أنه صدر منه طلاق الثلاث وعرفنا حاله، منشأه من المراجعة وزجرناه، ومن طلّق ثلاثاً من المنتمين إلى أهل البيت وكان بطرفنا وأراد الرجوع فلا تُنْكَر عليه لأنه تقليد صحيح عند أهله. هذا الذي درجنا عليه. انتهى. ثم أنّ السيّد العلامة محمد طاهر بن

عبد الرحمن الأهدل انتَصب للرد عن تلميذه السيد إسماعيل المذكور وانتصر له وحَامَى عنه وقوّي جواز انتقاله إلى مذهب الشافعية والعمل بمقتضاه، وجرت بينه وبين سيدي الخال مراجعة طويلة ورسائل والسيد إسماعيل مصمّم على ذلك ومع من المراجعة إلى أن توفي رحمه الله وتوفي السيّد محمد أمين رحمهم الله الجميع أمين.

العلاّمة محمد بن عبد الرحمـٰن الشرفي:

ومنهم السيّد العلاّمة الحُجّة المُحَدِّث محمد بن عبد الرحمـٰن الشّرفي. نسْبَةً إلى جبال الشّرف من جهة حَجُوْر، انتقلَ منها جده محمد إلى زبيْد وتديّرها وصاحب الترجمة مولده ومنشأه بزبيد، أخذَ العلوم العقلية والنقلية عن جِلّة من علمائها بفهم وقّاد وذكاء مفرط فَبرعَ في جميعها وغَلب عليه علم الحديث. أخذَ أولاً في مذهب الإمام الشافعي وحققه ثم تحوّل منه إلى مذهب الهدوية وله مشائخ كثيرون منهم القاضي العلاّمة ـ المُلَقَّب مِنْ عُلماء بلده بالسيوطي الصغير ـ محمد بن محمد المزجاجي الحنفي الأشعري، والسيد العلاّمة عبد الباقي بن سليمان بن يحيى الأهدل، والسيّد العلاّمة يوسف بن حسين البطّاح الأهدل، والشيخ العلاّمة الإمام أحمد بن محمد بن ناصر الزَبيدي ثم الصنعاني، والقاضي العلاّمة محمد بن إبراهيم المزجاجي الحنفي مُفْتي زَبيد في وقته، والسيّد العلاّمة الإمام الفَهّامة محمد بن عبد الرحمـٰن بن سليمان الأهدل، وغيرهم. وله تلاميذ كثيرون منهم: أولاده محمد وأحمد وعبد الرحمـٰن أبناء محمد الشرفي، والشريف العلاّمة علي بن محمد بن ناصر الحازمي، والقاضي العلاّمة أبو طالب بن أحمد البهكلي، وأخوه القاضي العلاّمة عبد الرحمـٰن بن أحمد البهكلي، والسيّد العلاّمة إسماعيل النُعمي، والفقيه العلاّمة عبد الله عبورة، والفقيه العلاّمة محمد بن سالم بازي الحنفي، والفقيه العلاّمة محمد بن عمر المزجاجي الحنفي، والفقيه العلاّمة عبد الرحمـٰن بن محمد صدّيق المزجاجي الحنفي، والفقيه العلاّمة حسن بن أحمد سرور الحضرمي، والسيّد العلاّمة علي بن محمد بَطّاح الأهدل، والفقيه العلاّمة محمد بن يوسف جَدْي، وغيرهم. وكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الإثنين رابع ذي الحجة الحرام عام خمس وثلاثمائة وألف.

عبد الرحمـٰن بن علي القَمّاط:

ومن الأشراف الحسنيين: السيّد العالم الفاضل عبد الرحمـٰن بن علي المُلقب بالقَمّاط بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن راجح بن علي بن أحمد بن راجح بن عيسى بن محمد بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين بن محمد بن هاشم بن محمد بن وهّاس بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهّاس بن الطيب بن داود بن عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الله بن موسى

الترجمة سلسلة نسبهم إلى عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط. هكذا نقل لي صاحب الترجمة سلسلة نسبهم عافاه الله، قرأ القرآن على يد الفقيه الفاضل البطيش بن إبراهيم ثم أخذ بعض الفنون على الفقيه العلامة المتفنن عبد الرحمن بن عبد الله بطيش، وهو الآن مقيم بجزيرة كمران على الحال المَرْضِي قائم بإمامة الجامع والخطبة، ولم أقف على كمال سيرته.

أحمد بن علي جلفة:

ومن الأشراف الحسنيين: السيد الصالح الفالح العابد الناسك أحمد بن علي جلفه بن حسن بن محمد بن جمعه بن شبل وتمام النسب قد ضاع أيام الحريق بمدينة الزبيدية، وقد حرّر علماء ذلك الوقت رقيماً يتضمن إثبات شرف صاحب الترجمة، منهم الإمامان السيد محمد بن عبد الله الزوّاك والسيّد عبد الرحمن بن عبد الله الأهدل وكَفَى بهما حُجَةً، وأصل أسلافه من أشراف مكة، خَرَج منها أوائله إلى بلاد الأكراد فاتخذوها دار إقامة وانتشرت لهم بها ذرية. ثم أن علي بن حسن - هذا - خرجَ إلى الديار المصرية فأقام بها مدةً ثم خرجَ منها إلى الديار اليمنية متولياً مع الدولة العثمانية ببندر الحُديدة واللُّحيَّة والزّبدية وتزوّج باللحيَّة فولد له ولدان يأتي ذكرهما، ومهر في علم الطب وأحكم الرمي بالمدفع ولهذا كان أكثر تولّيه معهم في عملية المدفع، ولمهارته في ذلك وفي علم الطب سُمّي قلفه - بالقاف المفتوحة واللام الساكنة والفاء وآخره هاء - معناه بلسان الترك: الماهر، فاختَلف الناس بالنُطق بذلك فبعضهم يَنْطُق بالقاف وبعضهم يَنطق بها خاء. وكان رجلاً صالحاً مستقيم الحال كثير العبادة والتهجّد بالأسحار، ما زال على ذلك إلى أن توفّاه الله ببندر الحُديدة وخلّف ولدين محمدٍ وأحمدٍ، فأمّا محمد فتولّى مع الدولة العثمانية في أول أمره ثم تَرَك واشتغل بالطب والمداواة للناس فكان يتنقل في البُلدان لذلك، وكان ذكياً فطناً يعرف لسان الترك والهنود ثم دخل إلى البلاد الهندية إلى تاريخ هذا لم تعلم حيوته أو موته. وأمّا أحمد فنعم الرجل الصالح وقد كان في أول أمره يتولّى مع الدولة العثمانية ثم ترَك وأقبل على شأنه وتهذيب نفسه ومعاتبتها والتأوه والتفكّر، ولزم العبادة وكثرة الأوراد مع التقشف في المطعم والملبس وقيام الليل بالتهجّد وهو كثير التواضع وحُسن الخلق والقرب وله معرفة بالطب ولا يخلو من المعرفة لِمَا يُصْلِح به دينه، وهو الذي حقق لي خروج أوائله من مكة المكرمة إلى بلاد الأكراد وثبوت شرفهم، وهو موجود الآن على الحال المَرْضِي - عافاه الله - ببندر الحُديدة.

عبد القادر بن يحيى حلبي:

ومن الحسنيين مِنْ سُكّان بيت الفقيه ابن عجيل: السيّد العلاّمة عبد القادر بن يحيى حَلبي، نَسَبُهُ يرجع إلى السيّد الكبير الولي الشهير قضيب البان صاحب

الموصل والمدفون بها. وفدَ أوائل صاحب الترجمة إلى الديار اليمنية فتديروا بيت الفقيه، ومسقط رأسه بهذه البلدة فنشأ بها على أحسن الأحوال وقرأ القرآن على السيد العلاّمة الصالح علي بن الحسن الشخص والعلاّمة عبده بن أحمد العمري ثم قرأ على الأخير مختصرات الفقه والتجويد وعلى السيد العلاّمة مُرتضى بن قاسمي بن محمد بن حسين - من بيت الإمام القاسم - متون الأجرومية والمنممة والفواكه الجنية وبعض من الإقناع على متن أبي شجاع ونبذاً من علم التصوف كفتح الرحمن للشيخ زكريا وسمع منه كثيراً من هذا الفن كتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس والتنوير في إسقاط التدبير وشرح ابن زروق على الحِكَم العطائية، وقرأ على شيخه الإمام أمحمد بن حسن فرج متن القَطر لابن هشام وشرحه لمؤلفه ومجيب الندا على قَطر الندى للفاكهي ومتن الألفية ومَتن المرجانية ومتن الهمزية وبُردة المديح والمنهاج للنووي، وسَمع من شيخه من التحفة عليه وأملَى عليه بعض حاشية الجَمل على الجلالين وشَرح على قاري على الشفاء وبعض بلوغ المرام وشرح القواعد الكبرى للأزهري وبعض شرح ابن عقيل على الألفية وبعض فتح الوهاب ونحو النصف من الشنشوري شَرح الرَحبية ومَتن البيقونية وشَرح شيخه عليها ومَتن الذريعة للأشخَر، وسمع منه بعض رياض الصالحين وبعض المواهب اللدنية وأكثر صحيح البخاري.

ومن مشايخه الفقيه العلاّمة عبد الله بن علي سيدي والفقيه العلاّمة عمر بن عبد القادر والفقيه العلاّمة حسن بن هادي شاوري والفقيه العلاّمة علي شتارة الحُديدي والفقيه العلامة علي بن عمر بن قاسم مُفتي الحنفية ببيت الفقيه والسيّد العلاّمة الإمام أمحمد باري بن عبد القادر الأهدل الحُديدي والسيّد العلاّمة الولي الصالح أحمد بن غالب القُديمي، قرأ على جميعهم في أكثر الفنون من الحديث والأصول والفروع والنحو والمنطق وغير ذلك من الفنون مما لا نُطيل بذكر مؤلفاتها التي قرأها، وهو الآن موجود ببيت الفقيه ابن عُجيل يفيد ويستفيد عافاه الله.

وهذا آخر الفصل الثاني من الفصول التي رَتّبت عليها هذا المجموع، وبه أنتهى ذِكر مَنْ يَسّر الله ذكره ممن بالجهة من ذُرِّيَة الحَسَنَين تميزاً بينهما لقصد سهولة التناول، مُتَرجِماً من استحق الترجمة منهم، ولم آل جِهداً في البحث والتحقيق عَمّن يرجع نسبه إليهم بحيث أنه لم يشذ في عدم الذِكر إلاّ النَزر اليسير وذلك بحسب الطاقة والإمكان، مع اعترافي بالقصور، والميسور لا يَسقُط بالمعسور.

وأشرع في ذِكر مَنْ عداهم مستعيناً بالله سبحانه في تيسير كل عسير.

فهرس المحتويات